جامعة الأزهر
كلية الدارسات الإسلامية
والعربية بنات – القاهرة
قسم التفسير وعلوم القــرآن

العلاّمة الخطيب الشربينى ومنهجه فى تفسير السراج المنير

رسالة علمية لنيل درجة التخصص – الماچستير–
فى التفسير وعلوم القرآن

إشــــراف
أ.د/ هندية أحمد محمد عامر حواس
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الدارسات
الإسلامية والعربية بنات – القاهرة

إعــــــداد
وفاء محمود سعداوى
الطالبة بكلية الدراسات الاسلامية
والعربية بنات – القاهرة

1428هـ ـــ ٢٠٠٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ {٤٣} بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة النحل: الآيتان ٤٣، ٤٤

إهداء

إلى والدىّ الكريمين وفضلهما الذى لا يحد تقديرًا عميقًا وحبًا أعمـــق، وأســـأل الله ﷻ أن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناتهما يـــوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، كما أهديه إلى زوجى وأولادى وإخوتى وأهلى وكل من مد لى يد العون فى هذا البحث بتذليل عقبة ، أو توجيه طيب ، أو نصيحة مـــسداة ، أو دعوة صالحه ــ جزاهم الله خير الجزاء.

شكر وتقدير

الحمد لله ــ تعالى ــ دائما وأبدًا، فهو الهادى إلى الصراط المستقيم، وبنعمته تتم الصالحات، وبحمده تعم البركة، وبشكره تزيد النعم، فاللهم اجعلنا من العابدين الحامدين الشاكرين المهتدين إلى الصراط المستقيم.

وبعـــد...

فأسجل الشكر الجزيل والتقدير الرفيع والثناء الصادق لأستاذتى الفاضلة الدكتورة هندية –حفظها الله ﷻ وأدام عليها نعمه–.

فقد منحتنى خلال رحلة البحث الكثير من وقتها وجهدها ، وزودتنى بتوجيهاتها العلمية وملاحظاتها القيمة، وكانت لى الأم الحنون التى شملتنى برعايتها وتشجيعها ودعائها بالسداد والتوفيق، وذللت لى بعون الله كل صعب وعسير فى طريق البحث ، ودلتني على أيسر الطرق إلى العلم الدقيق.

والحق يقال إن لسانى وقلمى ليعجزان عن تقدير الدكتورة الفاضلة علما وخلقًا، وتواضعا، وعطفا على تلميذاتها، وبناتها فلا أملك إلا الدعاء لها ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

كما أقدم خالص الشكر والتقدير للأستاذة الدكتورة سعاد صالح ، والأستاذة الدكتورة عفاف النجار ، والأساتذة الفضلاء أعضاء قسم التفسير وعلوم القرآن لموقفهم النبيل ، ومساندتهم لى عند تسجيل موضوع البحث ، وإنه لموقف يليق بأساتذة ينتمون إلى جامعة الأزهر الشريف منارة العلوم الشرعية للأمة الإسلامية بأسرها، جزاهم الله عنى خير الجزاء ، وبارك لهم فى أعمارهم ؛ إنه نعم المولى ونعم النصير.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمــام المرســلين ســيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن اتبع هــداه إلــى يــوم الدين.

وبعــــد...

فإن الباحث فى علم التفسير يجد العلماء قد وجدوا فــى فهــم القــرآن الكريم وشرح معانيه مجالاً واسعًا، فمن كمال إعجاز القرآن الكريم أنه حمّالٌ لوجوه عديدة من المعانى ، وألوان شتى من العلوم ؛ لذا فقــد بــذل العلمــاء جهدهم فى فهم وكشف أسراره وتجلية خفاياه على مر العصور، وقــد كــان طبعيًا أن تختلف اتجاهاتهم التفسيرية وتتعدد حسب ثقافاتهم وتجددها فى كــل يوم على مر العصور.

وقد حرص المسلمون على مر العصور وفى جميع الأقطار على حفــظ القرآن وفهم آياته والعمل بها ، واصطفى الله ــ عز وجل ــ من الأمة رجالاً صرفوا هممهم إلى العناية بتفسيره واستخراج ما حواه من كنوز.

فعكفت طائفة على استنباط أحكامه الشرعية ، واهتمت طائفــة أخــرى ببيان معانى مفرداته، وإعراب كلماته ، وإبراز جمال نظمه وبلاغته ووجــوه إعجازه وغير ذلك مما عكف عليه أفاضل العلماء من البحــوث والدراســات القرآنية التى لا حصر لها.

واهتمت طائفة من العلماء بمتابعة هذه الدراسات ومناقشتها ، وأضــافوا إليها ما وهبهم الله من فهم لأياته القرآنية.

ومن هؤلاء العلماء الإمام العلامة الشيخ الخطيب الشربينى الذى انتفع بعلمه خلق كثير؛ فهو مفسر ماهر واسع العلم بمختلف العلوم ، والذى اخترت منهجه فى التفسير موضوعاً لبحثى.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

أولاً ــ سبب عام: وهو مواصلة الجهود المبذولة فى معرفة مناهج العلماء فى التفسير التى تتبناها جامعة الأزهر الشريف من خلال رسائل التخصص (الماجستير) والعالمية (الدكتوراه) وبحوث الترقية لأعضاء هيئة التدريس بالجامعة.

ثانيًا ــ سبب خاص: وهو السمات التى امتاز بها الإمام العلامة الخطيب الشربينى؛ فهو مفسر ماهر جمع بين المأثور والرأى، واسع العلم بكتب السنة، نحويٌّ، محققٌ ناقدٌ بارعٌ فى تأويل المشكل وكشف الغوامض، ملمٌّ بالقراءات وعلوم اللغة، وقد أوتى حظاً وفيرًا من إيجاز العبارة، يجمع المعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة، بعبارة سهلة واضحة، يسهل على المبتدئين فهمها، ويجد طلبة العلم حاجتهم فيما احتوته من الفوائد؛ إذ جمع فى تفسيره هذا جل التفاسير لمن سبقه من العلماء. هذه أهم السمات التى امتاز بها الإمام العلامة الخطيب الشربينى التى دفعتنى إلى اختيار تفسير هذا العالم الجليل موضوعًا لرسالتى التى تقدمت بها إلى قسم التفسير وعلوم القرآن، بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، والتى جعلت عنوانها "الخطيب الشربينى ومنهجه فى التفسير".

خطة البحث

وقد اشتملت الرسالة على مقدمة وتمهيد وثلاثـــة فـــصول وخاتمـــة وتنتهـــي بالفهارس

المقدمة وتشتمل على ما يلى :

أولا : التعريف بالموضوع وبيان أهميته .

ثانيًا : أسباب اختياره .

ثالثًا : خطة البحث ومنهجى فى إعداده .

التمهيد ويشتمل على النقاط التالية :

١ــ التعريف بمفردات العنوان : التفسير ، المنهج .

٢ــ التعريف بالمفسِّر ، ومنهجه وبيان مدى التزامه المنهج الذى شرطه على نفسه فى تفسيره " السراج المنير فى معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكـــيم الخبير" .

٣ ــ تأثره بمن سبقه من المفسرين .

الفصل الأول : منهجه فى التفسير ويتكون من عشرة مباحث :

المبحث الأول : ذكره للمأثورويتكون من أربعة مطالب :

المطلب الأول : تفسيرالقرآن بالقرآن .

المطلب الثانى : تفسير القرآن بالـــسنة النبويـــة المطهـــرة ويـــشتمل علـــى فرعين:ــ

الفرع الأول : اتجاهاته فى الاستشهاد بالسنة .

الفرع الثانى : درجة الحديث الذى يستشهد به .

المطلب الثالث : تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين .

المطلب الرابع : الدخيل في تفسيره .

المبحث الثانى : الأسلوب الموضوعي في تفسيره .

المبحث الثالث : منهجه في تفسير البسملة .

المبحث الرابع : منهجه في أسماء السور وفضائلها .

المبحث الخامس : تفسيره للحروف المقطعة .

المبحث السادس: عنايته بالمناسبات بين السور والآيات .

المبحث السابع: عنايته بالقراءات .

المبحث الثامن : اتجاهاته في أسباب النزول .

المبحث التاسع: منهجه الفقهي وموقفه من النسخ .

المبحث العاشر: موقفه من التفسير العلمي .

الفصل الثانى: الجانب العقائدى فى تفسيره .

الفصل الثالث: توظيفه علوم اللغة في التفسير ويشتمل على ستة مباحث:ـــ

المبحث الأول : توظيفه الدلالة المعجمية في استنباط المعنى .

المبحث الثاني : توظيفه الدلالة الصرفية فى استنباط المعنى.

المبحث الثالث : توظيفه الدلالة النحوية فى استنباط المعنى .

المبحث الرابع : توظيفه دلالة السياق في استنباط المعنى .

المبحث الخامس : توظيفه الدلالة الصوتية في استنباط المعنى .

المبحث السادس : كثرة استشهاده بالشعر .

الخاتمة : وتشتمل على : عرض السمات العامة في تفسير الشيخ الخطيب الشربينى ، وخلاصة موجزة لمضمون الرسالة ، وذكر أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث .

الفهارس : وتشتمل على الفهارس الآتية :

١ــ فهرس الآيات القرآنية الكريمة .

٢ــ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثار .

٣ــ فهرس الأعلام .

٤ ــ فهرس الأشعار .

٥ ــ فهرس المراجع والمصادر .

٦ ــ فهرس الموضوعات .

منهجي في الدراسة:

يمكن إجمال جوانب منهجي في إعداد هذا البحث على النحو التالي:

١- قراءة التفسير محل البحث لتحديد جوانب وسمات منهج المفسر الذي اتبعه في التفسير.

٢- تحديد مباحث الدراسة بناء على هذه الجوانب والسمات، ووسم كل مبحث بعنوان مستقل عن الآخر.

٣- جمع الآيات الكريمة المتعلقة بكل مبحث متتبعة تفسير الخطيب الشربيني لهذه الآيات لتحديد اتجاهه في تناول مادة هذا المبحث، وتقسيم الآيات إلى مجموعات تندرج تحت عناوين خاصة بها حسب هذه الاتجاهات.

٤- ضبط وتشكيل النصوص القرآنية، ووضعها بين قوسين ﴿ ﴾ وتخريجها من سورها، وإذا كان النص جزء آية أشرت إليه في الهامش بكلمة 'جزء من آية'.

٥- تمييز الأحاديث النبوية الشريفة بوضعها بين قوسين ( ) وتخريجها من مظانها الأصلية ، مبينة درجتها إذا اقتضى المقام ، وكذا الآثار عن الصحابة والتابعين.

٦- نسبت الأبيات الشعرية التي قابلتني في البحث إلى قائليها، إلا القليل الذي لم أهتد إلى قائله، بعد جهد في كتب اللغة عزوته إلى كتب التفسير التي ذكرته.

٧- ترجمة مختصرة في الهامش للأعلام بما يمكّن قارئ الرسالة من معرفة شيءٍ عنهم.

٨- الرجوع إلى الكتب التى استشهد بها المؤلف للتأكد من صحة ما جـاء بها ، وأثبت ما وقفت عليه فى الحاشية ، وما لم أعثر عليه أشرت إليه فى محله.

٩- إبراز النصوص التي نقلتها من مصادر البحـث ومراجعـه ؛ تأييـدا لرأيي أو لمناقشتها، فوضعتها بين علامتي التنصيص " " وإذا كـان المرجع يتكون من غير جزء أشرت إليه فى الهامش بـ "رقم الجـزء/ رقم الصفحة جـ ص" وأشرت إلى كلمة الطبعة بـ ط.

١٠- قمت بضبط بعض الألفاظ التى تحتاج إلى ذلـك ، وتعريـف بعـض الكلمات الغريبة.

١١- حافظت قدر الإمكان على موضوعية البحث غير متأثرة بهوى ؛ حتى أصل إلى الحق الذى هو ضالة المؤمن.

ولا أقول إني قد أحطت بكل جوانب البحث إحاطة لا يشوبها نقـص ، ولا أستطيع أن أدعى لبحثى كمالاً ، إنما الكمال لله ــ عز وجل ــ وحـده ، ولكنى قد بذلت فى إعداد هذه الرسالة قصارى جهدي ، ولم أدخر وسعاً فـي سبيل إخراجها فى أحسن صورة ، وحاولت العناية بكل مسألة تهم البحـث ، فإن كنت قد أصبت فالحمد لله الذى وفقنى إليه ، وإن كانـت الأخـرى فمـن نفسى وأسأل الله ــ عز وجل ــ أن يغفر لي تقصيري ، ويتقبل عملي خالصا لوجهه الكريم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تمهيد

هذا التمهيد أتناول فيه التعريف بمفردات عنوان البحث:

أولاً: تعريف التفسير:

التفسير لغة: " الفَسْرُ: البيان: فَسَرَ الشيء يفْسِرُه بالكسر ويفْسُرُه بالضم، فَسْرًا أو فَسَّرَهُ: أبانه، والتفسير مثله؛ قال ـ تعالى ـ ﴿ **ولايأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**﴾[١]

والفَسْرُ: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، واستفسرته كذا ؛ أي : سألته أن يفسره لي"[٢]

التفسير اصطلاحًا:

عرّفه أبو حيان في البحر المحيط بأنه "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب ، و تتمات لذلك"[٣]

ثم خرّج التعريف فقال[٤]: "فقولنا: علم ؛ هو جنس يشمل سائر العلوم. وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ؛ هذا هو علم القراءات.

1- سورة : الفرقان ، الآية ٣٣ .

2- يراجع : لسان العرب للعلامة ابن منظور، ط . دار صادر بيروت ـ لبنان ، الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م مادة (ف.س.ر) جـ٥ ص٥٥ ، ص ٥٦ ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، ط. دار إحياء التراث العربي ، الأولى ١٩٩١م-١٤١٢هـ ، جـ٢ ص١٥٦، ومختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي ، على بترتيبه محمود خاطر ، ط . دار الحديث القاهرة ، ص٥٢٨.

3 – ينظر : تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، ط . دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، جـ١ ص١٢١.

4- ينظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان جـ١ ص١٢١ .

وقولنا: ومدلولاتها ؛ أى : مدلولات تلك الألفاظ ، وهذا هو علم اللغـة الـذى يحتاج إليه فى هذا العلم . وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية ؛ هذا يشمل علم التصريف ، وعلم الإعراب ، وعلم البيان ، وعلم البديع ، ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب شمل بقوله التى تحمل عليها مـالا دلالـة عليـه بالحقيقة، ومادلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتـضى بظـاهره شـيئاً ويصد عن الحمل على الظاهر صادّ فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غيـر الظاهر وهو المجاز. وقولنا: وتتمات لذلك ؛ هو معرفـة النـسخ ، وسـبب النزول، وقصة توضح بعض ما انبهم فى القرآن ، ونحو ذلك".

وعرّفه الزركشي بأنه :"علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه ، واستمداد ذلك من علـم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقـه والقـراءات. ويحتـاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"[١]

وعرّفه الزرقانى فقال[٢] : " علم يبحث فيه عن القرآن الكـريم مـن حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية ".

وعرّفه بعض العلمـاء بأنـه : " علـم نـزول الآيـات ، وشـئونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومـدنيها، ومحكمهـا، ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصـها وعامهـا، ومطلقهـا ومقيـدها،

---

[1]– ينظر: البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بـن عبـد الله الزركـشى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط.دار الجيل بيروت ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ جـ١ ص١٣.

[2]– ينظر: مناهل العرفان فى علوم القرآن لمحمد عبد العظـيم الزرقـانى ـ ط . دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، جـ٢ ص٣.

ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيهـا ، وعبرها وأمثالها[1].

" وهذه التعاريف الأربعة تتفق كلها على أن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله ــ تعالى ــ بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقـف عليـه فهم المعنى وبيان المراد "[2]

ثانياً : تعريف المنهج لغة :

" المنهج بفتح فسكون: الطريق الواضح البيّن. ونهـجَ الطريـقُ يـنهجُ منهجاً: وضح واستبان. ونهَجَ الطريق : أبانه وأوضحه.ونهجه أيضا سـلكه ، وبابهما قطع.

وطريق نَهْجٌ : بيِّنٌ واضحٌ .

وأنهج الطريق : وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيِّناً.

والمنهاج: الطريق الواضح .

والنَّهْجُ : الطريق الواضح كالمنهج والمنْهاجِ "[3]

---

[1] – ينظر : الإتقان في علوم القرآن للعلامة أبي الفضل جلال الدين عبد الـرحمن أبـي بكر السيوطي ، ط .دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان جـ٢ ص٣٨٣ .

[2] – ينظر : التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ، ط. مكتبة وهبة ، القاهرة، السادسة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م جـ١ ص ١٧،ص١٨ .

[3] – يراجع: لسان العرب لابن منظور جـ ٢ ص ٣٨٣، ص٣٨٤ ، والقاموس المحيط للفيروز آبادى جـ ١ ص ٤٣٢، ومختار الصحاح للرازى ص ٦٨١.

ثالثاً : المقصود بمناهج المفسرين :

المنهج التفسيري :" هو المسلك الذى يتبعه المفسر فى بيـــان المعـــانى، واستنباطها من الألفاظ وربط بعضها ببعض، وذكر ما ورد فيها مـــن آثـــار: وإبراز ما تحتمله من دلالات وأحكام، تبعاً لاتجاه المفسر الفكرى والمنهجى، ووفق ثقافته وشخصيته، فتتنوع المناهج بحسب اختلاف المفسرين أنفـــسهم، وإن اتفق بعضهم فى الاتجاه .

والمقصود باتجاه المفسر فكره ونظره ومذهبه العقدى والفقهى، ووجهته التى يوليها وجهه عند التفسير، من تقليد أو تجديد، ومن اعتماد على المنقول أو المعقول أو الجمع بينهما، ويدخل فيه ميله الثقافى والعلمي، مـــن اهتمـــام بالأدب، أو بالعلوم الكونية، أو الفلسفية، ... إلخ من الاتجاهات "[١]

---

[1] – ابن جرير الطبرى ومنهجه فى التفسير للدكتور محمد بكـــر اســـماعيل ، ط . دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع ص٣١ بتصرف .

التعريف بالمفسّر

اسمه :

" هو الإمام العلامة شمس الدين، محمد بن أحمد الشربيني، القاهريّ، الشافعيّ، الفقيه المفسّر، المتكلم، النحويّ، الصرفيّ

وهذا ما وقفت عليه في المراجع التي توفرت لي ، ما عدا شذرات الذهب فقد ذكره باسم "محمد بن محمد""[1].

كنيته :

كُني العلامة بـ " الخطيب الشربيني " وهذه الكنية التي عرف بها واشتهر بين أهل العلم قديماً وحديثاً.[2]

مولده ونشأته :

"لم تذكر كتب التراجم سنة ميلاده، وقد نشأ في شربين وهي مدينة بمحافظة الدقهلية بجمهورية مصر العربية ، وحفظ القرآن الكريم في صغره، وتلقى العلم على يد أكابر الشيوخ في الفقه والنحو واللغة والتفسير والبلاغة"[3]

---

1 – يراجع : شذرات الذهب في أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي المتوفى ١٠٨٩ هـ ـ ط .المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ١٩٧٩م جـ١ ص٣٨٤، وإيضاح المكنون عن أسامي الكتب والفنون لإسماعيل باشا البغدادي ـ ط . دار الفكر١٩٨٢م، مصورة عن طبعة استانبول ١٩٤٧ م جـ١ ص ١٦١، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إليان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة جـ١ ص١١٠٨ وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ، العصر العثماني ، ترجمة عمر صابر عبد الجليل ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥ – القسم الثامن (١٢-١٣أ) ص١٩٠ .

2 – المراجع السابقة بتصرف .

3 – ينظر: كتاب الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للخطيب الشربيني ـ ط . هيئة الكتاب. ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ، جـ١ ص٣.

شيوخه :

" تتلمذ الشيخ الشربينى على يد علماء أجلاء ؛ فقد أخذ عن الشيخ أحمد البرلسى والشيخ نور الدين المحلى ، والشيخ نور الدين الطهوانى ، والشيخ محمد بن عبد الرحمن بن خليل النشكى الكردى ، والبدر المشهدى ، والشيخ شهاب الدين الرملى ، والشيخ ناصر الدين الطبلاوى ، والشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ جمال الدين السنانى ، وغيرهم. وحينما وصل إلى مرتبة الإفتاء والتدريس أجازوه لذلك ؛ فأفتى ودرّس فى حياة أشياخه ، وقد تخرّج من الأزهر وقام بالتدريس فى الأزهر نفسه ، وانتفع به خلائق لا يحصون".[1]

زهده وورعه :

لقد وصف الخطيب الشربينى بالعلم والعمل والزهد والورع وكثرة العبادة، ومع إقباله على الطاعة والزهد فى الدنيا والتفرغ لدراسة العلم وتدريسه ـ كان كثير التواضع، شديد الحياء ، على علم جم وفضل كبير؛ فكان يؤثر على نفسه ولوكانت به خصاصة ، فقد كان من عادته أن يعتكف من أول شهر رمضان فلا يخرج من الجامع إلا بعد صلاة العيد ، وكان إذا حج لا يركب إلا بعد تعب شديد، وكان من بداية الطريق يعلم الناس المناسك وآداب السفر ويحثهم على الصلاة وكيفية القصر والجمع ، وإذا كان بمكة أكثر من الطواف ، وكان كثير الثناء على شيوخه، ولم يذكر أحدا بسوء ولا يعيب أحداً ولا يسفه رأياً، وكان لا يكترث بأشغال الدنيا ؛ فلا يسعى إلى شئ

---

[1] – يراجع: شذرات الذهب جـ٨ ص ٣٨٤، والخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة لعلى باشا مبارك ـ ط.دار الكتب والوثائق القومية ، الثانية ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م جـ ١٢ ص٣٣٥، وكتاب الإقناع جـ ١ ص٣ .

فيه رئاسة، ولا يزاحم أحداً على صحبة أحد من الولاة والقضاة ، بل ربما لا يعرف أحداً منهم.

وكان كثير الزيارة لقبر رسول الله ﷺ ، يستخير ربه فـــي الروضـــة الشريفة إذا هم بأمر من الأمور، فلم يكتب حرفاً في كتابه 'مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج' إلا بعد أن ذهب إلـــى زيـــارة رســـول الله ﷺ ، وصلى ركعتين بنية الاستخارة في الروضة الشريفة.(١)

مذهبه الإعتقادى :

يتضح من تفسير " السراج المنير " أن الخطيب الشربينى يـــنهج مـــنهج أهل السنة والجماعة فى العقيدة ، وقد تصدى عند تفسيره لبعض الآيات لتفنيد آراء المعتزلة وغيرهم ، مظهرًا مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك كله(٢).

مذهبه الفقهى :

الشيخ الخطيب الشربينى كما جاء فى مقدمة تفسيره شـــافعيّ المـــذهب ، يعتمد فى الفقه والأحكام على المذهب الشافعيّ بصورة رئيسية ، فـــإذا أتـــى على الآيات التى فيها أحكام ذكر أقوال أهل العلم فى معناها ، وما يتعلق بهـــا من قضايا فقهية، وهو فى كل ذلك قد يحقق الأقوال ، ويرجح ولكن نلاحـــظ أنه يميل غالبا للمذهب الشافعي.

مصنفاته :

أجمع أهل مصر على نبوغ الخطيب الشربيني ووصفوه بـــالعلم والعمـــل، فقد ظفرت المكتبة العربية بالكثير من مصنفاته ومؤلفاته التـــى امتـــاز فيهـــا

---

[1] – يراجع: شذرات الذهب جـــ١ ص ٣٨٤ ، والخطـــط التوفيقيـــة الجديـــدة ج١٢ ص٣٣٥، وكتاب الاقناع جـ ٤ ص٣ .

[2] –ينظر : مبحث الإلاهيات ص٢٤٦ من الرسالة.

بالبحث الدقيق والعلم الغزير، فقد لاقت قبولاً عظيماً فشرقت وغربت ، ومازالت تدرس وتقرأ ؛ من هذه المؤلفات :

١- الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع فى الفقه الشافعىّ ، وهو الذى يدرّس على طلاب المرحلة الثانوية الأزهرية ، انتهى من تأليفه سنة ٩٧٢هـ، وبهامشه حاشية المدابغى فى جزءين، بولاق ١٢٩١ هـ، وبهامشه تقريب الشيخ عوض وبعض تقريرات الباجورى ـ بولاق ١٢٩٣هـ، جزءين مع حاشية عليه لسليمان البجيرمى المهيمنية ١٣٠٧هـ جزءين ٢٩٦ / ٣٣٠ [١].

٢- شرح التنبيه لأبى إسحاق إبراهيم بن على الشيرازى الفقيه المتوفى ٤٧٦ هـ ، وهو كتاب فى فروع الشافعية[٢] .

٣- شرح منهاج الطالبين للنووى[٣].

---

[1] - براجع : هداية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون لاسماعيل باشا البغدادى ، ط . دار الفكر جـ١ ص ٢٥٠، والأعلام لخيرالدين الزركلى، ط. دار العلم للملايين ، الرابعة ١٩٧٩ م ، جـ٦ ص٦، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان القسم الثامن (١٢ ، ١٣أ) ص١٩٠، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سركيس جـ١ ص١١٠٨، وكتاب الإقناع للخطيب الشربينى جـ١ ص٤.

[2] - براجع : الأعلام للزركلى جـ٦ ص٦، وهداية العارفين جـ٦ ص٢٥٠، وتاريخ الأدب لبروكلمان القسم الثامن (١٢ ، ١٣ أ) ص١٩٠ ، والخطط التوفيقية الجديدة جـ١ ، ص٣٣٥، وكتاب الإقناع للخطيب الشربينى ص٤.

[3] - براجع : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون للعلامة المولى مصطفى بن عبدالله القسطنطينى الرومى الحنفى ، الشهير بالملا كاتب الحلبى ، والمعروف بحاجى-خليفة ١٠١٧هـ - ١٠٦٧ م ــ ط . دار الفكر ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م جـ٢ ص١١٣٩، وهداية العارفين جـ٦ ص ٢٥٠، وتاريخ الأدب لبروكلمان ــ القسم الثامن ص١٩٠، ومعجم المطبوعات جـ١ ص ١١٠٩ ، والخطط التوفيقية جـ١٢ص ٣٣٥.

٤-مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، وبالهامش متن المنهاج أو منهاج الطالبين للنووى ؛ فقه شافعى ــ الميمنية ٣٠٨ فى أربعة أجزاء [١].

٥-مناسك الحج (فقه شافعىّ) بهامشه حاشية حسب الله المكى

٦-مصر(٥) وهى رسالة معدة للنشر موثقة النسب إليه.[٢]

٧-شرح منهاج الدين فى شعب الإيمان ؛ وهو للشيخ الإمام أبى عبدالله حسين بن الحسن الحليمى الجرجانى الشافعىّ المتوفى ٤٠٣ هـ، وهو كتاب جليل فى نحو ثلاث مجلدات ، فيه أحكام كثيرة ومسائل فقهية ، وغيرها مما يتعلق بأصول الدين.[٣]

٨-نور السجية فى حل ألفاظ الآجرومية.[٤]

٩-فتح الخالق المالك فى حل ألفاظ ألفية ابن مالك.[٥]

١٠- تقريرات الشربينى على المطول فى البلاغة للتفتازانى.[٦]

١١- شرح شواهد قطر الندى وبل الصدى ، ويليه متن القطر فى

---

[1] – يراجع : كشف الظنون ١١٣٩، وهداية العارفين جـ ٦ ص ٢٥٠، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة جـ ١ ص ١١٠٩، وكتاب الإقناع جـ١ ص ٤.

[2] – يراجع الإعلام للزركلى جـ٦ ص٦، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة جـ١ ص١١٠، وتاريخ الأدب لبروكلمان القسم الثامن ص١٩٠، وكتاب الاقناع جـ ١ ص٥.

[3] – يراجع كشف الظنون ص ١١٣٩، وهداية العارفين جـ ٦ ص ٢٥٠، وتاريخ الأدب لبروكلمان القسم الثامن ص١٩١ .

[4] – راجع هداية العارفين جـ ٦ ص٢٥٠، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان القسم الثامن ص١٩١ .

[5] – يراجع إيضاح المكنون جـ ٢ ص ١٦١، وهداية العارفين جـ ٦ ص ٢٥ .

[6] – يراجع الاعلام للزركلى جـ ٦ ص ٦، وهداية العارفين جـ ٦ ص ٢٥٠، وكتاب الاقناع للخطيب الشربينى جـ ١ ص٥ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة جـ١ص١١٠٨.

النحو .[1]

12 - كتاب شرح البهجة فى الفقه لابن الوردى.[2]

13- رسالة فى البسملة والحمد لله.[3]

14- رسالة فى بر الوالدين وصلة الرحم.[4]

15- المواعظ الصفية على المنابر العليّه.[5]

16- سواطع الحكم ؛ وهو شرح على حكم ابن عطاء الاسكندرى.[6]

17- "السراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير" وهو التفسير موضوع البحث الذى بين أيدينا، ويعرف بتفسير الخطيب الشربينى ؛ وهو فى أربع مجلدات، بهامشها فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن للشيخ زكريا الأنصارى – بولاق ١٢٢٩هـ ، أربعة أجزاء ، بهامشها أنوار التنزيل للبيضاوى – الخيرية ١٣/١ أربعة أجزاء،

---

1 – يراجع: الأعلام للزركلى جـ٦ ص٦ ، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان – القسم الثامن ص ١٩١ ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربةجـ ١ ص ١١٠٩ ، وكتاب الإقناع جـ١ ص٥ .

2 – كتاب الاقناع للخطيب الشربينى جـ ١ص ٥ .

3 – تاريخ الأدب لبروكلمان – القسم الثامن ص ١٩٠ .

4 –المرجع السابق ذاته .

5 – المرجع السابق ص ١٩١ .

6 – المرجع السابق ذاته .

وله ذكر في الخزانة التيمورية ٣٩/١ ، وفهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية ٧٨/١[١].

وفاته :

"اختلفت المصادر حول تاريخ وفاة الخطيب الشربيني ـ رحمه الله ـ فقد ذكرت بعض هذه المصادر التي ترجمت له أنه توفي في عصر يوم الخميس ثاني شعبان سنة سبع وسبعين وتسعمائة من الهجرة الموافق ١٥٧٠م. وذكرت مصادر أخرى أنه توفي سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ؛ ولذلك حينما تشير المراجع التي كتبت عنه إلى وفاته تقول : " توفي في حدود ....." تنبيهاً على أن تاريخ الوفاة ليس مؤكداً بالسنة " [٢]

التعريف بتفسير السراج المنير، ومنهج الخطيب الشربيني فيه:

الحديث عن منهج الشيخ الخطيب الشربيني في التفسيريتطلب أن أعرف بالكتاب، ووصفه، وهل هو مطبوع أو مازال مخطوطاً؟ وعرض بعض المسائل التي تعبر عن منهجه ؛ كحديثه في مقدمة تفسيره:

أولاً ـ التعريف بتفسير السراج المنير:

وصف الكتاب:

النسخة التي بين يديّ هي طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م – تحقيق أحمد عزّ وعناية

---

[1] – يراجع : كشف الظنون ص ١١٣٩، وهداية العارفين جـ ٦ ص ٢٥٠، وتاريخ الأدب العربي ـ القسم الثامن ص ١٩٠، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة جـ ١ ص ١١٠٨ ، وكتاب الإقناع جـ ١ ص ٤ .

[2] – يراجع : شذرات الذهب جـ ٨ ص٣٨٤، وهداية العارفين جـ ٦ ص ٢٥٠، والأعلام للزركلي جـ ٦ ص ٦ وكتاب الإقناع جـ ١ ص ٥.

الدمشقيّ، وتتكون من ثمانية أجزاء، يبدأ الجزء الأول منها بمقدمـــة للمحقـــق يشرح فيها عمله فى الكتاب ، وترجمة للمؤلف ، ولمحة عن علـــم التفـــسير وتطوره منذ العهد النبوى الشريف ، وبعض المسائل المتعلقة بـــه كالتأويـــل والإسرائيليات، ثم مقدمة المؤلف التى تبين سبب وضـــعه هـــذا التفـــسير ، ومنهجه الذى اشترطه على نفسه، ومقصده من هذا التفسير، ويبـــدأ الجـــزء الأول بتفسير أول القرآن (الفاتحة) وينتهى مع نهاية تفسير سورة (النـــساء)، ويقع فى ٥٥١ صفحة، ويبدأ الجزء الثانى بتفسير سورة(المائدة) لينتهى مـــع نهاية تفسير سورة (التوبة)، ويقع فى ٤٧٢ صفحة، ثم الجزء الثالـــث الـــذى يبدأ بتفسير سورة (يونس) وينتهى مع نهاية تفسير سورة (الإسراء) ويقـــع فى ٤٩٦ صفحة، ثم الجزء الرابع ويبدأ بتفسير سورة (الكهف) لينتهى مـــع نهاية تفسير سورة (الفرقان)، ويقع فى ٤٨٥ صفحة، ويليه الجزء الخـــامس الذى يبدأ بتفسير سورة (الشعراء) لينتهى مع نهاية تفسير سورة (الأحزاب) ويقع فى ٣٩٩ صفحة، ويليه الجزء السادس ويبدأ بتفـــسير ســـورة (ســـبأ) لينتهى مع نهاية تفسير سورة (الجاثية) ويقع فى ٤٨٨ صفحة، ويليه الجزء السابع ويبدأ بتفسير سورة (الأحقاف) وينتهـــى مـــع نهايـــة تفـــسير ســـورة (الطلاق) ويقع أيضاً فى ٤٨٨ صفحة، ثم الجزء الثامن وهو الجزء الأخيـــر من التفسير ويبدأ بتفسير سورة (التحريم) لينتهى بتفسير سورة (النـــاس) ثـــم خاتمة للمؤلف وأخرى لمصحح دار الطباعـــة، ويقـــع فـــى ٤٨٥ صـــفحة ، وينتهى كل جزء من الأجزاء الثمانية بفهرس خاص به يعرض محتواه.

ثانياً ــ منهج الخطيب الشربينى فى السراج المنير:

تأملات فى مقدمة التفسير:

بدأ الإمام الشربينى تفسيره بحمدالله والثناء عليه بما هو أهله والصلاة والسلام على النبى محمد ﷺ ، وعلى جميع الأنبياء والملائكة وعلى آل النبى ﷺ وصحابته ــ رضوان الله عليهم ــ جميعاً.

ثم أوضح منزلة القرآن الكريم وفضله وإعجازه ككتاب سماوى ؛ فيقول رحمه الله[1]: " إن الله جل ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين بشيراً للمؤمنين ونذيراً للمخالفين ، أكمل به تبيان النبوة وختم به ديوان الرسالة، وأنزل عليه بفضله كتاباً ساطعاً تبيانه قاطعاً برهانه ، ناطقا ببينات وحجج، قرآنا عربيا غير ذى عوج ، مفتاحاً للمنافع الدينية والدنيوية ، مصداقاً لما بين يديه من الكتب السماوية ، حسناته ظاهرة باهرة فى وجه كل زمان ، دائرًا من بين سائر الكتب على كل لسان فى كل مكان، أعجز الخليقة عن معارضته ، وعن الإتيان بسورة من مثله فى مقابلته ، ثم سهّل على الخلق مع إعجازه تلاوته، ويسّر على الألسن قراءته ، أمر فيه وزجر ، وبشّر وأنذر؛ فهو كلام معجز فى رقائق منطوقة ودقائق مفهومة ، لا نهاية لأسرار علومه"

ثم ذكر تخوفه من التفسير وتحرى الدقة فيه ؛ فقال: " وقد ألّف أئمة السلف كتباً فى معرفة أحكامه ونزوله ؛ كل على قدر فهمه ، ومبلغ علمه ، فشكر الله ــ تعالى ــ سعيهم ورحمهم كافتهم، ثم خطر لى أن أقتفى أثرهم وأسلك طريقهم ؛ لعل الله أن يرزقنى من مددهم ، ويعود علىّ من بركتهم فترددت فى ذلك مدة من الزمان ؛ خوفا من الدخول فى هذا الشأن ؛ لقوله

١- انظر : السراج المنير، جـ١، ص٢١.

ﷺ: (من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)[1] وقول سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ: (من قال فى القرآن برأيه) وفى رواية بغير علم: (فليتبوأ مقعده من النار) [2] "

سبب وضعه هذا التفسير:

ثم ذكر الإمام الشربينى سبب وضعه لتفسيره (السراج المنير) فقال إنه استخار الله ــ تعالى ــ بعد أن صلى ركعتين فى روضة النبى ﷺ، وسأله أن يشرح صدره لذلك وييسره له ؛ فشرح الله له صدره، ولما رجع من سفره كتم ذلك في سره ، حتى قال له شخص من أصحابه: إنه رأى في المنام أن النبى ﷺ أو الشافعيّ يقول: قل لفلان يحمل تفسيراً على القرآن، ولم يمض

---

1 – أخرجه الترمذى فى سننه ــ كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ــ باب ما جاء فى الذى يفسر القرآن برأيه جـ٥ ص٤٤ ح٢٩٥٢ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، وقد تكلم بعض أهل الحديث فى سهيل بن أبى حزم ؛ ينظر : سنن الترمذى لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة ، تحقيق : د. مصطفى محمد حسين الذهبى ، ط. دار الحديث ــ القاهرة ١٤٠٢٦ هـ ٢٠٠٥ م .وأخرجه أبو داود فى سننه، كتاب العلم ، باب الكلام في كتاب الله بغير علم جـ٣ ص١٥٨٠ ح ٣٦٥٢؛ ينظر: سنن أبى داوود للإمام الحافظ المصنف المتقن أبى داوود سليمان بن الأشعث= =السجستانى الأزدى ٢٠٢ ــ٢٧٥ هـ شرح ، ط. دار الحديث ــ القاهرة ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .

2 – أخرجه الترمذى فى سننه ــ كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء فى الذى يفسر القرآن برأيه جـ٥ ص٤٣ ح٢٩٥٠، ٢٩٥١ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد فى مسنده جـ٢ ص٥٠٨ ح(٢٠٦٩) وقال محققه أحمد شاكرــ : إسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى بن عامر الثعلبى : وقال أحمد وغيره : ضعيف وردوا تصحيح الترمذى ؛ ينظر: المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ١٦٤ ــ٢٤١ هـ شرحه وصنع فهارسه حمزة أحمد الزين ط.دار الحديث – القاهرة ١٤١٦ هـ ــ١٩٩٥ م الأولى.

عليه إلا القليل حتى قرر في وظيفة مشيخة تفسير في البيمارستان، ثم سألـه بعد ذلك جماعة من أصحابه المخلصين ، وعلى اقتباس العلم مقبلين ، بعد أن رأوه فرغ من شرح " منهاج الطالبين " أن يجعل لهم تفسيراً وسطا بين الطويل الممل، والقصير المخل، فأجابهم إلى ذلك مقتديا بالماضين من السلف في تدوين العلم إبقاءً على الخلف، وليس على ما فعلوه مزيد، ولكن لا بد في كل زمان من تجديد ، ماطال به العهد ، وقصر للطالبين فيه الجد والجهد ؛ تنبيهاً للمتوقفين، وتحريضاً للمتثبطين. (١)

ذكر الامام الشربيني في مقدمة تفسيره منهجه؛ فقال: " مقتصراً فيه على أرجح الأقوال ، و إعراب ما يحتاج إليه عند السؤال، و ترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية ، وأعاريب محلها كتب العربية، وحيث ذكرت فيه شيئاً من القراءات ، فهو من السبع المشهورات ، وقد أذكر بعض أقوال وأعاريب لقوة مداركها أو لورودها ، ولكن بصيغة قيل ليعلم أن المرضي أولها. وسميته "السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير" ثم قال : وقد تلقيت التفسير بحمد الله من تفاسير متعددة رواية ودراية عن أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم وانتشرت مآثرهم. (٢)

وقد سأل الله ــ عز وجل ــ من فضله وإحسانه أن يجعله عملا مقرونا بالإخلاص والقبول ، وفعلا متقبلاً مرضياً زكياً يعد من صالح الأعمال.

ثم يشرع في تفسير القرآن الكريم مبتدأ بفاتحة الكتاب الى آخر سورة الناس .

---

[1] – ينظر: السراج المنيرجـ١ص٢٢بتصرف.

[2] – ينظر: المرجع السابق ذاته.

٣ـ مصادره في التفسير:

اعتمد الخطيب الشربيني في تفسيره على مصادر كثيرة من كتب التفسير والحديث واللغة والسيرة ، والذي أبغيه هنا الكشف عن بعض هذه المصادر التي رجع إليها في كل فن من الفنون وأخذ منه.

وكتب التفسير بالرأي أهم مصادره في تفسيره ؛ فقد نقل عن الزمخشري[1] ، والرازي [2]، والبيضاوي[3]، والنسفي[4]، وأبو حيان[5]، والجلال المحلي[6] ، والبقاعي[1]، وغيرهم.

---

[1] –هو أبوالقاسم : محمود بن عمر بن عمر الخوارزمي ، الإمام الحنفي المعتزلي ، الملقب بجار الله ، ولدعام٤٦٧هـ،توفي عام ٥٣٨ هـ ، له تصانيف بديعة في شتى العلوم ، ومن أجلّها تفسيره : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ؛ ينظر شذرات الذهب جـ٤ص١٢١.

[2] –هوأبو عبد الله : محمد بن عمر الحسين بن الحسن بن علي ، التميمي ، البكري ، الطبرستاني ، الرازي ، الملقب بفخر الدين المتوفى ٦٠٦ هـ ، له تصانيف كثيرة ؛ من أهمها تفسيره الكبير المسمى بمفاتيح الغيب ؛ ينظر : شذرات الذهب جـ٥ ص ٢١ .

[3] –هو ناصر الدين أبو الخير، عبد الله بن عمر بن محمد بن عليّ ، البيضاويّ ، توفي عام ٦٨٥ هـ ، تفسيره : أنوار التنزيل وأسرارالتأويل في التفسير؛ ينظر: شذرات الذهب جـ٥ ص٣٩٢.

[4] –هو أبو البركات ، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي ، له تصانيف معتبرة في الفقه والأصول وغيرهما ، تفسيره يسمى : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، توفي عام ٧٠١ هـ ؛ ينظر: كشف الظنون جـ٢ ص٢٤٨.

[5] –هو أثير الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان،الأندلسي، ولد عام٦٥٤هـ ،وتوفي عام٧٤٥هـ،تفسيره يسمى :البحر المحيط ؛ ينظر: كشف الظنون، جـ٢ص١٤٥.

[6] –هو جلال الدين ، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحليّ الشافعيّ ، ولد بمصر عام ٧٩١هـ ، وتوفي عام ٨٦٤ هـ ؛ ينظر : شذرات الذهب جـ٧ص٣٠٣.

وقد اهتم أيضاً بالتفسير النقلى ؛ فنقل عن ابن جرير الطبرى[٢]، والبغوى[٣]، وابن كثير[٤]. كما نقل الكثير من أقوال الصحابة والتابعين ؛ مثل عائـــشة[٥]، وعلى[٦]،

---

1 – هوأبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن بن على بن أبى بكر البقـــاعى الـــشافعى، مؤرخ ، أديب ، أصله من البقاع فى سورية ، تفسيره :"نظم الدرر فى تناسب الآيـــات والسور" ، ولد عام٨٠٩هـــ ، وتـــوفى عـــام٨٨٥هـــــ ؛ ينظـــر:الأعـــلام للزركلـــى جـــ١ص١٧٣.

2 – هومحمد بن جرير بن يزيد الطبرى "أبو جعفر" ، المورخ ، المفسر ، الإمام ، ولـــد فى طبرستان عام ٢٢٤هـــ ، وتوفى عام ٣١٠هـــ ، تفسيره : جامع البيان فى تفـــسير القرآن ؛ ينظر : الأعلام للزركلى جـــ٦ص٦٩.

3 – هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بـــالفرّاء البغـــوى ، الفقيـــه الشافعى المحدث المفسر الملقب بمحى السنة وركن الدين ، توفى عام ٥١٠هـــ ، تفسيره هو: معالم التنزيل ؛ ينظر: كشف الظنون جـــ٢ ص ٢٨٥.

4 –هوالامام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير بن زرع البـــصرى ثـــم الدمشقى الفقيه الشافعى ، ولدعام ٧٠٠ هـــ،وتوفى عام ٧٧٤هـــ ، وتفسيره هو:"تفسير القرآن العظيم"؛ ينظر: شذرات الذهب جـــ٦ ص٣٣١، ٣٣٢ .

5 –هى أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق ـــ رضى الله عنهمـــا ـــ زوج النبـــى صلى الله عليه وسلم ـــ كانت ـــ رضى الله عنها ـــ أفقه الناس وأعلم النـــاس وأحـــسن الناس رأيا؛ كما قال عطاء بن أبى رباح ، توفيت عام٥٧هـــ ؛ ينظر: الاســـتيعاب فـــى معرفة الأصحاب لابن عبد البر، تحقيق على البجاوى ، ط. دار الجيل بيروت ١٩٩٢ ، جـــ٤ص٤٣٥.

6 –هو الإمام على بن أبى طالب ، ابن عم النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وزوج ابنته فاطمة الزهراء ـــ رضى الله عنهما ـــ وأول الصبيان إسلاما ، آخر الخلفاء الراشـــدين الأربعة ، استشهد عام٤٠ هـــ ؛ ينظر : الاستيعاب جـــ٣ ص١٩٧.

وابن مسعود[1]،وأبو هريرة[2]ـ رضى الله عنهم ـ وابن عبـاس[3]، وابـن عمر[4]، وجابر[5]، ومجاهد[6] ، وقتادة[1] ، والسُدّى[2]ـ رحمهم الله ـ.

---

1 –هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبدالرحمن الهزلى ، أول مـن جهـر بالقرآن بمكة ، هاجر الهجرتين ، وصلى القبلتين ، وشهد كل المشاهد مع الرسول ﷺ، وروى عنه الحديث ، توفى ٣٢هـ ؛ ينظر :الإستيعاب جـ ٣ ص١١٠ .

2 –هو عبدالرحمن بن صخر الدوسى، أسلم عام خيبروشهدها مع النبى ﷺ ولزمه رغبة فى العلم ، كان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ ، توفى بالمدينةعام٥٧هـ ؛ ينظـر : الاستيعاب جـ٤ص٣٣٢.

3 –هو أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى ، صحابى جليل، من أكابر العلماء بالفقه والحديث والتفسير فى صدر الإسلام ، وهو ابن عم النبى ﷺ

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ،كان يسمى البحر لسعة علمه ، ويسمى حبر الأمة، توفى سنة ٦٨ هـ بالطائف ؛ ينظر: الاستيعاب جـ٣ ص ٦٦ .

4 –هو عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشى ، العدوى ، أسلم مع أبيه وهو صـغير لـم يبلغ الحلم ، وهاجر قبل أبيه ، روى عن النبى ﷺ فأكثر ، توفى عام ٧٣هـ ؛ ينظـر : أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، ط. دار الشعب ١٩٧٠ م ،جـ ٣ص٣٤٠ .

5 –هو جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصارى ، السلمى ، من بنـى سـلمة ، وأحدالمكثرين عن النبى ﷺ ، توفى عام٧٤هـ ؛ ينظر: الاستيعاب جـ١ص٢٩٢.

6 –هو مجاهد بن جبير"أبو الحجاج"المكى شيخ القراء والمفسرين ، وكـان أعلمهـم بالتفسير، أخذ القرآن والتفسير والفقه عن ابن عباس ، توفى ١٠٣هـ ؛ ينظر: شذرات الذهب جـ١ص١٢٥.

واعتمد الخطيب الشربيني في شرح الكلمات القرآنية على كثير من علماءاللغة كالفرّاء[٣] ، والأخفش[٤]، والزجّاج[٥] ، و سيبويه[٦] ، وأبي البقاء[٧].

أما مصادره في كتب الحديث فكثيرة أيضا مثل صحيح البخاري[٨]،

---

1 –هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز،أبو الخطاب السدوسيّ البصريّ ،المفسر،حافظ ضرير ؛ قال عنه الإمام أحمد: قتادة أحفظ أهل البصرة ، توفى ١١٧هـ ؛ ينظر: الأعلام للزركلي جـ٥ ص١٨٩.

2 –هوإسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السدي"أبو الحمد"القرشي ذكره ابن حبان في الثقات ، توفي عام ١٢٧هـ ؛ ينظر: معجم المؤلفين جـ١ص٣٦٨.

3 –هوأبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظورالديلميّ ، المعروف بالفرّاء ، إمام الكوفيين ، وأعلمهم باللغة والنحو وفنون الأدب ، من مؤلفاته معاني القرآن، مشكل اللغة، توفى ٢٠٧هـ ؛ ينظر : الأعلام للزركلي جـ٨ ص١٤٥.

4 –هوأبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي ، مولى مجاشع ، أخذ النحو عن سيبويه وصحب الخليل ، توفى سنة ٢٢٥هـ ؛ ينظر :إنباه الرواه على أنباء النحاة للقفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط. دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٨٦ م ، جـ٢ ص ٣٦.

5 –هوإبراهيم بن السري بن سهل "أبو إسحاق" ، النحوي ، اللغوي ، المفسر ، له من الكتب : معاني القرآن ، والإشتقاق ، والعروض ومختصر النحو ، توفى سنة ٣١١هـ؛ ينظر : الأعلام للزركلي جـ١ص٤٠.

6 –هوعمرو بن عثمان بن قَنْبَر، مولى ابن الحارث بن كعب بن عمرو بن علّة بن جلد ابن مالك ، أخذ النحو عن الخليل بن أحمد الفرهودي الأزدي ، وأخذ اللغة عن الأخفش الكبير وغيره ، وله كتابه المنسوب إليه في النحو ؛ ينظر: إنباه الرواة على أنباء النحاة جـ٢ ص٣٤٦.

7 –هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ، البغدادي ، عالم اللغة والأدب والفرائض وإعراب القراءات الشاذة ، توفى ٦١٦ هـ ؛ ينظر: الأعلام جـ٤ ص٨٠ .

8 – هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المغيرة بن بردزيه ، الإمام أبو عبد الله البخاري الجعفي مولاهم ، الحافظ ، العلم ، صاحب الصحيح وإمام هذا الشأن والمعول على

وصحيح مسلم[١]، والمسند لأحمد [٢]، وسنن ابن ماجه [٣]،وسنن الترمذى[٤]، وسنن النسائى[٥] ،

صحيحه فى أقطار البلدان ، ولد سنة ٢٩٤ هــ ومات سنة ٣٥٦ هــ ؛ ينظر : طبقات المفسرين للداودى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٠ م جــ٢ ص١٠١ ــ١٠٤ .

1 –هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ، أبو الحسين ، حــافظ ، مــن أئمة المحدثين ، أشهر كتبه: صحيح مسلم ، والمــسند الكبيــر، والجــامع ، وأوهــام المحدثين، وغيرها ، توفى عام٢٦١ هــ ؛ ينظر : الأعلام للزركلى جــــ٧ ص٢٢١ .

2 –هوالإمام أحمد بن حنبل بن هلال الشيبانى "أبو عبد الله" أحــد الأئمــة ، صــاحب المسند، والزهد ، وفضائل الصحابة ، توفى عام ٢٤١هــ ؛ ينظر : طبقــات القــراء للسيوطى جــ١ ص١٨٩ .

3 –هو محمد بن يزيد الربعى القزوينى ، أبوعبد الله،ابن ماجه ، أحد أئمة الحديث ، من أهل قزوين ، من تصانيفه: سنن ابن ماجه ، وتفسير القرآن ، وتاريخ قزوين ، تــوفى عــــام ٢٧٣ هـــــ ، ينظـــر الأعـــلام للزركلــــى جـــــ٧ص١٤٤.

4 –هوأحمد بن شعيب على النسائى الحافظ، صاحب السنن ، شــيخ الاســلام ، ناقــد الحديث، توفى عام ٣٠٢ هــ ؛ ينظر: تقريب التهذيب لخاتمة الحفــاظ لابــن حجــر العسقلانى ،ط. دار المعرفة ــ بيروت ــ الثانية ١٣٩٥ هــ ١٩٧٥ م ، جــ١ ص٨٠.

5 –هوأحمد بن عيسى بن سورة السلمى الترمذى أبو عيسى ، من أئمة الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ على نهر جيجون ، تتلمذ على البخارى ، توفى عام ٢٧٩ هــ ؛ ينظــر: الأعلام للزركلى جــ٦ ص٣٢٢ .

وسنن البيهقي [1]، والطبراني [2]،وشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني[3]، وغيرها .

والمتتبع لتفسير الخطيب الشربيني يقف على مصادر مختلفة أخرى استفاد منها الشيخ ؛ مما يدل على سعة ثقافته وغزارة علمه .

مدى تطبيقه لمنهجه

يسهل على الباحث أن يضع منهجاً لبحثه وأن يشترط على نفسه ما شاء في هذا المنهج ، وكلما كان الباحث ملماً بنقاط بحثه ومحيطا بما اشتمل عليه، كان مراعيا لمنهجه وملتزماً بتطبيقه ، فيأتي البحث أكمل وأكثر نفعا ، وقد عرضت منهجه في التمهيد ، كما ذكره في مقدمة تفسيره ، وقد خصصت لكل نقطة من هذه النقاط بحثاً مستقلا ، ويبقى أن أبيّن مدى التزام الخطيب الشربيني بهذا المنهج وتطبيقه له ، فبعد المطالعة الدقيقة لتفسيره وجدته إلى حد كبير حريصا على تطبيقه ويعني بإبراز جوانبه في الغالب

---

1 -هوأحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر،من أئمة الحديث ، من مؤلفاته : السنن الكبرى والسنن الصغرى ، والترغيب والترهيب ، وفضائل الصحابة ، توفي سنة ٣٥٨هـ؛ ينظر: الأعلام للزركلي جـ١ ص١١٦ .

2 -هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللاخمي الشامي ، أبو القاسم ، من كبار المحدثين ، أصله من طبرية الشام ، له ثلاثة معاجم في الحديث ، وله كتب في التفسير، توفي عام ٣٦٠ هـ ؛ ينظر :الأعلام للزركلي جـ٣ ص١٢١ .

3 -هوأحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حجر أصله من عسقلان بفلسطين ، ومولده ووفاته بالقاهرة ، ولع بالأدب والشعر، ثم أقبل على الحد يث ، ومن تصانيفه : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، والكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف ، وألقاب الرواة ولسان الميزان ، توفي عام٨٥٢هـ؛ ينظر: الأعلام للزركلي جـ١ ص١٧٨ .

الأعم عند تفسيره للآيات القرآنية ، إلا أن منهجه الذى اشترطه على نفسه يشتمل على الخطوط الرئيسة لطريقته فى البحث ، فعند قراءة تفسيره نجد منهجه أكثر تفصيلا لمسائل البحث المختلفة ، وقد أرسى تفسيره على أسس علميه واضحة تجمع بين المأثور والرأي الجائز ، وتدل على سعة علمه ، وإلمامه بمختلف العلوم واستيعابه لما يكتبه غيره ممن سبقه من العلماء.

فتفسير الإمام الخطيب الشربيني رغم أنه ليس بالطويل الممل إلا أنه لا يكاد يترك مبحثاً من مباحث التفسير إلا وتطرق إليها ، فقد اهتم ببيان مسائل كثيرة تتعلق بالتفسير وأجاد فى عرضها؛ ومن أهمها تفسير البسملة تفسيرًا يتناسب مع مقاصد كل سورة ، والمناسبات بين السور والآيات ، والقراءات، وتوظيف القواعد اللغوية في التفسير وغيرها.

وقد وفى الإمام الخطيب الشربينى بما اشترطه على نفسه فى مقدمة تفسيره؛ فتفسيره حقا ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل ، ولم يقحم نفسه فيما لا يعنى المفسر من ذكر الأعاريب التى لا تمت إلى التفسير بصلة.

إلا أنه اشترط على نفسه ألا يذكر من الأحاديث إلا الصحيح والحسن، وذكر العديد من الأحاديث الضعيفة التى نبّه عليها فى بعض المواضع ، وفى مواضع أخرى لم ينبّه ، وكذلك ذكر الكثير من الأحاديث الموضوعة ؛ حتى تتبع فى نهاية كل سورة ما ذكره البيضاوى تبعًا للزمخشرى فى فضائل السور لينبه عليها ، وأيضا تفسيره ملىء بالإسرائيليات التى يمر عليها دون تعليق أو تضعيف.

كما اشترط الخطيب الشربينى على نفسه ألا يذكر من القراءات إلا السبعة المتواترة، وأورد بعض القراءات الشاذة ، ولكنه نبّه عليها.

والمطالع لتفسير الإمام الخطيب الشربيني يجده يتناول السورة القرآنية بالتفسير على النحو التالي:

- يصدّر السورة بذكر اسمها ، وقد يذكر اسمًا آخر لها،وسر تسميتها، ويبين كونها مكية أو مدنية.
- يذكر عدد آياتها وعدد حروفها.
- يفسر البسملة حسب مقاصد كل سورة وأهدافها.
- ثم يشرع في تفسير الآيات مبيِّنًا أسباب النزول ومعاني المفردات.
- ويعرض الناسخ والمنسوخ.
- ويلتمس المناسبات بين السور والآيات.
- ويبيِّن القراءات السبع فيها.
- ويعرض أقوال السلف في التفسير وأقوال الفقهاء في الأحكام.
- ويذكر آراء الفرق المختلفة مظهرًا رأى أهل السنة والجماعة ، ويستفيض في ذكر القصص.
- ويختتم كل سورة بتتبع ما يذكره البيضاوي تبعًا للزمخشري من أحاديث موضوعة في فضل السورة ، ويبيِّن ما يصح من فضائلها.

هذا على الإجمال منهج الخطيب الشربيني في تفسيره كما استقيته من مطالعتي له ، وفي مباحث الرسالة تفصيلٌ له.

تأثره بمن سبقه من المفسرين

اعتمد الإمام الخطيب الشربيني في تفسيره بصورة كبيرة على من سبقه من المفسرين ، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة تفسيره فقال[1]: "وقد تلقيت التفسير بحمد الله من تفاسير متعددة روايةً ودرايةً، عن أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم، واشتهرت وانتشرت مآثرهم ،جمعني الله وإياهم والمسلمين في مستقر رحمته بمحمد ﷺ .

كما أوضح ذلك في خاتمة تفسيره، حيث يقول عند انتهائه من التفسير[2]:

"فدونك تفسيرًا كأنه سبيكةُ عَسْجَد[3]، أو دُرٌ منضَّد[4] جمع من التفاسير معظمها"

فالمطالع لتفسير الشيخ الخطيب الشربيني يجده قد نقل عن العديد ممن فسَّروا قبله بالمأثور والرأى ؛ فمن المفسرين بالمأثور الذين نقل عنهم الطبريُّ والبَغَويُّ، وممن فسَّروا بالرأى ونقل عنهم الرازى والزمخشريُّ والبيضاويُّ والنَّسَفيُّ و أبو حيان والجلال المحليُّ والبِقاعيُّ وغيرهم، إلا أنه كثيرًا ما يعتمد على التفسير الكبير للفخر الرازى ؛ فالمطالع لتفسير الشيخ الشربينى يجده يكثر من النقل عن تفسير الفخر الرازى ، ويختار ترجيحاته، ويميل لآرائه.

---

[1] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٢.

[2] – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٤٨٠.

[3] – العسجد: هو الذهب، وقيل:هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت، ينظر لسان العرب لابن منظور ، مادة " ع ، س ، ج ، د " جـ٣ ص٢٩٠ .

[4] – نضد الشيء : جعل بعضه على بعض متسقًا أو بعضه على بعض ؛ ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة " ن ، ض ، د " جـ ٣ ص٤٢٤ .

وعندما ينقل الشيخ الخطيب الشربيني عن غيره من المفسرين قد ينسب ما ينقله من أقوال، وقد لا ينسبها ، وقد يناقش ما ينقله ويرجح، وقد يتعقب هذه الآراء بالتضعيف ويردها . وسأعرض اتجاهاته في النقل عن المفسرين بالأمثلة فيما يأتي:

١-عرض الأقوال ونسبتها لقائليها:

كثيرًا ما ينسب الشيخ الخطيب الشربيني الأقوال إلى المفسرين الذين نقل عنهم:

● ومثال ذلك استدلاله بقول البقاعي عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾[1] إذ يقول الخطيب الشربيني [2]: "ففي ذلك تذكير بإنعام الله ــ تعالى ــ عليهم وإنقاذ آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة. قال قتادة [3]: "الناس كلهم من ذرية نوح ؛ لأنه كان معه في السفينة ثلاث بنين سام وحام ويافث، فالناس كلهم من ذرية أولئك"، قال البقاعي[4]:" لأن الصحيح أن من كان معه من غير ذريته ماتوا ولم يعقبوا . ولم يقل ذرية نوح ليعلم أنهم عقِبُ أولاده المؤمنين لتكون تلك منّةً أخرى".

---

1 – سورة الإسراء : جزء من آية ٣.

2 – ينظر: السراج المنير : جـ٣ ص٤٠٥.

3 – ذكره الطبري في تفسيره للآية نفسها جـ١٥ ص ١٥؛ ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفرمحمد بن جرير الطبري ،ط. دار الجيل ــ بيروت .

4 – ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه :عبد الرزاق غالب المهدي ، ط. دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ١٤٢٥ هـ ــ١٩٩٥م الأولى جـ٤ ص٣٣٤.

● وعند إنتهائه من تفسير قوله ــ تعالى ــ :﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾[1] يذكر مسألة نقلا عن الزمخشري فيقول[2]: " قال الزمخشري[3]:" فإن قلت: ما للتقابل لم يراع في قوله ــ تعالى ــ " ليسكنوا" و"مبصرا" حيث كان أحدهما علة والآخر حالا؟ قلت: هو مراعى من حيث المعنى ، وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف ؛ لأن معنى "مبصرا" ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب".

● وأيضًا عن انتهائه من تفسير قوله ــ تعالى ــ :﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾[4]ينقل تعليقا عن البيضاوي فيقول[5]: " قال البيضاوي[6]: و لعله عقّب به وعيد المسيئين لئلا ييأس صاحبُ الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى".

● وينقل عن الزمخشري والبقاعي عند تفسير قوله ــ تعالى ــ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾ [7]

---

1 – سورة النمل : جزء من آية ٨٦.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص١١٤.

3 – ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخورزمي ٤٦٧ ــ ٥٣٨ هـ ، وبآخره "تنزيل= =الآيات على الشواهد من الأبيات " للعالم المدقق محب الدين أفندى ، ط. دار الفكر ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م الأولى جـ٣ ص١٦١.

4 – سورة النجم : جزء من آية ٣٢.

5 – ينظر: السراج المنير جـ٧ ص٢٠٢.

6 – ينظر: حاشية محيي الدين شيخ زاده محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي المتوفى سنة ٩٥١ على تفسير القاضي البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ضبطه وصححه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين ، ط. دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م الأولى جـ٨ ص٢١.

7 – سورة الأحقاف : جزء من آية ٢٦.

فيقول[١]: " تنبيه: قال البقاعي [٢]:" وجعل النافى "إن" ؛ لأنها أبلغ من "ما" لأن ما تنفى تمام الفوت، لتركبها من الميم والألف التى حقيقة إدراكها فوت تمام الإدراك. وإن تنفى أدنى مظاهر مدخولها، فكيف بما وراءه من تمامه ؟ لأن الهمزة أول مظهر لفوت الألف والنون لمطلق الإظهار ـ هذا إلى ما فى ذلك من عذوبة اللفظ وصونه عن ثقل التكرار، إلى غير ذلك من بديع الأسرار" أ.هـ

وقال الزمخشرى[٣]:" إن نافية ؛ أى: فيما ما مكناكم فيه ؛ إلا أن "إن" أحسن فى اللفظ ، لما فى مجامعة ما بمثلها من التكرار المستبشع ومثله مجتنب. ألا ترى أن الأصل في مهما: ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء ولقد أغث أبو الطيب في قوله:

لعمرك مَامَا بَانَ منْكَ لِضَارِبِ[٤]

وما ضرّه لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال:

لعمرك ما إن بان منك لضارب.وقد جعلت "إن" صلة مثلها فيما أنشده الأخفش رحمه الله:

يُرَجِّي المرء ما إنْ لا يَراه وتَعْرِضُ دُون أدْنَاه الخُطوبُ[٥]

---

1 – ينظر : السراج المنير جـ٧ ص٢٥.

2 – ينظر : نظم الدرر للبقاعي جـ٧ ص١٣٨.

3 – ينظر : الكشاف للزمخشرى جـ٣ ص٥٢٥.

4 – صدر بيت للمتنبى :" يَرَى أن ما مَا بَانَ مِنْكَ لِضَارِبِ بأَقْتَلَ ممَّا بَانَ منْكَ لَعائبِ" ، وهو من الطويل ؛ ينظر :ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبرى ،المسمى بالتبيان في شرح الديوان ـ ط. مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٥٥هـ ـ١٩٣٦ م حرف الباء جـ١ ص١٥٨ .

5 – البيت من الوافر فى خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادى ١٠٣٠ ـ١٠٩٣ هـ ،ط .مكتبة الخانجى ،القاهرة ،تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ،الثانية جـ٨ ص٤٤٠، وقال إن المشهور فيه"يرجى المرء ما إن لا

وتؤول بأنّا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الأول".

٢-عرْض الأقوال غير منسوبة لقائليها:

● ومثال ذلك التنبيه الذي ذكره بعد انتهائه من تفسير قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ**﴾[1] حيث يقول[2]: " تنبيه: أكثر المفسرين على أن المراد بالكتاب القرآن، وقيل: إن المراد جنس الكتاب ".

● وأيضًا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **يَوْمَ التَّنَادِ**﴾[3]يقول[4]:"وقوله ﴿**يَوْمَ التَّنَادِ**﴾ أجمع المفسرون أنه يوم البعث".

● وكذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ** ﴾[5] يقول[6]:" أي: بسبب إقامة الحق، وقيل: خلقهما بكلامه الحق الذي هو قوله تعالى:'كن' ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **أُمَّ الْقُرَى** ﴾[7]يقول الخطيب الشربيني:[1] " وسميت أم القرى لأنها قِبلة أهل القرى ومَحَجُّهم ومجتمعهم وأعظم القرى شأنًا . ولبعض المجاورين:

بلاقي"، وشرح شواهد الكشاف جـ٤ ص٣٤٣، ٣٤٤ وقال : أنشده الأخفش من شعر إياس بن الأرتّ.

1 – سورة فاطر : جزء من آية ٣٢.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٦ ص٧٨.

3 – سورة غافر : جزء من آية ٣٢.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٦ ص٣٠٨.

5 – سورة الأنعام : جزء من آية ٧٣.

6 – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص١٢٥.

7 – سورة الأنعام : جزء من آية ٩٢.

فمَنْ يُلْقِ فى بعضِ القُرَيَّات رَحلَـــهُ فأمُّ القرى مُلْقَىَ رحالى ومُنتَـــابى[٢]

وقيل: لأن الأرض دحيت من تحتها ، أو لأنها مكان أول بيت وضـــع للناس".

وتلك بعض أمثلة من مواضع كثيرة لا ينسب الشيخ الخطيب الشربينى فيها الأقوال لأصحابها ؛ فتارة ينسبها إلى المفسرين بالإجماع أو أكثـــرهم أو يصدّرها بصيغة قيل ، خاصّة إذا كان الرأى عنده هو الأضعف ؛ ليبّـــين أن المذكور أولا هو المختار عنده.

٣-يعرض الأقوال ولا يناقشها:

والشيخ الشربينى ــ مع حرصه على جمع ما يستطيع من آراء تفيـــد فى تفسير الآية وبيان المعانى المختلفة ــ يعرض فى الغالـــب الأعـــم هـــذه الآراء دون مناقشتها أو ترجيح أحدها.

● ومثال ذلك ما فعله عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَهُوَ اللَّطِيـــفُ الْخَبِيرُ** ﴾[٣] حيث يقول[٤]: "قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما :اللطيـــف بأوليائه الخبير بهم، وقال الزهرى[٥]: اللطيف الرفيق بعباده، وقيل: اللطيـــف

---

[1] – ينظر: السراج المنير جــ٢ ص١٣٦.

[2] –البيت من الطويل ، للزمخشرى ، واستدل به عند تفسيره لسورة الأنعام (ولتنـــذر أم القرى)؛ ينظر: شرح شواهد الكشاف فى نهاية تفسير الكشاف جــ٤ ص٣١٧ .

[3] – سورة الأنعام : جزء من آية ١٠٣.

[4] – ينظر: السراج المنير جــ٢ ص١٣٦.

[5] –هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحـــارث بـــن زهرة ابن كلاب القرشى الزهرى ، وكنيته أبو بكر ، الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته وإتقانه، وهو من روءوس الطبقة الرابعة ، مات سنة خمس وعشرين ، وقيل قبل ذلك

الموصل الشيء بالرفق واللين، وقيل: اللطيف الذى ينسى العباد ذنوبهم لـئلا يخجلوا".

● وأيضًا يعرض الآراء دون مناقشتها عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **ولا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ** ﴾[1]

حيث يقول [2]: " قال ابن جُريج[3]: أى: من القرآن، وقيل: مما ألقى الشيطان على رسول الله ﷺ يقولون فما باله ذكرها بخير ثم ارتدّ عنها، وقيـل: مـن الدِّين وهو الصراط المستقيم".

● وعند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** ﴾[4] قال الخطيب الشربينى[5]: "﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ من هم؟ فقيل: هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم أبو جهل والحارث ابنـا هشام، وعقبة وشيبة ابنا ربيعة؛ وغيرهم ، وقيل: كفار قريش ، وقيل : أهـل الكتاب ، وقيل : كل كافر؛ لأنهم ستروا أنوار الأدلة وضلوا على علم".

بسنة أو سنتين ؛ ينظر: تقريب التهذيب لخاتمة الحفاظ ابن حجر العسقلانى ـ ط . دار المعرفة بيروت ، الثانية ١٣٩٥ هـ ـ١٩٧٥ م ، جـ٢ ص٢٠٧.

1 – سورة الحج : جزء من آية ٥٥.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص٣١١.

3 – هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج مولاهم ، الأموى بالولاء ، أبو الوليد وأبو خالد ،فقيه الحرم المكى ، وإمام أهل الحجاز فى عصره ،أول مكـى رتـب الأحاديـث ترتيبًا منهجيًا، قال عنه أحمد بن حنبل : "كان من أوعية العلم " وقال الـذهبى : "كـان ثبتًا، لكنه يدلس " له " تفسير القرآن " ولد سنة ٨٠ هـ ومات سنة ١٥٠ هـ ؛ ينظـر معجم المفسرين لعادل نويهض جـ١ص٣٣٣ .

4 – سورة محمد : آية ١.

5 – ينظر: السراج المنير جـ٧ ص٣٥.

٤-يعرض الأقوال ويختار الأظهر منها ويرد الضعيف :

● ومثال ذلك ردّه (تضعيفه) رأى البيضاوى عند ذكره للقـراءات فـى قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْحَامَ ﴾[١]

حيث يقول[٢]: " وقرأ غير حمزة بالنصب عطفا علـى "الله" ــ تعـالى ؛ فالعامل فيه اتقوا كما قدرته أو معطوف على محل الجارّ والمجرور؛ كقولك: مررت بزيد وعمرًا، وأما حمزة فقرأ بالجر عطفًا على الضمير المجـرور، وقول البيضاوى[٣]: وهو ضعيف أى: كما هو مذهب البـصريين ممنـوع ، والحق أنه ليس بضعيف ؛ فقد جوّزه الكوفيون، وكيف يكون ضعيفًا والقراءة به متواترة؟ فيجب أن يضعف كـلام البـصريين ويرجـع إلـى كـلام رب العالمين، وتعليلهم عدم الجواز بكونه كبعض كلمة لا يقتضى إلحاقه بـه فـى عدم جواز العطف ؛ إذ حذف الشيء مع القرينة جائز ومنه :

رَسْمِ دارٍ وقفتُ فى طَلَلِهِ[٤]

أى: ورب رسم دار وقول الشاعر:

اذهب فما بك والأيام من عجب[٥]".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾[٦] يختار رأيًا يرى أنه الأظهر حيث يقول[١]: "﴿ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ هـو الله ــ

---

[1] – سورة النساء : جزء من آية ١.

[2] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٣٦،٤٣٥.

[3] – ينظر:حاشية زادة على البيضاوى جـ٣ص٢٤٧.

[4] – صدر بيت لجميل بثينة ، وعجزه:(كِدْتُ أقضى الغَداةَ مِـن جَلَلِـه) ، وهـو مـن الخفيف؛ ينظر: ديوان جميل ، شعر الحب العذرى ، جمع وتحقيق وشـرح د.حـسين نصار ــ ط. مكتبة مصر ، حرف اللام ص١٨٧ .

[5] –عجز بيت من البسيط ، وصدره " فاليوم قد صرت تهجونا وتشتمنا"، ذكـره محـى الدين شيخ زاده بلا نسبة فى حاشيته على البيضاوى جـ٣ ص٢٤٨ .

[6] – سورة الرعد : جزء من آية ٤٣.

تعالى ـــ. قال الحسن: لا والله لا يعني إلا الله ، والمعنى كفـــى بـــالله الـــذى يستحق العبادة، وبالذى لا يعلم علم ما في اللوح إلا هو شهيدًا بيني وبيـــنكم، وهذا أظهر كما استظهره البقاعي[٢]، وإن كان عطف الصفة على الموصوف خلاف الأصل إذ يقال: شهد بهذا زيد الفقيه، لا زيد والفقيه؛ لأنه جـــائز فـــي الجملة، وقيل: معناه: أن علم أن القرآن الذى جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر؛ لما فيه من الفصاحة والبلاغة والإخبار عـــن الغيـــوب وعـــن الأمـــم الماضية ؛ فمن علمه بهذه الصفة كان شهيدًا بيني وبينكم والله أعلم بمراده".

● وكذلك يعرض الآراء في معنى الغرانيق ويختار ما يـــراه أحـــسنها فيقول[٣]: "وعلى القول بها قد سلك العلماء في ذلك مسالك أحسنها أن النبـــيّ ﷺ كان يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات، ونطق بتلـــك الكلمات محاكيًا نغمتها بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قولـــه وأشـــاعها، وقال البيضاوى بعد أن ذكر بعض هذه القصة[٤]: وهو مردود عند المحققين، وإن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه، انتهى. قال ابن الأثير[٥] والغرانيق هنا الأصنام، وهي في الأصل للذكور من طير الماء، واحدها غرنوق وغرنيق ، سمي به لبياضه ، قـــال: وكـــانوا يزعمـــون أن الأصنام تقرّبهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلـــو إلـــى الـــسماء

---

[1] – ينظر: السراج المنير جـــ٣ ص٢٤٢.

[2] – ينظر: نظم الدرر للبقاعي جـــ٤ ص١٦٤ .

[3] – ينظر السراج المنير : جـــ٤ ص٣١٠.

[4] – ينظر حاشية زادة على البيضاوى : جـــ٦ ص١٢٤.

[5] –هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزرى أبو السعادات مجد الدين،المحدث،اللغوى،الأصولي ، ولد سنة ٥٤٤ هـــ ،من كتبه الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف في التفسير ،أحاديث الرسول جمع فيه الكتب الـــستة والمختـــار فـــي مناقب الأخبار، توفي عام ٦٠٦ هـــ ، ينظر: الأعلام جـــ٦ ص٥٢ .

السماء وترتفع ، وقيل: تمنى أى: قرأ ، كقول حسان فى حــق عثمـــان ابـــن عفان:

تَمَنَّـــــى كِتـــــابَ اللهِ أوَّلَ ليلــــهِ تَمَنِّيَ داودَ الزَّبُــورَ علـــى رِسْــلِ[1]

أى على تأنٍّ وتمهّل".

هذا وقد تتبع الشيخ الخطيب الشربينى كل ما ذكره البيـــضاوى تبعًـــا للزمخشرى فى فضائل السور ونبّه على كونه ضعيفًا أو موضوعًا، كمـــا ردّ ما ذكره غيره من الدخيل فى القصص مما يُخل بعـــصمة الأنبيـــاء؛ وكـــذلك ناقش آراء الفرق المخالفة لأهل السنة فى العقيدة ففنّدها وردّ عليها، وقد بيّنت ذلك بالأمثلة المختلفة كلا فى مبحث خاص.

---

[1] – البيت من الطويل ، نسبه ابن منظور فى لسانه لحسان بن ثابت ــ رضى الله عنه- مادة "م ،ن، ى" جــ١٥ ص٢٩٤ ، ولم أجده فى ديوان حسان ، و بلا نسبة فى شرح- -شواهد الكشاف جـــ٤ ص٤٩٥ ، وفى السيرة النبوية لأبى محمد عبد الملك بن هـــشام المعافرى المعروفة بسيرة ابن هشام ــ ط. المكتبة القيمة ، القاهرة جــ٢ ص٩٧ ، نسبه لأبى عبيدة النحوى ، وقال "تمنى كتاب الله فى الليل خالياً" .

الفصل الأول

منهجه فى التفسير

ذكره للمأثور

يشمل التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والإيضاح لبعض آياته، و ما نقل عن النبي ﷺ، وما نقل عن الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ وما نقل عن التابعين، مما هو بيان لمراد الله عز وجل من النصوص القرآنية، وتفسير الشيخ الخطيب الشربيني جمع فيه مؤلفه بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية إلا أنه غلب عليه جانب الرأى؛ ولهذا عدّه الذهبى ضمن كتب التفسير بالرأى، وقد اعتمد الخطيب الشربيني في تفسيره السراج المنير على المصادر السابقة ، وسأعرض ذلك بالأمثلة من تفسيره فيما يلي:

١-تفسير القرآن بالقرآن:

المصدر الأول للتفسير هو القرآن نفسه، فالقرآن الكريم يفسر بعضه بعضًا، فما أجمل من مكان فسّر وبيّن في مكان آخر، وما أوجز من مكان بسط في مكان آخر، وما جاء مطلقا في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى، وما كان عامًا في آية قد يدخله التخصيص في أخرى.

لذلك كان لابد لمن يفسر القرآن أن يرجع إلى القرآن نفسه أولاً، وأن يكون لديه القدرة على جمع الآيات ذات الموضوع الواحد، ومقابلة بعضها ببعض ليحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، ويفهم ما جاء مجملا بما جاء مبينا، وبهذا يفهم مراد الله ــ عز وجل ــ لأن صاحب الكلام أعلم بمعاني كلامه "[1]

وقد اعتمد المفسرون في تفسيرهم للقرآن على القرآن نفسه كمصدر من مصادر التفسير التي استندوا إليها، ومنهم من أفرد تصنيفًا اقتصر فيه على

---

[1] – مستقى من : التفسير والمفسرون للذهبي جـ١ ص٤٢، ٤٣، ٢٨١.

تفسير القرآن بالقرآن ــ وهو الشيخ "محمد الشنقيطي"[1] الذى جمع تفسيرًا فى تسعة مجلدات أسماه "أضواء البيان فى تفسير القرآن بالقرآن".

والإمام الخطيب الشربينى من المفسرين الذين اهتموا بتفسير القرآن بالقرآن؛ فالمطالع لتفسيره يجده قد أكثر من هذا اللون من التفسير، ومن أهم الموضوعات والأهداف التى تطرق إليها من خلال تناوله لتفسير الآيات بآيات أخر ــ توضيح معانى المفردات القرآنية وتفسير مجمل آية بأخرى، وحمل المطلق على المقيد والعام على الخاص، والجمع بين ما يتوهم أنه مختلف، وسأتناول كلا منها بالأمثلة فيما يلى:

١ – بيان معانى المفردات:

يهتم الشيخ الخطيب الشربينى بشرح مفردات الآية القرآنية، ويعتمد فى شرح الكلمات القرآنية أولا على القرآن نفسه ، ويتضح ذلك من النماذج الآتية:

- عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** ﴾[2] يشرح معنى الهدى فى الآية الكريمة ويقابله بالمواضع الأخرى التى وردت فى القرآن الكريم ؛ فيقول[3]: " تنبيه: هدى : أصله يتعدى باللام أو بإلى ؛ كقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ [الاسراء: ٩] ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الشورى :٥٢] فعومل معاملة "اختار" فى قوله ــ تعالى ــ:﴿**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا**﴾ [الاعراف: ١٥٥] وقد يتعدى بنفسه كما هنا"أى: فى آية الفاتحة" وهو حينئذ

---

[1] – هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكنى الشنقيطى ،مفسر،باحث، من علماء شنقيط بموريتانيا،ولد وتعلم بها،واستقر مدرّساً فى المدينة وتوفى بمكة١٣٩٣هـ؛ ينظر: معجم المفسرين لعادل نويهض جـ٢ ص٤٩٦ .

[2] – سورة الفاتحة: آية ٦.

[3] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٣٣.

محتمل لإضمار الحرف ولعدم إضماره . وهداية الله ــ تعالى ــ تتنوع أنواعًا لا يحصيها عدد كما قال ــ تعالى ــ: ﴿ **وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا**﴾ [إبراهيم: ٣٤] [النحل: ١٨] ولكنها تنحصر في أجناس مرتبة ؛ الأول : إفاضة القوى التي يتمكن بها المؤمن من الاهتداء إلى مصالحة ؛ كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد، وإليه أشار ــ تعالى ــ إذ قال: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ [البلد: ١٠] أي: طريق الخير والشر. وقال: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**﴾ [فصلت: ١٧] ، والثالث: الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإياها عني بقوله ــ تعالى ــ: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾ [الأنبياء: ٧٣] وقوله: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ [الاسراء: ٩] والرابع: أن يكشف لقلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي بالوحي والإلهام والمنامات الصادقة ، وهذا القسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء وإياه عنى ــ تعالى ــ بقوله: ﴿ **أُولَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ [العنكبوت:٦٩] "

● وأيضا عند تفسيره لمعنى الكتاب في قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ**﴾[1] بتتبع المعنى في الآيات القرآنية الأخرى ؛ فيقول[2]: " ليعلم أن هذا الكتاب المنزل هو ذلك الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ، والكتاب مصدر سمي به المفعول للمبالغة ، أو فعال بنى للمفعول كاللباس ، ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب ؛ لأنه مما يكتب، وأصل الكتب الضمّ والجمع، سمي الكتاب كتابًا ؛ لأنه جمع حرف إلى حرف . والكتاب جاء في القرآن على وجوه ؛ أحدها: الفرض ؛ قال ــ تعالى ــ: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ**

---

1 – سورة البقرة: آية ٢.

2 – ينظر: السراج المنير جــ١ ص٤٠.

الْقِصَاصُ﴾ [البقرة:١٨٧] ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة:١٨٣] ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء:١٠٣] وثانيها: الحجة والبرهان ؛ قال ــ تعالى ــ: ﴿ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الصافات:١٥٧] أي: برهانكم، وثالثها: الأجل ؛ قال ــ تعالى ــ: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ [الحجر:٤] أي أجل، ورابعها: بمعنى مكاتبة السيد رقيقه، قال ــ تعالى ــ: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ [النور:٣٣] "

● وعند شرحه لمعنى المقام في قوله ــ تعالى ــ: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾[1] يقول[2]: " أي: موقفي وهو موقف الحساب؛ لأن ذلك الموقف موقف الله الذي يوقف فيه عباده يوم القيامة، ونظيره ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [النازعات:٤٠] وقوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦] وقيل: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي ﴾ [إبراهيم:١٤] أي : خافني؛ فالمقام مقحم مثلما يقال: سلام على المجلس العالي ، والمراد السلام على فلان".

● وكذلك عند تفسيره للصدع في قوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾[3] يقول[4]: " أي: التي تتصدع عن النبات والشجر والثمار والأنهار والعيون، نظيره: قوله ــ تعالى ــ: ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾ [عبس: ٢٦] الآية "

---

1 – سورة إبراهيم: آية ١٤.
2 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٢٥٤.
3 – سورة الطارق: آية ١٢.
4 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٣١١.

٢ – تفسير مجمل الآية بأخرى:

كثيرًا ما يشرح الإمام الخطيب الشربينى الآية القرآنية بآيـات قرآنيـة أخرى مطابقة لها ومؤكدة لمضمونها ؛ فيسوق من الآيات الأخرى ما يبرزها ويوضحها فيما ترمى إليه فى مجال الشرح والاستشهاد ؛ ومن أمثلة ذلك:

● عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَـاتٍ** ﴾[1] يقول[2]: " أى: استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها ، وهى ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا** ﴾ [الاعراف: ٢٣] الآية "

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّـفَ عَـنكُمْ** ﴾[3] يقول[4]: " أى: يسهل عليكم أحكام الشرع، وقد سهل كما قال تعالى: ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧] "

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـواْ لاَ تَقْرَبُـواْ الصَّلاَةَ**﴾[5] يقول الشيخ الخطيب الشربينى[6]: " أى: لا تغشوها ولا تقومـوا إليها واجتنبوها ﴿**وَأَنتُمْ سُكَارَى**﴾ من الشراب ﴿ **حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُـونَ** ﴾ بأن تصحوا ؛ منه كقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُـواْ الزِّنَـى** ﴾ [الاسـراء: ٣٢]، ﴿**وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ** ﴾ [الأنعام: ١٥١] "

---

1 – سورة البقرة: آية ٣٧.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٨٦.

3 – سورة النساء: آية ٢٨.

4 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٦٤.

5 – سورة النساء: آية ٤٣.

6 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٧٧.

● وكذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ﴾[1] يقول[2]: " أي: أردتم القيام إليها ؛ كقوله ــ تعالى ــ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ﴾ [النحل: ٩٨] عبّر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها؛ للإيجاز والتنبيه على أن من أراد العبادة ينبغي أن يبادر إليها بحيث لا ينفك الفعل عن الإرادة "

٣- الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف:

من تفسير القرآن بالقرآن: الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف ، وقد عني الشيخ الخطيب الشربيني بالجمع بين ما يبدو أنه مختلف ، ونفي الاختلاف بين الآيات القرآنية، وإبراز الوحدة بينها ويتضح ذلك من النماذج الآتية:

● عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا﴾[3] يقول[4]: "أي: مما عملوه؛ لأن جوارحهم تشهد عليهم. وقال الحسن: إنها مواطن ؛ ففي مواطن لا يتكلمون ولا تسمع إلا همسا، وفي مواطن يتكلمون ويكذبون ويقولون: ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء، وفي موطن يسألون الرجعة، وآخر تلك المواطن أن يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم؛ وهو قوله ــ تعالى ــ " ولا يكتمون الله حديثا" وقال سعيد بن جبير: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن شيئا يختلف عليّ ؛ فقال: هات ما اختلف عليك قال: قال الله ــ تعالى ــ: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ ﴾ [الطور: ٢٥] وقال ــ تعالى ــ: ﴿وَلاَيَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا﴾ وقال: ﴿ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الانعام:٢٣] فقد كتموا، وقال ــ تعالى ــ: ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ إلى قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾

---

1 – سورة المائدة: آية ٦.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٧٧.

3 – سورة النساء: آية ٤٢.

4 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٧٦.

[النازعات: ٣٠] فذلك خلق السماء قبل خلـق الأرض، ثـم قـال: ﴿ أَئِـنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ إلى ﴿ طَـائِعِينَ ﴾ [فـصلت: ١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء ، وقال ـ تعـالى ـ: ﴿ وَكَـانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفتح:١٤] وقال: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًـا ﴾ [الفتح: ١٩] فكأنه كان قد مضى ـ فقال ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما:" فـلا أنساب بينهم ولا يتساءلون " فى النفخة الأولى . قال: ﴿ وَنُفِخَ فِـي الـصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ ﴿ فَلَا أَنسَابَ﴾ عند ذلك ﴿ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون فـى النفخـة الآخـرة ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الصافات: ٥٠] وأمـا قولـه: "والله ربنا ما كنا مشركين"، "ولا يكتمون الله حديثا" فإن الله يغفر لأهل الإخـلاص ذنوبهم؛ فقال المشركون: تعالوا نقل: لم نك مشركين، فيختم علـى أفـواههم فتنطق أيديهم وأرجلهم ؛ فعند ذلك عرفوا أن الله لا يكتم حديثا، وعنـده يـود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهـم الأرض. وخلـق الأرض فـى يومين، ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن فى يومين آخرين، ثـم دحا الأرض فى يومين ، ودحوها أن أخرج منها المـاء والمرعـى وخلـق الجبال والآكام وما بينهما فى يومين آخرين ؛ فقال: خلق الأرض فى يومين، فخلقت الأرض وما فيها من شيء فى أربعة أيام وخلقت السموات فى يومين. وكان الله غفورًا رحيما ؛ أي: لم يزل كذلك ؛ فلا يختلف عليك القرآن ؛ فـإن كلا من عند الله ".[1]

[1] -أخرجه الحاكم فى المستدرك ـ كتاب : التفسير ،تفسير سورة النـساء ،جـ٢ ص ٣٣٦ ح ٣١٩٨ وتفسير سورة المؤمنون جـ٢ ص ٤٢٨ ح٣٤٨٩ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي؛ ينظر: المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبى عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابورى مع تضمينات الإمام الذهبى فـى التلخيص والميزان والعراقى فى أماليه والمناوى فى فيض القدير وغيرهم من العلماء=

● وبعد انتهائه من تفسير قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَــذَابَ الْخِــزْيِ فِــي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ** ﴾[1] قال[2]: " فإن قيــل: قــد حكــى الله ــ تعالى ــ عن فرعون أنه تاب في آخر الأمر ولم يقبل توبته، وحكى عن قوم يونس أنهم آمنوا وقبل توبتهم ؛ فما الفرق بين الحالين؟ أجيب: بأن فرعــون إنما تاب بعد أن شاهد العذاب وهو وقت اليأس من الحياة، أما قــوم يــونس فإنهم تابوا قبل ذلك؛ فإنهم لما ظهرت أمارات دلت على قرب العذاب تــابوا قبل أن ينزل بهم ولم يباشرهم، فكانوا كالمريض يخاف ويرجو العافيــة، وإن الله ــ تعالى ــ قد علم صدق نياتهم في التوبة ؛ فقبــل تــوبتهم ، بخــلاف فرعون فإنه لم يصدق في إيمانه ولا أخلص ؛ فلم يقبل منه "

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْــصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّــسْنُونٍ** ﴾[3] يقول[4]: " "من صلصال" أي: من الطين الشديد اليابس الذي لم تصبه نار، إذا نقرته سمعت له صلصلة ؛ أي: صــوتا. وقــال ابــن

=الأجلاء ، تحقيق :مصطفى عبد القادر عطا ، ط.دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنــان ١٤٢٢ هــ ــ٢٠٠٢ م الثانية .

1 – سورة يونس: آية ٩٨.

2 – ينظر: السراج المنير جــ3 ص 58.

3 –سورة الحجر:آية ٢٦ .

4 – ينظر: السراج المنير جــ٣ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

عباس[1]: هو الطين إذا نضب عنه الماء تشقق ، فإذا حــرّك تقعقــع. وقــال مجاهد: هو الطين المنتن ، واختاره الكسائي .[2]

وقال الفرّاء[3]: هو طين خلط برمل فصار له صــوت عنــد نقــره. وقــال الرازى[4]: قال المفسرون: خلق الله ــ تعالى ــ آدم من طين فصوّره وتركه في الشمس أربعين ، فصار صلصالاً ، لا يدرى أحد ما يراد به ، ولم يــروا شيئا من الصور يشبهه إلى أن نفخ فيه الروح. "من حمأ" أى: طــين أســود منتن "مسنون" أي: مصور بصورة الآدمى. وقال ابن عباس: هــو التــراب المبتل المنتن. وقال مجاهد: هو المنتن المتغير[5]. قال البغوى[6]: وفى بعض الآثار أن الله ــ تعالى ــ خمّر طينة آدم وتركه حتى صار متغيرًا أسود ثــم خلق منه آدم ــ عليه السلام ــ قال الخازن[7]: والجمع بين هذه الأقوال على ما ذكره بعضهم أن الله ــ تعالى ــ لما أراد خلق آدم عليــه الســلام قــبض قبضة من تراب الأرض ؛ وإليه الاشارة بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ** ﴾ [آل عمران: ٥٩] ثم إن ذلك التــراب بلّــه بالماء وحمأ حتى اسوّد وأنتن ريحه وتغير؛ وإليه الإشارة بقوله ــ تعالىــــ "من حمأ مسنون" ثم إن ذلك الطين الأسود المتغير صوّره الله صورة إنــسان

---

1 – أخرجه ابن جرير الطبرى في تفسيره ،جامع البيان عن تأويــل ، آى القــرآن ــ سورةالحجر، قوله ــ تعالى ــ :" من حمأ مسنون "جــ ١٤ ص٦١ وهذا الأثر ضعيف، رواته كلهم ضعفاء .

2 –ينظر:معاني القرآن لعلى بن حمزة الكسائي المتوفى سنة ١٨٩ هــ للدكتور عيــسى شحاتة عيسى ــ ط.دارقباء للطباعة والنشر والتوزيع ــ القاهرة ١٩٩٨ م ص ١٧٥ .

3 – ينظر: معاني القرآن للفرّاء جــ٢ ص٨٨ .

4 – يراجع: التفسير الكبير للرازى جــ١٩ ص ١٤٢، ١٤٣.

5 –أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره جــ١٤ ص ٦١ .

6 –ينظر: تفسير البغوى على هامش تفسير الخازن جــ٣ ص٦٤ .

7 –ينظر: تفسير الخازن جــ٣ ص٦٤، ٦٥ .

أجوف ، فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح ؛ فيسمع له صلصلة ؛ وإليه الإشارة بقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ** ﴾ [الرحمن: ١٤] وهو الطين اليابس يفخر في الشمس ثم نفخ فيه الروح ؛ فكان بشرًا سويًا ".

● وبعد إنتهائه من تفسير ــ قوله تعالى ــ: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1] يقول[2]: " فإن قيل: ــ قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ** ﴾ [الزمر: ٤٢] يدل على أن المتوفي هو الله ــ تعالى ــ ويؤيده قوله ــ تعالى-: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ** ﴾ [الملك: ٢] وقوله ــ تعالى ــ عن إبراهيم ــ عليه السلام ــ: ﴿ **رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ** ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وقال ــ تعالى ــ في آية أخرى: ﴿ **إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا** ﴾ [الأنعام: ٦١] فكيف الجمع؟ أجيب: بأن المتوفّي في الحقيقة هو الله ــ تعالى- إلا أنه تعالى فوّض كل نوع إلى ملك من الملائكة ؛ ففوّض قبض الأرواح إلى ملك الموت وهو الرئيس وتحته أتباع وخدم ؛ فأضيف التوفي في آية إلى الله ــ تعالى ــ وهي الإضافة الحقيقية، وفي آية إلى ملك الموت؛ لأنه الرئيس في هذا العمل ، وفي آية إلى: أتباعه ".

٤- حمل المطلق على المقيد والعام على الخاص:

من تفسير القرآن بالقرآن أيضا تقييد المطلق، وتخصيص العام، وقد عنى الخطيب الشربيني بهذا الوجه من وجوه تفسير القرآن بالقرآن ؛ ويتضح ذلك من النماذج الآتية:

---

[1] – سورة الزمر: آية ٤٢.

[2] – ينظر: السراج المنير: جـ 6ص 264 .

● تقييده إحباط العمل بالرّدة ــ بالموت على الكفر عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾[1] إذ يقول[2]: " أى: بطلت "أعمالهم" أى: الصالحة "فى الدنيا والآخرة" فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله كما هو مذهب الشافعىّ ــ رضى الله ــ تعالى ــ عنه ــ خلافًا لأبى حنيفة ــ رضى الله ــ تعالى ــ عنه ــ حيث قال: إنّ الردّة تحبط الأعمال مطلقًا ؛ لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ** ﴾ [المائدة: ٥] وأجيب: بأنه محمول على المقيد عملاً بالدليل ؛ فلا يجب عليه أن يعيد الحج الذى أتى به قبل الردّة ؛ كذا غيره، لكن يبطل ثوابه كما نص عليه الشافعى ــ رضى الله ــ تعالى ــ عنه ــ وإن خالف فيه بعض المتأخرين ".

● ومثال ذلك أيضًا تقييده تحريم الدم بالمسفوح فى سورة المائدة حملاً على تقييده فى سورة الأنعام ؛ فعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ** ﴾[3] يقول[4]: " أى: المسفوح ؛ قال ــ تعالى ــ: ﴿ **أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا** ﴾[5] وكان أهل الجاهلية يصبونه فى الأمعاء ويشوونها ".

● ومثال حمله المطلق المقيد أيضًا تقييده الرقبة بالمؤمنة فى كفارة الظهار؛ فعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** ﴾[6] يقول[7]"رقبة"

---

1 – سورة البقرة: آية ٢١٧.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٢٢، ٢٢٣.

3 – سورة المائدة: آية ٣.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص٨.

5 – سورة الأنعام: آية ١٤٥.

6 – سورة المجادلة: آية ٣.

7 – ينظر: السراج المنير جـ٧ ص٣٣٥.

مؤمنة؛ فلا تجزيء كافرة؛ قال ــ تعالى ــ في كفارة القتل: ﴿**فَتَحْرِيرُ رَقَبَــةٍ مُّؤْمِنَةٍ**﴾ [النساء: ٩٢] وألحق بها غيرها قياسًا عليها بجامع حرمــة ســببيهما من القتل والظهارــ أو حملاً للمطلق على المقيد ؛ كما في حمل المطلق فــي قوله ــ تعالى ــ: ﴿**وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٨٢] علــى المقيد في قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ** ﴾ [الطلاق: ٢]".

● ومثال حمله العام على الخاص تخصيصه عدة المطلقة غير المدخول بها عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ:﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّــصْنَ بِأَنفُــسِهِنَّ ثَلاَثَــةَ قُرُوَءٍ** ﴾[1] فيقول بعد انتهائه من تفسيرها[2]: " قال البيضاوى[3]: ولعل الحكم لما عمّ المطلقات ذوات الإقراء تضمن معنى الكثرة، فحــسن بنــاء الكثــرة ووجوب ذلك في المدخول بهنّ، أمّا غيرهنّ فلا عدّة لهن ؛ لقوله – تعــالى–: ﴿ **ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَــدُّونَهَا** ﴾ [الأحزاب: ٤٩] وفي غير الآيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر، والحوامــل فعدتهن أن يضعن حملهن؛ كما في سورة الطلاق[4] ".

وأيضا تخصيصه عدة الحامل المتوفى عنها زوجها عند تفسير قولــه ــ تعالى ــ: ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا** ﴾[5] يقول[6]: " وهذا في غير الحوامل أما هــن فعــدتهن أن يضعن حملهن بآية الطلاق ".

---

1 – سورة البقرة: آية ٢٢٨.

2 – ينظر: السراج المنير جــ١ ص٢٣٣.

3 – ينظر: حاشية زادة على البيضاوى جــ٢ص٥٤٨ .

4 – يقصد قوله تعالى: "واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثــة أشهر واللائى لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن..." الآيــة ٤ مــن سورة الطلاق.

5 – سورة البقرة: آية ٢٣٤.

6 – ينظر: السراج المنير جــ١ ص٢٤٢.

٢ – تفسير القرآن بالسنة

السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني للتفسير بعد القرآن الكريم ؛ فقد كان الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ يلجأون إلى النبي ﷺ إذا أشكلت آية من كتاب الله فيبين لهم ما خفي عليهم ، وإذا رجعنا إلى كتب السنة النبوية المطهرة وجدناها قد أفردت أبوابًا للتفسير بين الأبواب التي اشتملت عليها، ذكرت فيها كثيرًا من التفسير المأثور عن النبي ﷺ .

فكما فسّر القرآن بعضه ببعض فكذلك جاءت السنة مفسرة لكثير من القرآن، وقد شهد القرآن الكريم بهذا ؛ إذ يقول ــ عز وجل ــ:

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١]

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٢]

وقد أكثر المفسرون من الاستدلال بما ورد في السنة من إيضاح ما أبهم وتفصيل ما أجمل وبسط ما أوجز في القرآن الكريم ، وحاولوا جمع ما تيسر مما نقل عن النبي ﷺ لبيان وتوضيح مراد الله ــ تعالى ــ من نصوص كتابه الكريم.

وقد أكثر الشيخ الخطيب الشربيني من الاستدلال بالسنة ؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ اهتمامه الشديد بتفسير الآيات الكريمة بالمأثور عن النبي ﷺ ، ويتضح ذلك من اتجاهاته التي استخلصتها من كتابه "السراج المنير" والتي أعرضها فيما يلي بالأمثلة:

---

[1] – سورة النحل: آية ٤٤.

[2] – سورة الحشر: آية ٧.

١- بيان معنى كلمة أو متعلقها:

أكثر الشيخ الخطيب الشربينى من استقصاء المعانى اللغوية لمفـــردات القرآن الكريم وبيان غريبها ، واستند إلى الحديث الــشريف لبيـــان معـــانى الكلمات فى الآيات القرآنية وإيضاح ما ترمى إليه ؛ ومن أمثلة ذلك:

● عند تفسيره لمعنى "الفوقية" فى قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَمَا فَوْقَهَـــا** ﴾[1] يقول[2]: "أى: ما زاد على البعوضة فى الجثة كالذباب والعنكبوت ، والمعنى أنه لا يستحيى من ضرب المثل بالبعوضة فضلا عما هـــو أكبـــر منـــه ، أو المعنى الذى جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها ؛فإنـــه ــ عليـــه الصلاة والسلام ــ ضرب جناحها مثلا للدنيا بقوله فى خبر الترمذى : (لـــو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء)[3] ، ونظيره فى احتمال الفوقية للجثة و للمعنى مـــا روى البخـــارى وغيـــره: أن رجلا يمنيًّا خر على طنب فسطاط ؛ فقالت عائشة ــ رضى الله ــ تعـــالى ــ عنهـــا : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من مسلم يشاك شوكة فمـــا فوقهـــا إلا كتب له بها درجة، ومحيت عنه خطيئة)[4]

---

[1] – سورة البقرة: جزء من آية ٢٦.

[2] – ينظر: السراج المنير جـــ١ ص٧٢.

[3] – أخرجه الترمذى فى سننه ــ كتاب :الزهد، باب: ما جاء فى هوان الدنيا على الله ــ عز وجل ــ جـــ٤ ص ٢٩٢ وقال: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه ، وأخرجه الترمذى أيضاً فى سننه ــ كتاب: الزهد، باب: مثل الدنيا جـــــ٢ ص١٢٧٦ــــ١٣٧٧ ح٤١١٠ وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير جـــ٦ ص١٧٨ ح٥٩٢١؛ ينظر: المعجم الكبيرللحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى ٢٦٠ ــ ٣٦٠ هـــ ، حققه وخـــرّج أحاديثه: حمدى عبد المجيد السلفى، الثانية، وأخرجه الحاكم فى المـــستدرك ــــ كتـــاب: الرقاق جـــ٤ ص٣٤١، ٣٤٢ ح٧٨٤٧ وصححه الحاكم ووافقه الذهبى .

[4] – أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب : المرضى ،باب : أشد الناس بلاءً الأنبيـــاء ثم الأمثل فالأمثل ؛ ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى للحـــافظ ابـــن حجـــر=

فإنه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الألم كالسقوط على الطنب وما زاد عليها في القلة كقرصة النملة . والطنب : حبل الخباء ، والفسطاط : بيت من شعر".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾[١] يقول[٢]: "وهو أعلى الجنة ؛ عن عبادة بن الصامت ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : (في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة ، منها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها يكون عرش الرحمن ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس) [٣] ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[٤] يقول[٥]: " وفي المراد بالقوة أقوال : الأول: الرمي ، وقد جاءت

=العسقلاني شيخ الإسلام قاضي القضاة أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد المولود ٧٧٣ ــ ٨٥٢ هــ وثّق نصوصه وحقّق أصوله وضبط أحاديثه ووضع فهارسه: طه عبد الرءوف سعد ،ط . دار الغد العربي ــ القاهرة ١٤١٢ هــ ١٩٩٢ م الأولى جــ٤ ص ٥٠٦، ٥٠٧، ح ٥٦٤٨ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ــ كتاب : البر والصلة والآداب ن باب : ثواب المؤمن من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها جــ٤ ص٢٩٧ ح٢٥٧٢ ؛ ينظر: صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٠٦ ــ٢٦١ هــ حققه ورقمه ووضع فهارسه محمد فؤاد عبد الباقي ، ط. دار الحديث ــ القاهرة ١٤١٨ هــ ــ ١٩٩٧ م الأولى.

1 – سورة المؤمنون: جزء من آية ١١.

2 – ينظر: السراج المنير جــ٤ ص٣٢٨.

3 – أخرجه الترمذي في سننه ــ كتاب : الجنة ، باب : ما جاء في صفة درجات الجنة جــ٤ ص٣٨٧ ح ٢٥٢٩ وسكت عنه ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ــ كتاب: الإيمان جــ١ ص١٥٣ ح ٢٦٧ من حديث أبي هريرة ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي.

4 – سورة الأنفال: آية ٦٠.

5 – ينظر: السراج المنير جــ٢ ص٣٤٧.

مفسرة به عن النبي ﷺ فيما رواه عقبة بن عامر؛ قال: سمعت رسـول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: (وأعدوا لهم ما استطعتم ألا إن القوة الرمى ثلاثًا) [1] أخرجه مسلم، وعن أبى أسيد ــ رضى الله عنه ــ قال: قـال رسـول الله ﷺ يوم بدر حين صففنا لقريش وصفوا لنا: (إذا كثبوكم فعليكم بالنبـل) [2] وفـي رواية: (ليس من اللهو محمود إلا ثلاثة: تأديب الرجـل فرسـه ، وملاعبـة أهله، ورميه بقوسه ؛ أي: نبله، فإنهن من الحق ومن ترك الرمى بعـد مـا علمه رغبة عنه ، فإنها نعمة تركها أو كفرها) [3] أخرجه الترمذى ".

● وكذلك تفسيره الحساب اليسير بالعرض ؛ فعنـد تفـسيره لقولـه ــ تعالى ــ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [4] يقول [5]: " هو عـرض عملـه عليه ؛ كما فسر فى حديث الصحيحين ، وفيه: (من نوقش الحـساب هلـك) وفى رواية: (من حوسب عذب) وقالت عائشة: أليس يقول ــتعالى :"فـسوف

---

[1] –أخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : الإمارة ، باب فضل : الرمي و الحـث عليـه وذم من علمه ثم نسي جـ٣ ص٣٨٣ ح ١٩١٧ .

[2] – أخرجه الحاكم فى المستدرك ــ كتاب الجهاد ،جـ٢ ص ١٠٥ ح ٢٤٧١ بلفظ:"إذا كثبوكم فارموا بالنبل واستبقوا نبلكم " وصححه الحاكم على شـرط الـشيخين وقـال : أخرجه البخارى ، ووافقه الذهبي.

[3] – أخرجه الترمذى في سننه ــ كتاب : فضائل الجهاد ، باب :ما جاء فى فضل الرمي في سبيل الله جـ٣ ص٥٧٤٢ ح١٦٣٧ وقال أبو عيسى:هذا حديث حـسن صـحيح وأخرجه أبو داوود فـى سـننه ــ كتـاب : الجهـاد ،بـاب: فـى الرمـى جـ٣ ص١٠٨٩،١٠٨٨ح٢٥١٣؛ ينظر : سنن أبى داوود للإمام الحافظ المصنف المتقن أبى داوود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى ٢٠٢ ــ ٢٧٥ هـ ، ط. دار الحديث ــ القاهرة ١٤٢٠ هـ ــ ١٩٩٠ م ، وأخرجه النسائى فى سننه ــ كتاب: الخيل ، بـاب: تأديب الرجل فرسه جـ٣ ص٥٧٤ ح ٣٥٨٠ ؛ ينظر : سنن النسائى بشرح الإمـامين السيوطى والسندى ، ط. دار الحديث ــ القاهرة ١٤٢٠ هـ ــ١٩٩٠ م الأولى.

[4] – سورة الإنشقاق: آية ٨.

[5] – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٢٩٤

يحاسب حسابا يسيرا" فقال: (إنما ذلك العرض ، ولكن من نوقش الحساب عذب)[1] وإنما حوسب حسابا سهلا ؛ لأنه كان يحاسب نفسه فلا تقع له المخالفة إلا ذهولا؛ فلأجل ذلك تعرض أعماله فيقبل حسنها ويعفى عن سيئها".

● ومن ذلك أيضًا تفسير الكوثر في قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾[2] يقول[3]: " الكوثر: أي؛ نهرًا في الجنة هو حوضه ﷺ ترد عليه أمته؛ لما روى عن أنس أنه قال: (بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ غفا إغفاءة ، ثم رفع رأسه مبتسمًا؛ فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزل عليّ آنفًا سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾ إلى آخرها، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم! قال: فإنه نهر وعدنيه ربي خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم؛ فأقول ربي إنه من أمتي؛ فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك)[4]".

ثم يذكر سبعة أحاديث أخرى عن الحوض ، ويبين أن أحاديث الحوض كلها صحيحة ، والإيمان به فرض ، والتصديق به من الإيمان ،

---

[1] –أخرجه البخاري في صحيحه ــ كتاب : العلم ، باب :من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه وكتاب :التفسير "سورة إذا السماء انشقت "باب فسوف يحاسب حساباً يسيرا،وكتاب :الرقاق ،باب :من نوقش الحساب عذب ؛ ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ١ ص ٣٣٥ ،٣٣٦ ح١٠٣، جـ١٤ ص١١٠ ،١١١ح ٤٩٣٩ ، جـ١٧ ص٣٩٤ ح ٦٥٣٧ ،وأخرجه مسلم في صحيحه ــ كتاب: صفة الجنة ،باب: إثبات الحساب جـ٤ ص ٥١٠ ،٥١١ ح ٢٨٧٦ بنحو رواية البخاري التي في العلم .

[2] – سورة الكوثر: آية ١.

[3] – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٤٤٢.

[4] – أخرجه مسلم في صحيحه ــ كتاب : الصلاة ، باب :حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة براءة جـ١١ ص٣٠٠ ح٤٠٠.

وأنه على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه ، وحديثه متواتر النقل، رواه خلائق من الصحابة ".

وهكذا يفعل الشيخ الخطيب الشربينى عند تفسيره لكل آية كريمة ، يكـــاد لا يترك من السنة شيئاً ورد فى معنى كلمة من كلماتها إلا ذكره.

٢- تأكيد معنى الآية:

للسنّة النبوية فوائد متعددة ؛ منها : التأكيد ؛ وذلك بـــأن تـــأتي الـــسنة موافقة لما جاءت به الآية ؛ فتكون السنّة مؤكدة لما جاءت به ومقويـــة لـــه ؛ ومن ذلك:

● عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّــذِي قِيلَ لَهُمْ**﴾[1] يقول[2]: " فقالوا: حبة فى شعرة ، ودخلوا يزحفون على أستاهم مخالفة فى الفعل ، كما بدلوا القول.

روى معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: (قيل لبنى إسرائيل: ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطـــة فبـــدلوا ؛ فـــدخلوا يزحفون على أستاهم ، وقالوا: حبة فى شعرة)[3] وفى رواية : فى شعيرة ".

● وبعد انتهائه من تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِـــي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾[4] يذكر حديثين شريفين يبينان كيفية الخلق فى الـــرحم؛

---

[1] – سورة البقرة: آية ٥٩.

[2] – ينظر: السراج المنير جـــ١ ص١٠٣.

[3] –أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب : التفسير"سورة البقرة" وإذ قلنا ادخلوا هـــذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً....الآية ، وسورة الأعراف، باب: قوله حطة؛ ينظر: فتح البارى جـــ١٢ ص ٤٧٠ح٤٤٧٩ ، جـــ١٣ ص ١٠٦ ،١٠٧ ح ٤٦٤١ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : التفسير جـــ٤ ص٦١٩ ح٣٠١٥.

[4] – سورة آل عمران: آية ٦.

فيقول[1]: "قال عبد الله بن مسعود: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه الملك ، أو قال: يبعث إليه الملك ، بأربع كلمات ؛ فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد، وقال: إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع، فيسبق عليه الكتاب ؛ فيعمل بعمل أهل النار؛ فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة ؛ فيدخلها) [2].

وروى أنه ﷺ قال: (يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر فى الرحم أربعين أو خمساً وأربعين ليلة فيقول: يارب ، شقى أم سعيد ؛ فيكتبان ؛ فيقول: أى رب ، ذكر أو أنثى؛ فيكتبان ؛ فيكتب عمله وأجله ورزقه ، ثم تطوى الصحف ؛ فلا يزاد فيها ولا ينقص) [3] ".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً** ﴾[4] يقول[5]: " أى : متكبرًا على الناس من أقاربه وأصحابه وجيرانه وغيرهم ولا يلتفت إليهم "فخورا" أى : يتفاخر عليهم بما آتاه الله.

---

1 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٣٠٩.

2 – أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب : أحاديث الأنبياء، باب : خلق آدم وذريته ، وكتاب : القدر، باب : رقم ١ ؛ ينظر:فتح البارى جـ٩ ص٥٩٥ ح ٣٣٣٢ ، جـ١٧ ص٤٨٨ ــ ٥٠٣ ح٦٥٩٤ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : القدر؛ باب : كيفية الخلق الآدمى فى بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته جـ٤ ص٣٤٠ ح ٢٦٤٣.

3 – أخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : القدر ، باب :كيفية الخلق الآدمى فى بطن أمه وكتابة رزقه وأجله جـ٤ ص٣٤١ ح٣٦٤٤.

4 – سورة النساء: جزء آية ٣٦.

5 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٧٢، ٢٧٣.

روى أنه ﷺ قال: (بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبته نفسه ؛ خسف به الأرض ؛ فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة) [1] وفي رواية: (لاينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء) [2] ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾ [3] يقول [4]: " أى: ليكون حالهم فى مجارى العادات حال من ترجى هدايته إلى كمال الشريعة ، وأما التوحيد فلا عذر لأحد فيه مع إقامة الله ــ تعالى ــ من حجة العقل ومع ما أتقنه الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ آدم فمن بعده من أوضح النقل بآثار دعواتهم وبقايا دلالاتهم ؛ ولذلك قال ﷺ لمن سأله عن أبيه: (أبى وأبوك فى النار) [5] وغير ذلك من الأدلة الدالة على أن من مات قبل دعوته على الشرك فهو فى النار". ● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ** ﴾ [6] يقول [7]: " "يمحق الله الربا" أى: يذهب بركته ويهلك المال الذى

---

1 – أخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : اللباس ، باب : تحريم التبختر فى المشى مع إعجابه بثيابه جـ٣ ص١٩٥ح ٢٠٨٨.

2 – أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب : اللباس، باب : قوله تعالى "قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده ، ينظر : فتح البارى جـ١٦ ص٨٣ ح٥٧٨٣ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب: اللباس، باب :تحريم جر الثوب خيلاء جـ٣ ص٥١٦ ح٢٠٨٥.

3 – سورة السجدة: جزء من آية ٣.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص٢٩٠، ٢٩١.

5 – أخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب: الإيمان ، باب : بيان أن من مات على الكفر فهو فى النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين جـ١ ص٢٠٠ ح٢٠٣.

6 – سورة البقرة: جزء من آية ٢٧٦.

7 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٩١.

الذى يدخل فيه، وعن ابن مسعود : "الربا وإن كثر قل"[1] "ويربى الـصدقات" أى: يضاعف ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه.

روى الشيخان أنه ﷺ قال: (إن الله ــ تعالى ــ يقبل الصدقة ويربيها كما يربى أحدكم فلوه) [2] ".

٣- بيان أحكام زائدة سكت عنها القرآن:

استند الخطيب الشربينى فى تفسيره إلى السنّة لبيان أحكام جديدة ليـست فى القرآن، ولذلك أمر الله ــ عز وجل ــ بطاعة رسوله مع الأمر بطاعتـه فى كثير من الآيات، وقد أمر رسول الله ﷺ معاذًا أن يرجع إلى السنة إذا لـم يجد الحكم فى الكتاب، ولو لم يكن فيها زيادة على ما فى الكتاب ؛ لما كـان هناك فائدة من الرجوع إليها ؛ ومن أمثلة ذلك:

● عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا** ﴾[3] يقول[4]:

---

[1] – أخرجه الحاكم فى المستدرك ج٢ ص٤٣،٤٤ ح٢٢٦٢ وقال هذا حـديث صـحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأخرجه ابن ماجه بنحوه ج٢ ص٣١٠ ح٢٢٧٩ ؛ ينظر: سـنن ابن ماجه للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ٢٠٧ ــ ٢٧٥ هــ تحقيق : محمد مصطفى عبد الباقى ، ط. دار الحديث ــ القاهرة ١٤٢٦ هــ ــ٢٠٠٥ م.

[2] – أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب : الزكاة ، باب : الصدقة من كسب طيـب لقوله "ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم" ؛ ينظـر: فـتح البـارى جـ٤ ص٥٧٦،٥٧٧ ح١٤١٠، وأخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : الزكاة ، باب: قبـول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها جـ٢ ص١٣٠ ح١٠١٤.

[3] – سورة البقرة: جزء من آية ٢٣٤.

[4] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٤٢.

" وفى غير الإماء فإنهن على النصف من ذلك بالسنّة "[1].

● وكذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾[2] يقول[3]: " وبينت السنة جواز الرهن فى الحضر ومع وجود الكاتب، فقد رهن رسول الله ﷺ درعه فى المدينة من يهودى بعشرين صاعا من شعير أخذه لأهله[4] فالتقييد بما ذكر؛ لأن التوثق به أشدّ. وعن مجاهد والضحاك أنهما لم يجوزاه إلا فى السفر؛ أخذا بظاهر الآية".

---

[1] – روى الترمذى فى سننه ــ كتاب : الطلاق واللعان ، باب : ما جاء أن طلاق الأمة تطليقتان، جــ٣ ص٣١٧ ح١١٨٢ ، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال " طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان " وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا عن حديث مظاهر بن أسلم ، والدارمى فى سننه ــ كتاب : الطلاق ، باب : فى طلاق الأمة جــ٢ ص١٧ ح٢٢٩٤ وقال أبو عاصم : سمعته من مظاهر ؛ ينظر سنن الدارمى للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى السمرقندى ١٨١ ــ ٢٥٥هـ، ط. دار الحديث ــ القاهرة ١٤٢٠ هــ ــ ٢٠٠٠ م الأولى،وأخرجه أبو داوود فى سننه ــ كتاب الطلاق ، باب : فى سنة طلاق العبد ، جــ٢ ص٩٣٩ ح٢١٨٩وقال أبو داوود: هذا حديث مجهول ، وابن ماجه فى ــ كتاب : الصلاة ، باب: فى طلاق الأمة وعدتها جــ٢ ص٢٣٨ ح٢٠٧٩ ، والحاكم فى المستدرك جــ٢ ص٢٢٣ ح٢٨٢٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم خرجاه ووافقه الذهبى .

[2] – سورة البقرة: جزء من آية ٢٨٣.

[3] – ينظر: السراج المنير جــ١ ص٢٩٩.

[4] – أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب : الجهاد ، باب : ما قيل فى درع النبى ﷺ والقميص فى الحرب عن عائشة رضى الله عنها ، وفى كتاب المغازى باب رقم ٧٩؛ عن عائشة رضى الله عنها قالت :" توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير." ؛ ينظر: فتح البارى جــ٩ ص٥٤ ،٥٥ ح ٢٩١٦، جــ ١٢ ص٤٤٥ ح٤٤٦٧.

● وأيضا عند تفسيره لقوله تعـالى: ﴿ وَأُمَّهَـاتُكُمُ اللاَّتِـي أَرْضَـعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ ﴾[1] يقول[2]: " ويلحق بذلك بالسنة باقي السبع؛ لخبر الصحيحين:

(يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة) [3]، وفي روايـة: (حرّمـوا مـن الرضاعة ما يحرم من الولادة) وفي رواية: (حرّموا من الرضاعة ما يحـرم من النسب) ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَـيْنِ ﴾[4] يقول[5]: "ويلحق بالسنة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتهـا مـن نـسب أو رضاع ولو بواسطة، قال ﷺ: (لا تنكح المرأة على عمتها ، ولا العمة علـى بنت أخيها، ولا المرأة على خالتها ، ولا الخالة على بنت أختها ؛ لا الكبـرى على الصغرى ولا الـصغرى علـى الكبـرى) [6] رواه الترمـذى وغيـره

---

[1] – سورة النساء: جزء من آية ٢٣.

[2] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٥٦.

[3] – أخرجه البخاري في صحيحه ــ كتاب: التفسير "سورة الأحزاب"باب قوله "إن تبدوا شيئاً أوتخفوه فإن الله كان" إلى قوله تعالى " شهيدا "الآية بلفظ حرموا من الرضاعة مـا تحرمون من النسب وهو من قول عائشة رضي الله عنها ،وكتاب : الأدب بـاب قـول النبي ﷺ تربت يمينك وعقرى حلقى بالرواية السابقة نفسها ؛ ينظر: فتح الباري جـ١٣ ص٤٨٢ ، ٤٨٣، جـ ١٦ ص ٤٤٣ ،٤٤٤ ح ٦١٥٦ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ــ كتاب : الرضاع ، باب : يحرم من الرضاع ما يحرم من الـولادة جـــ٢ ص١٠٦٨ ح١٤٤٤ عن عائشة: مرفوعاً بلفظ أن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة، وفي روايـة: يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة، وفي الباب بنفس رواية البخاري.

[4] – سورة النساء: جزء من آية ٢٣.

[5] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٥٩.

[6] – أخرجه الترمذي في سننه ــ كتاب : النكاح ، باب : ما جاء لا تنكح المرأة علـى عمتها ولا على خالتها جــ٣ ص٢٨٢ ،٢٨٣ ح١١٢٦ وقال :هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود في سننه ــ كتاب النكاح باب ما يكره أن يجمع بينهن من النـساء=

وصححوه. ولما فيه من قطيعة الرحم، وإن رضيت بـذلك ، فـإن الطبـع ، يتغير وإليه أشار ﷺ في خبر النهي عن ذلك بقوله: (إنكـم إذا فعلـتم ذلـك قطعتم أرحامهن)[1] كما رواه ابن حبان وغيره . وضابط تحريم الجمع ابتداء ودوامًا هو: كل امرأتين بينهما قرابة أو رضاع ولو فرضت إحداهما ذكـرا حرم الجمع بينهما بنكاح أو وطء بملك اليمين ".

● ومثال ذلك أيضا بيانه حكم الزاني المحصن عند تفسيره لقولـه ـ تعالى ـ: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْـدَةٍ﴾[2] فيقول[3]: " ثم إنه ـ تعالى ـ ذكر في السورة أحكامًا كثيرة ؛ الحكـم الأول: قولـه ـ تعالى ـ :"الزانية والزاني" أي: المحصنين لرجمهما بالسنة ، وأل فيما ذكر موصولة ، وهو مبتدأ ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو "فاجلـدوا كل واحد منهما مائة جلدة" أي: ضربة ؛ يقال: جلده إذا ضرب جلده، ويـزاد على ذلك بالسنة تغريب عام[4]، والرقيق على النصف مما ذكر،

=جـ٢ ص٨٨٣ ح٢٠٦٥ ، وأخرجه أحمد في مسنده ـ مسند علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بلفظ آخر جـ١ص٤١٣ ح٥٧٧ وقال محققه أحمد شـاكر: إسـناده صحيح.

1 – أخرجه أبوداود في المراسيل ـ كتاب : النكاح ، باب :ما جاء في النكـاح ص٨٦ ح٢١٧ لسنده عن عيسى بن طلحة قال : نهى رسول الله ﷺ" أن تنكح المـرأة علـى قرابتها مخافة القطيعة" ، والطبراني في المعجم الكبيـر جـ١١ ص ٣٣٧ ح١١٩٣١ بسنده عن ابن عباس قال:نهى رسول الله ﷺ أن تزوج المرأة على العمة، وعلى الخالة وقال : إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم ".

2 – سورة النور: جزء من آية ٢.

3 – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص٣٦٥.

4 – روى مسلم في صحيحه ـ كتاب: الحدود ،باب: حد الزنا جـ٣ ص ١٨١ ،١٨٢ ح١٦٩٧، ١٦٩٨ عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني،أنهما قالا :إن رجـلا مـن الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! أنشدك الله إلا قـضيت لـي بكتـاب الله،فقال الخصم الآخر، وهو أفقه منه:نعم، فاقض بيننا بكتاب الله ، وائذن لـي فقـال=

ولا رجم عليه ؛ لأنه لا ينتصف[1] ".

٤– بيان المجمل وتقييد المطلق وتخصيص العام:

المطالع لتفسير الخطيب الشربيني يجده يستند إلى السنة النبوية الشريفة عند تفسيره للمجمل في القرآن الكريم ، خاصة ما ورد في السنة لبيان ما أجمل من العبادات ؛ فقد قال ﷺ: (خذوا عني مناسككم) [2] وقال ﷺ: (وصلوا كما رأيتموني أصلي) [3]، ومن المواضع التي بيّن فيها المجمل ما يلي:

=رسول الله ﷺ:قل، قال :إن ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاه ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني،انما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امراة هذا الرجم،فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم رد،وعلى ابنك جلد مائة، وتغريب عام، واغد يا أنيس الى امرأة هذا،فان اعترفت فارجمها.قال :فغدا عليها،فاعترفت، فأمربها رسول الله ﷺ فرجمت .

1 – روى مسلم في صحيحه ــ كتاب: الحدود ، باب : رجم اليهود أهل الذمة في الزنا جـ٣ ص ١٨٥ ح١٧٠٢ ،عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ، ولا يثرب عليها ، ثم إن زنت ، فليجلدها الحد ، ولايثرب عليها ، ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ، ولو بحبل من شعر ". وأجمع العلماء على أن الأمة إذا زنت فحدها خمسون جلدة لقوله ــ تعالى ــ: "فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب "؛ ينظر : بداية المجتهد ونهاية المقتصد للإمام أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق : عبد المجيد طعمة حلبي،ط. دار المعرفة ــ بيروت لبنان ، الأولى ١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٧ م جـ٤ ص٢٧٦ .

2 –أخرجه مسلم في صحيحه ــ كتاب : الحج ، باب :استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً وبيان قوله ﷺ : (لتأخذوا مناسككم)جـ٢ ص٣٨٠ ح١٢٩٧ .

3 –أخرجه البخاري في صحيحه ــ كتاب : أبواب الأذان ، باب : الأذان للمسافرين ح٦٣١، ينظر : فتح الباري جـ٢ ص٥٧٣ .

● عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّـــهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا** ﴾[1] يستدل بالسنة على أنه ركن ؛ فيقول[2]: " والاجماع على أن السعى بين الصفا والمروة مشروع فى الحج والعمرة ، وإنما الخلاف فى وجوبه ؛ فعن أحمد أنه سنة ، وبه قال أنس وابن عباس ؛ لقوله ــ تعالى ــ "فلا جناح عليه" فإنه يفهم منه التخيير. قال البيضاوى :[3]وهو ضعيف ، لأن نفى الجناح يدل على الجواز الداخل فى معنى الوجوب فلا يدفعه ، وعن أبى حنيفة أنه واجب يجبر بدم ، وعن مالك والشافعىّ أنه ركن لقوله ﷺ: (اسْعَوا فإن الله ــ تعالى ــ كتب عليكم السعى) [4]

رواه البيهقى وغيره،وقال ﷺ: (ابدؤوا بما بدأ الله به) [5] يعنى الصفا، رواه مسلم ".

---

1 – سورة البقرة: جزء من آية ١٥٨.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص١٦٩.

3 – ينظر: حاشية زادة على البيضاوى :جـ٢ ص٣٩٧ .

4 – أخرجه أحمد فى مسنده ، مسند حبيبة بنت أبى تجراة ــ رضى الله عنها ــ جـ١٨ ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ ح ٢٧٢٤٠، وقال محققاه أحمد شاكر وحمزة الزين : إسناده حسن، وأخرجه الدارقطنى فى سننه ــ كتاب : الحج ، باب : المواقيت جـ٢ ص٢٢٤ ح ٢٥٦٠ ؛ ينظر : سنن الدارقطنى للإمام الحافظ على بن عمر الدارقطنى المتوفى سنة ٣٨٥ هـ علّق عليه وخرج أحاديثه مجدى بن منصور بن سيد الشورى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ١٤٢٤ هـ ــ ٢٠٠٣ م الثانية ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ، كتاب : معرفة باب ذكر حبيبة بنت أبى تجراة ــ رضى الله عنها ــ جـ٤ ص ٧٩ ح ٦٩٤٣ وسكت عنه الحاكم وقال الذهبى لم يصح، وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير جـ٢٤ ص ٢٢٦ ح ٥٧٣ ،ح٥٧٤ .

5 – أخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب :الحج ، باب : حجة النبى ﷺ فى حديث طويل عن محمد بن على بن حسين جـ٢ ص ٣٢٢ ــ ٣٢٨ ح ١٢١٨ بلفظ(ابدأ بما بدأ الله به) ، وأخرجه الترمذى فى سننه ــ كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة البقرة=

● كما يستند إلى السنة لبيان كيفية التيمم عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾[1] فيقول[2]: " مع المرفقين منه بضربتين ؛ كما ثبت في الحديث . وقال الزجاج[3]: الصعيد وجه الأرض ترابا كان أو غيره وإن كان صخرًا لا تراب عليه ، لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح ؛ لكان ذلك طهوره ، وإلى هذا ذهب أبو حنيفة ــ رحمه الله ــ تعالى ــ وأجاب عن قوله ــ تعالى ــ في آية المائدة : ﴿ فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾ [المائدة: ٦] أي: بعضه وهو لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه بأن من لابتداء الغاية . قال الزمخشري[4]: وقولهم إنها لابتداء الغاية فيه تعسف ، ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل : مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب إلا معنى التبعيض، قال : والإذعان للحق أحق من المراء، والتيمم من خصائص هذه الأمة.

روى حذيفة ــ رضي الله عنه ــ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا ، وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء) [5] ".

=عن جابر بن عبد الله بلفظ (نبدأ بما بدأ الله) جـ٥ ص ٥٣ ح ٢٩٦٧ وقال : أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

1 – سورة النساء: جزء من آية ٤٣.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٧٨.

3 – ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي اسحاق إبراهيم بن السري المتوفى سنة ٣١١ هـ شرح وتحقيق : د. عبد الجليل شلبي خرّج أحاديثه : الأستاذ علي جمال الدين محمد ، ط.دار الحديث ــ القاهرة١٤٢٦ هـ ــ ٢٠٠٥ م جـ٢ ص٤٥ .

4 – ينظر: الكشاف للزمخشري جـ١ ص٥٢٩ .

5 – أخرجه مسلم في صحيحه ــ كتاب : المساجد ، باب : أول كتاب المساجد ــ١ ص٣٧١ ح٥٢٢.

● وأيضًا يبين أحكام التيمم بالسنة النبوية الشريفة عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿**وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ**﴾[1] فيقول[2]: " "فتيمموا" أى اقصدوا "صعيدا" أى: ترابا "طيبًا" أى: طهورا خالصا "فامسحوا بوجوهكم وأيديكم" مع المرفقين "منه" بضربتين ، والباء للإلصاق ، وبينت السنة[3] أن المراد استيعاب العضوين بالمسح . وتقدم مثل هذه الآية فى النساء فى البيضاوى[4]. ولعل تكريره ليتصل الكلام فى بيان أنواع الطهارة ".

● ومثال ذلك أيضا بيانه لمواقيت الصلاة بالسنة عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا**﴾[5] فيقول[6]: "موقوتا" أى: مقدرًا وقتها لا تؤخر عنه ولا تقدم عليه، قال ﷺ: (أمنى جبريل عند البيت ؛ مرتين فصلى بى الظهر حين زالت الشمس ، والعصر حين كان ظله ــ أى : الشيء مثله ــ والمغرب حين أفطر الصائم ــ أى: دخل وقت إفطاره ــ والعشاء حين غاب الشفق الأحمر، والفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم، فلما كان الغد صلى بى

---

1 – سورة المائدة: جزء من آية ٦.

2 – ينظر: السراج المنير جــ٢ ص١٨.

3 – روى مسلم فى صحيحه ــ كتاب : الحيض ، باب : التيمم جــ١ ص٢٩١ ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه أن رجلا أتى عمر فقال :إنى أجنبت فلم أجد ماء، فقال : لا تصل ، فقال عمار : أما تذكر ، يا أمير المؤمنين ! إذ أنا وأنت فى سرية، فأجنبنا ، فلم نجد ماء ، فأما أنت فلم تصل ،وأما أنا فتمعكت فى التراب و صليت، فقال النبى ﷺ :إنما كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ،ثم تنفخ ،ثم تمسح بهما وجهك و كفيك" فقال عمر: اتق الله ،يا عمار قال :إن شئت لم أحدث به .

4 – ينظر: حاشية زادة على البيضاوى جــ٣ ص٣٢٦: ٣٣٢ .

5 – سورة النساء: جزء من آية ١٠٣.

6 – ينظر: السراج المنير جــ١ ص٥١٦، ٥١٧.

الظهر حين كان ظله مثله، والعصر حين كان ظله مثليه، والمغـرب حـين أفطر الصائم ، والعشاء إلى ثلث الليل، والفجر فأسفر وقال: هذا وقت الأنبياء من قبلك) [1] رواه أبو داوود ، وغيره ، وصححه الحاكم وغيره . وقوله ﷺ: (فصلى الظهر حين صار ظله مثله) أي : فرغ منها حينئذ ، كما شرع فـي العصر في اليوم الأول حينئذ؛ قاله الشافعيّ ـ رضي الله ـ تعالى ـ عنه ـ نافيا به اشتراكهما في وقت ويدل له خبر مسلم وقت الظهر إذا زالت الشمس ما لم يحضر العصر[2] ".

● وكذلك يبين مقدار ما يمسح من الرأس في الوضوء بالسنة العمليـة عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ ﴾[3]

فيقول[4]: " أي: بعضه؛ لما روى مـسلم: (أنـه ﷺ مـسح بناصـيته علـى عمامته)[5] "

● وأيضا بيانه لمناسك الحج بالسنة العملية عند تفسيره لقولـه تعـالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [6]

---

[1] – أخرجه أبو داوود في سننه ـ كتاب: الـصلاة ، بـاب: فـي المواقيـت جـ١ ص٢٠٣،٢٠٤ ح٣٩٣، وأخرجه الترمذي في سننه ـ كتاب :الصلاة، باب :ما جاء في مواقيت الصلاة عن النبي ﷺ جـ١ص٢٧٨ـ٢٨١ ح١٤٩ وقال هذا حديث حـسن= =صحيح ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ـ كتاب: الـصلاة جـ١ ص٣٠٦، ٣٠٧ ح٦٩٣.

[2] – رواه مسلم في صحيحه ـ كتاب : المساجد ، باب: أوقات الصلوات الخمس ح١٧٣ جـ١ ص ٤٤٢ ح١٧٣ .

[3] – سورة المائدة: جزء من آية ٦.

[4] – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص١٦.

[5] –أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب : الطهارة ، باب: المسح على الناصية والعمامة جـ١ ص٢٤٠ ح٢٧٤.

[6] – سورة البقرة: جزء من آية ١٩٨.

فيقول [1]: "وفى الآية دليل على وجوب الوقوف بعرفة ؛ لأن إذا "تدل" على أن المذكور بعدها محقق لابد منه ؛ فكأنه قيل : بعد إفاضتكم من عرفات التى لابد منها اذكروا الله. والإفاضة من عرفات لا تكون إلا بعد الوقوف بها؛ فوجب أن يكون الوقوف بها واجبا ، وعن النبى ﷺ: (الحج عرفة ؛ فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج) [2] فاذكروا الله : بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات، وقيل بصلاة المغرب والعشاء "عند المشعر الحرام" وهو جبل فى آخر المزدلفة ، يقال له: قزح، وفى الحديث (أنه ﷺ وقف به يذكر الله ــ تعالى ــ ويدعو حتى أسفر جدًا) [3] رواه مسلم، وقال جابر: دفع رسول الله ﷺ حتى أتى بالمزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئا، ثم اضطجع حتى طلع الفجر ، فصلى الفجر حتى تبين له الصبح بأذان وإقامة ، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام استقبل القبلة ، فدعا وكبر وهلل ووحد ،ولم يزل واقفًا حتى أصبح جدًا ".

● كما يستند إلى السنة فى تقييد المطلق ومثال ذلك تقييد اليد باليمين فى حد السرقة ، فعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا**﴾[4]

---

1 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٠٨، ٢٠٩.

2 – أخرجه الترمذى فى سننه ــ كتاب : التفسير ، باب : من سورة البقرة ، قوله تعالى: " فمن يعجل فى يومين ..." الآية جـ٥ ص ٥٧ ح ٣٩٧٥ وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أبو داوود فى سننه ــ كتاب : المناسك ، باب : من لم يدرك عرفة جـ٢ ص٨٣٨ ح١٩٤٩ ، وأخرجه ابن ماجه فى سننه ــ كتاب : المناسك ، باب : من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع جـ٣ ص٥٨ ح٣٠١٥ .

3 – أخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : الحج ، باب : حجة النبى ﷺ جـ٢ص ٣٢٧ ح١٢١٨ .

4 – سورة المائدة: جزء من آية ٣٨.

يقول[١]: " أي: يمين كل واحد منهما من الكوع كما بينت السنة، كما بينت أنه لابد أن يكون المسروق ربع دينار فصاعدا[٢] من حرز مثله من غير شبهة له فيه وأنه إذا قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى ثم بعد ذلك يعزر[٣] ".

● وكذلك يستند إلى السنة في تخصيص العام ؛ ومثال ذلك تخصيصه عدة الأمة التي يتوفى عنها زوجها عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا** ﴾[٤] فيقول[٥]: " وهذا في غير الحوامل ؛ أما هن فعدتهن أن يضعن حملهن بآية

---

1 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٥٠٧.

2 – أخرج البخاري في صحيحه ــ كتاب : الحدود ، باب : والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما، عن عائشة :" قال النبي ﷺ : تقطع اليد في ربع دينار فصاعدًا" ؛ ينظر : فتح الباري جـ١٨ ص١٥٨، ١٥٩ ح٦٧٨٩، وأخرج مسلم الحديث نفسه في صحيحه جـ٣ ص١٦٨ ح ١٦٨٤ .

3 – أخرج النسائي في سننه ــ كتاب : قطع السارق ، باب : قطع الرجل من السارق بعد اليد جـ ٤ ص ٤٢٤ ح ٤٩٩٣ ،عن الحارث بن حاطب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بلص فقال : "اقتلوه" فقالوا يا رسول الله ، انما سرق ، فقال : "اقتلوه" قالوا يا رسول الله ، انما سرق ، قال:"اقطعوا يده" قال : ثم سرق ، فقطعت رجله ثم سرق على عهد أبي بكر رضي الله عنه حتى قطعت قوائمه كلها ، ثم سرق أيضا الخامسة ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : كان رسول الله أعلم بهذا حين قال :"اقتلوه" ثم دفعه الى فتية من قريش ليقتلوه منهم عبدالله بن الزبير وكان يحب الامارة، فقال : أمروني عليكم؛ فأمروه عليهم ، فكان اذا ضرب ، ضربوه ، حتى قتلوه" ،وأخرجه أبي داوود في سننه– كتاب: الحدود ، باب : في السارق يسرق مرارًا جـ٤ ص١٨٨٦ ح٤٤١٠عن جابر بن عبدالله بزيادة في النص .

4 – سورة البقرة: جزء من آية ٢٣٤.

5 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٤٢.

الطلاق[1]، وفى غير الإماء فإنهن على النصف من ذلك بالسنة ".

● كما خصص عدة الأمة المطلقة عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوَءٍ ﴾[2] فيقول بعد انتهائه من تفسيرها[3]: " قال البيضاوى[4]: ولعل الحكم لما عمّ المطلقات ذوات الإقراء تضمن معنى الكثرة؛ فحسن بناء الكثرة ،ووجوب ذلك فى المدخول بهنّ، أمّا غيرهنّ فلا عدّة لهن؛ لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ [الأحزاب: ٤٩] وفى غير الآيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر، والحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن كما فى سورة الطلاق، والإماء فعدتهن قُرآن بالسنة ".

وهكذا نلحظ قوة الارتباط بين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ونلحظ حرص الخطيب الشربينى على إبراز وبيان هذا الارتباط من خلال الإستدلال بالسنة فى تفسيره، وتلك بعض أمثلة لأهم الاتجاهات التى استشهد فيها بما ورد فى السنة، وثمة أحاديث كثيرة أوردها فى أمور عديدة أخرى تضمنتها الآيات القرآنية ؛ ويتضح ذلك من خلال المباحث الأخرى التى تناولتها كإتجاهاته فى النسخ[5]، والأحكام الفقهية[6] وغيرها.

---

[1] -يقصد قوله تعالى : " واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ..." الآية٤ من سورة الطلاق .

[2] – سورة البقرة: جزء من آية ٢٢٨.

[3] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٣٣.

[4] – ينظر: حاشية زادة على البيضاوى جـ٢ ص٥٤٨ .

[5] – ينظر: ص٢٠٨-٢٢٦ من الرسالة.

[6] – ينظر: ص١٩٣-٢٠٧ من الرسالة.

درجة ما يستشهد به من السنة

اشترط الخطيب الشربيني على نفسه ألا يذكر من الأحاديث إلا صحيحها[1] وحسنها[2] دون ذكر الضعيف[3] أو الموضوع[4]، وحين تتبعت تخريج الأحاديث التي استشهد بها أثناء البحث وجدته قد استشهد ببعض الأحاديث والآثار الضعيفة التي ينبّه عليها:

● كما فعل عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾[5] فيقول[6]:"تنبيه: بيّن سبحانه وتعالى بهذه الآية معاملة المنافقين مع المؤمنين والكفار، روى الواحديّ وغيره ولكن بسند ضعيف (أن ابن أُبيّ وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه : انظروا كيف أردّ هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر رضى الله عنه وقال: مرحبًا بالصديق ، سيد بني تميم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله ﷺ في الغار، الباذل نفسه وماله لرسول

---

1 –هو ما سلم لفظه من ركاكة ومعناه من مخالفة آية أو خبر متواتر أو إجماع وكان راويه عدل وفي مقابله السقيم، ينظر التعريفات للجرجاني ص113 .

2 –هو ما كان راويه مشهوراً بالصدق والأمانة ، غير أنه لم يبلغ درجة الحديث الصحيح ، لكونه قاصراً في الحفظ والوثوق ،وهو مع ذلك يرتفع عن حال من دونه، ينظر التعريفات للجرجاني ص١١٨ .

3 –هو ما كان أدنى مرتبة من الحسن وضعفه يكون تارة لضعف بعض الرواةمن عدم العدالة أوسوء الحفظ أوتهمة في العقيدة وتارة بعلل أخرى مثل الإرسال والإنقطاع والتدليس ،ينظر التعريفات للجرجاني ص180 .

4 – هو الحديث المختلق المصنوع ، ينظر التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، ط دار الفكر بيروت، ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٧٠ م ، ص١٣٠.

5 – سورة البقرة : آية ١٤.

6 – ينظر السراج المنير : جـ١ ص٥٣.

الله ﷺ ، ثم أخذ بيد عمر رضي الله تعالى عنه فقال: مرحبا بسيد بني عدىّ الفاروق القوىّ في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ ، ثم أخذ بيد علىّ رضي الله تعالى عنه فقال: مرحبًا بابن عمّ رسول الله ﷺ وختنه ، أى زوج ابنته عند العامة وعند العرب كل من كان من قبل المرأة ، وكل منهما صحيح هنا، سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ﷺ فنزلت) ".[1]

• وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[2] يختتم بتنبيه يقول فيه[3]: "اختلف في سجود التلاوة عند قراءة هذه الآية فذهب قوم أنه يسجد عندها، وهو قول عمر وعلىّ وابن عمر وابن مسعود وابن عباس، وبه قال ابن المبارك والشافعىّ وأحمد واسحق لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود وقول البيضاوى[4] ولقوله ﷺ : (فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأهما) حديث ضعيف رواه الترمذى وضعفه ".[5]

• وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ : ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** ﴾[6]

---

[1] – ذكره السيوطي في الدر المنثور عند تفسير آية ١٤ من سورة البقرة جــ١ ص٦٩ وقال : أخرجه الواحدى والثعلبي بسنده عن ابن عباس ،وذكره الواحدى في سبب نزول الآية نفسها ولم يذكرسببا غيره ص ١٩ ، ٢٠ .

[2] – سورة الحج : آية ٧٧.

[3] – ينظر: السراج المنير جــ٤ ص ٣٢٠.

[4] – ينظر: حاشية زادة على البيضاوى جــ٦ ص١٣٩ .

[5] –أخرجه الترمذى في ــ كتاب: الجمعة، باب: ما جاء في السجدة في الحج جــ٢ ص٣٦٣ ح٥٧٨ وقال أبو عيسى :هذا حديث ليس إسناده بذاك القوىّ وقال محققه أحمد شاكر بل هو حديث صحيح فإن ابن لهيعة ومشرح بن هاعان ثقتان .

[6] – سورة الحج : جزء من آية ٧٨.

ينبه على ضعف رواية فيقول "وقول البيضاوى[1]:" وعنه عليه الصلاة والسلام أنه رجع من غزوة تبوك فقال: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"[2]. حديث رواه البيهقى وضعف إسناده، وقال غيره: لاأصل له".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى: ﴿ **لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[3] ينبه على ضعف أحد الروايات فيقول[4]: " قال الزمخشرى[5]: سأل عثمان النبى ﷺ عن تفسير قوله ــ تعالى ــ:﴿ **لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ فقال: (يا عثمان ما سألنى أحد عنها قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر و الظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير)[6] وروى هذا الطبرانى بسند ضعيف بل رواه ابن الجوزى فى الموضوعات ".

---

1 – ينظر :حاشيةزاده على البيضاوى جـ٦ ص١٤٠.

2 – أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخه فى ترجمة واصل بن حمزة جـ١٣ ص٤٩٣ينظر :تاريخ بغداد أو مدينة السلام للحافظ أبى بكر بن على الخطيب البغدادى وضعه فى أزهى عصور الإسلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام ٤٦٣ هـ ،ط. دار العربى بيروت ــ لبنان .

3 – سورة الزمر : جزء من آية ٦٣.

4 – ينظر السراج المنير : جـ٦ ص ٢٧٥.

5 –ينظر الكشاف للزمخشرى: جـ٣ ص ٤٠٧.

6 –أخرجه العقيلى فى الضعفاء الكبير فى ترجمة مخلد أبو الهزيل عن عبد الرحمن المدنى جـ٤ ص٢٣١ــ٢٣٢وقال : لا يتابع عليه إلا من طريق يقاربه ؛ ينظر : الضعفاء للحافظ أبى جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلى المكى ، حققه ووثقه: د. عبد المعطى أمين قلعجى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤ م الأولى.

وهكذا يتتبع الخطيب الشربيني الأحاديث الموضوعة فنجده تجنب الأحاديث الموضوعة في فضائل السور وبعض الآيات بل أشار في نهاية كل سورة إليها خاصة ما رواه البيضاوي تبعًا للزمخشري وقد أوضحت هذا بالأمثلة التفصيلية في مبحث خاص عن فضائل السور القرآنية. ولكن تفسيره مليء بالدخيل الذي يمر عليه دون تعقيب أو تصحيح إلا ما يخل بعصمة الأنبياء فهو يردّه ،كما ذكرت في مبحث الدخيل في تفسيره ، وهناك أحاديث وآثار ضعيفة وموضوعة لم ينبه عليها، ويتضح ذلك من تخريج الأمثلة التي استعنت بها في البحث.

- كما استشهد بآثار لم أجدها في كتب الحديث التي وقفت عليها وكذا كتب التفاسير ؛ ومثال ذلك ما أورده في تفسير قوله ــ تعالى ــ: ﴿الم﴾[١] سورة البقرة ؛ إذ يقول[٢] : وقال عليّ رضي الله عنه: إن لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي[٣].

- وقد نسب الشيخ الشربيني بعض الروايات إلى من لم أجده قد أخرجها من أصحاب الكتب ومثال ذلك ما نسبه للشيخين " البخاري ومسلم " عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا** ﴾ [طه:١١٥] ولكن عوقب بترك التحفظ عن أسباب النسيان ؛ إذ رفع الإثم بالنسيان من خصائص هذه الأمّة ؛ كما ثبت في الأخبار الصحيحة ؛ كخبر الشيخين: (رفع عن أمّتي الخطأ والنسيان)

---

[1] – سورة البقرة: آية ١.

[2] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٣٨.

[3] – لم أقف على تخريجه فيما اطلعت عليه من كتب الحديث الضعيف منها والصحيح ، وكذا كتب التفسير.

فهذا الخبر الذى نسبه للشيخين لم أجده فى صحيحيهما بل وجدته إسناده ضعيف.(١)

والمطالع لتفسير الخطيب الشربينى يجده يستشهد كثيرًا بالحديث النبوى الشريف فيكاد لا يترك آية إلا ويستند فى تفسيرها إلى السنة بل يذكر عدة روايات فى المسألة الواحدة ويتضح هذا من خلال مباحث الدراسة المختلفة....لكنه فى كل هذا لا يذكر درجة الحديث ولا يذكر له تخريجًا غالبًا.

● فقد يذكر الصحابى فقط من السند ومثال ذلك قوله(٢): "وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم)" (٣)

● وقد يذكر الحديث مجردًا من السند ويشير إلى من خرّجه من أصحاب الكتب ومثال ذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ**

---

[1] – أخرجه ابن ماجه فى ــ كتاب : الطلاق ، باب : طلاق المكره والناسى جـ٢ ص٢٢٤ بلفظ (إن الله تجاوز عن أمتى)ح ٢٠٤٣ وبلفظ (إن الله وضع عن أمتى)ح٢٠٤٥ وقال محققه محمد فؤاد عبد الباقى :(قال البوصيرى فى الزوائد :إسناده ضعيف لاتفاقهم على ضعف أبى بكر الهذلىّ).

[2] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٣٣،٢٣٤.

[3] – أخرجه أبو داوود فى سننه ــ كتاب :السنة ، باب :الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه جـ٤ ص٢٠٠٠ ح ٤٦٨٢ ، وأخرجه الدارمى فى سننه ــ كتاب: الرقاق، باب :حسن الخلق جـ٢ ص ٢٠٩ ح ٢٧٩٢، وأخرجه الترمذى فى سننه ــ كتاب:الرضاع ،باب: ما جاء فى حق المرأة على زوجها جـ٣ ص٣٠٤ ح ١١٦٢ وقال :هذا حديث حسن صحيح ،وأخرجه الحاكم فى المستدرك ــ كتاب : الإيمان جـ١ ص٤٣ ح ١ وسكت عنه الحاكم وصححه الذهبى.

﴿ فَلاَ تَقْرَبُوهَا ﴾ يقول[1]: "وعلى هذا فالنهى عن القربان ظاهر كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن لكل ملك حمى ، وإن حمى الله فى أرضه محارمه ، فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه)[2] رواه الشيخان"

● وقد يذكر الشيخ الشربينى الحديث بالمعنى كما فعل عند تفسيره لقوله- تعالى-:﴿ إلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾[3]إذ يقول[4]: ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ وهو شعلة من نار ساطعة وقد يطلق على الكواكب لما فيها من البريق يشبه شهاب النار فلا يخطئ أحدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه أو جنبه أو يده حيث يشاء الله . ومنهم من يخبله فيصير غولا فيضل الناس في البوادي . روى أبوهريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا قضى الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلى الكبير، فيسمعها مسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض . ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدّد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها إلىلسان الساحر أو الكاهن ، وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها

---

1 – ينظر السراج المنير جـ١ ص١٩٧.

2 –أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب : الإيمان ، باب : فضل من استبرأ لدينه،وكتاب : البيوع ، باب : الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات ؛ ينظر: فتح البارى جـ١ ص٢٢٧ ــ ٢٣١ ح ٥٢ ، جـ٢ ص٤ــ٥ ح ٢٥٠١ . وأخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : المساقاة ، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات جـ٣ ص١٢١٩ــ١٢٢٠ ح ١٥٩٩ .

3 – سورة الحجر : آية ١٨ .

4 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٢٨٧ .

مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فيصدّق بتلك الكلمة التي سمعها من السماء) [1]

فهذه الرواية التي ذكرها الشيخ الخطيب الشربيني بمقارنتها بالرواية نفسها في كتب الحديث المعتمدة نجده ذكرها بالمعنى.

● وقد يذكر متن الحديث فقط دون إشارة إلى سند أو كتب تخريج ومثاله ما فعله عند انتهائه من تفسير قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ**﴾[2] يقول[3]:"وفي الآية دليل على وجوب الوقوف بعرفة لأن إذا تدل على أن المذكور بعدها محقق لابد منه، فكأنه قيل بعد إفاضتكم من عرفات التي لابدّ منها اذكروا الله، والإفاضة من عرفات لا تكون إلا بعد الوقوف بها، فوجب أن يكون الوقوف بها واجبا، وعن النبي ﷺ: (الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد ادرك الحج) [4] "

● وقد يذكر المعنى الإجمالي للحديث دون سند أو متن مشيرًا إلى أن ما ذكره من السنة ومثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ :﴿ **وَإِن**

---

1 – ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ــ كتاب : التفسير، باب : قوله تعالى " إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين "جـ١٣ ص٢٤٣ ح٤٧٠١ .

2 – سورة البقرة : جزء من آية ١٩٨.

3 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٠٨.

4 –أخرجه الترمذي في سننه ــ كتاب : التفسير، باب :من سورة البقرة قوله تعالى "فمن يعجل في يومين...."جـ٥ ص ٥٧ ح ٣٩٧٥ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أبو داوود في سننه ــ كتاب : المناسك ،باب : من لم يدرك عرفة جـ٢ ص٨٣٨ ح ١٩٤٩ ، وأخرجه ابن ماجه في سننه ــ كتاب : المناسك ، باب : من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع جـ٣ ص٥٨ ح ٣٠١٥ ، وأخرجه الدارمي بنحوه في سننه ــ كتاب: الحج باب بما يتم الحج جـ١ص٥١٥ ح١٨٨٧.

كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَـــةٌ ﴾[1] إذ يقـــول[2]: "وبيّنـــت السنة جواز الرهن فى الحضر ومع وجود الكاتب، فقد رهن رســـول الله ﷺ درعه فى المدينة من يهودى بعشرين صاعًا من شعير أخذه أهله "[3].

● وقد يشير إلى معنى الحديث ولا يذكر متنه نصًا أو معنىً كما فعــل عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[4] إذ يقول[5]: " بل إنما تحمل وزرها فقط. فإن قيل: ورد أن المظلوم يأخذ مـــن حـــسنات الظالم ــ فإذا لم يوف يؤخذ من سيئات المظلوم وتطرح على الظالم ؟ أجيب: بأن ذلك بسببه فهو كفعله. فإن قيل: قد ورد أن الميت يعـــذب ببكـــاء أهلـــه؟ أجيب بأن ذلك محمول على ما إذا أوصى بذلك ".

فقد أشار هنا إلى حديثين شريفين :

الأول : عن أبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال :(أتدرون ما المفلس؟" قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال:"ان المفلس من يأتى يوم القيامـــة بصلاة و صيام و زكاة ، ويأتى قد شتم هذا ، وقذف هذا، وأكل مـــال هـــذا، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا مـــن حـــسناته ، فان فنيت حسناته، قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار). [6]

---

1 – سورة البقرة : جزء من آية ٢٨٣.

2 – ينظر السراج المنير : جـــ١ ص٢٩٩.

3 –سبق تخريجه ص٦١ .

4 – سور الإسراء: جزء من آية ١٥.

5 – ينظر: السراج المنير جـــ٣ ص٤١٤، ٤١٥.

6 – أخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلـــم جـــ٤ ص٣٠٢ ح٢٥٨١ .

والثاني: عن عمر عن النبي ﷺ قال : (الميت يعذب في قبره بما نيح عليه)[1].

● وقد يصدّر الحديث بصيغة روّى كما فعل عند تفسيره لقوله ــ تعالى-: ﴿**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ**﴾[2] فيقول[3]: "وقال بعضهم : هي آيات الكتاب و هي أحكام يدل عليها؛ ما روى عن صفوان أن يهوديا قال لصاحبه : تعال نسأل هذا النبي فقال الآخر : لا تقل نبي ، فإنه لو سمع صارت له أربعة أعين فأتياه فسألاه عن هذه الآية : ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ فقال:(لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبرئ إلى سلطان ليقتله ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبلوا يده،وقالوا :نشهد أنك نبي.قال: فما منعكم أن تتبعوني ؟ قالوا :إن داود دعا ربه أن لايزال في ذريته نبي وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا اليهود)[4] ".

● ونادراً ما يذكر الشيخ الخطيب الشربيني شرحًا لغريب الألفاظ بالحديث بعد أن يستدل به ، ومثاله ما ذكره في أول سورة التحريم بعد ذكر روايتي حديث شرب الرسول ﷺ للعسل فيقول [5]:

---

1 – أخرجه مسلم في صحيحه ــ كتاب : الجنائز ، باب : الميت يعذب ببكاء أهله عليه جـ٢ ص٦٤ ح٩٢٧.

2 – سورة آل عمران : آية ٢.

3 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٤٨٧ .

4 –أخرجه الترمذي في سننه ــ كتاب : الاستئذان والآداب ، باب : ما جاء في قبلة اليد والرجل جـ٤ ص٤٩٦،٤٩٧ ح٢٧٣٣ وقال أبو عيسى :هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه النسائي في سننه ــ كتاب : تحريم الدم ، باب : السحرجـ٤ ص٢٨،٢٩،٣٠ح٤٠٨٩ .

5 –ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٦.

" تنبيه : شرح غريب الحديثين وما يتعلق بهما قولها : كان رسول الله يحب الحلوى بالمد والقصر قاله في ــ المصباح[1] ــ وهو على كل شئ يحلــو، وذكر العسل بعدها وإن كان داخلا في جملة الحلوى تنبيهــاً علــى شــرفه و مرتبته ،وهو من باب الخاص بعد العام . وقولها :فتواطيت أنا وحفصة هكذا وقع في الرواية، وأصله فتوطأت بالهمز ، أي: اتفقت أنا وحفصة . وقولها : إني لأجد منك ريح مغافير ، هو بغين معجمة وفاء بعدها يــاء وراء، وهــو صمغ حلو كالناطف وله لاريح كريهة ينضحه شجر يقال له : العرفط بــضم العين المهملة والفاء يكون بالحجاز ، وقيل : العرفط نبات لــه ورق يفــرش على الرض له شوك وثمره خبيث الرائحة .

وقال أهل اللغة العرفط من شجر العضاه ، وهو كل شــجر لــه شــوك. وقيل رائحته كرائحة النبيذ ، وكان النبي ﷺ يكــره أن توجــد منــه رائحــة كريهة.

قولها : جرست نحله العرفط بالجيم والراء وبالسين المهملتين ، ومعنــاه : أكلت نحله العرفط فصار منه العسل ".

---

[1] -ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح للكبير للرافعي للعالم العلامة أحمــد بــن محمد بن علي المقري الفيومي المتوفى ٧٧٠ هــــ ط.دار الفكــر للطباعــة والنــشر والتوزيع جـــ١ ص١٤٩ مادة " حلا ".

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

"الصحابة هم أدرى الناس بالتفسير؛ فقد شرح لهم النبي ﷺ معاني القرآن، وبيّن لهم ما خفى عليهم، فشرح لهم مجمله وأزال مشكله، وقد شاهدوا القرائن والظروف والملابسات التى أحاطت بالقرآن وقت نزوله؛ فكان تفسيرهم أقرب إلى السنة، بل يعده بعض العلماء من السنة مادام ليس للرأى فيه مجال ؛ فيرى بعض الباحثين أن تفسير الصحابة للقرآن يلي بالمكانة تفسير رسول الله ﷺ؛ وذلك لكونهم شهود عيان لأحوال نزول الوحي وأسبابه وقرائنه.

ولكونهم أهل اللسان العربى وأصحاب البلاغة والفصاحة والبيان.

ولكونهم الجيل الذى لم يشهد التاريخ مثيلا لهم في علمهم و إدراكهم وسعة نظرهم لأمور الحياة والكون والإنسان.

وقد اشتهر عدد قليل من الصحابة بتفسير القرآن الكريم بما سمعوه عن النبى ﷺ وبما فتح الله به عليهم من رأى واجتهاد، وقد عدهم السيوطى ــ رحمه الله ــ وسماهم ؛ وهم: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعرى، وعبد الله بن الزبير ــ رضى الله عنهم ــ.

وهناك من تكلم فى التفسير من الصحابة غير هؤلاء ــ كأنس بن مالك؛ وأبى هريرة ، وعائشة ، وغيرهم إلا أن ما نقل عنهم فى التفسير قليل جدًا.

وكما اشتهر بعض أعلام الصحابة بالتفسير اشتهر أيضا أعلام من التابعين بالتفسير والرجوع إليهم فى استجلاء ما خفى من كتاب الله ــ عز وجل.

وقد اعتمد هؤلاء المفسرون فى فهمهم للقرآن الكريم على ما جاء فى الكتاب نفسه ، وعلى ما رووه عن الصحابة عن النبى ﷺ، وتفسير الصحابة أنفسهم ، وعلى ما أخذوه من كتب أهل الكتاب ، وعلى اجتهادهم.

وممن اشتهر بالتفسير من التابعين سعيد بـــن جبيـــر[١]، ومجاهـــد بـــن جبر[٢]، وعكرمة[٣] ، وعطاء بن أبى رباح[٤] ، وغيرهم ‏[٥].

وقد روت لنا كتب التفسير كثيرا من أقـــوال الـــصحابة والتـــابعين فـــى التفسير، سواء بطريق النقل عن النبى ﷺ أو بطريق الرأى والاجتهاد .

والخطيب الشربينى من المفسرين الذين عنوا عناية كبيرة بما ورد عـــن الصحابة والتابعين فى تفسير القرآن الكريم ؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ حرصه على الاستعانة بأقوال الصحابة والتابعين فى تفسير الآيات الكريمـــة، فهـــذا منهجه فى تناوله لكل آية من آيات القرآن الكريم، ويتضح ذلك من النمـــاذج التى سأعرضها فيما يلى من تفسيره:

---

[1] – هو سعيد بن جبير الأسدى مولاهم ،الكوفي:ثقة ثبت فقيه من الثالثة ،وروايته عن عائشة و أبى موسى و نحوهما مرسلة ،قتل بين يدى الحجاج سنة خمس و تسعين ،ولم يكمل الخمسين،ينظر: تقريب التهذيب ص١٧٤.

[2] – هو مجاهد بن جبر ،بفتح الجيم وسكون الموحدة،أبو الحجاج المخزومى مـــولاهم ، المكي :ثقة إمام في التفسير وفي العلم ، من الثالثة ، مات سنة إحـــدى –أو اثنتـــين أو ثلاث أو أربع –ومئة ، وله ثلاث و ثمانون ،ينظر: تقريب التهذيب ص٤٥٢ .

[3] – هوعكرمة أبو عبد الله ،مولى بن عباس ،أصله بربرى :ثقة ثبت عالم بالتفسير ، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر و لاتثبت عنه بدعة ، من الثالثة ،مات سنة أربع و مئة ،وقيل بعد ذلك،ينظر :تقريب التهذيب ص٣٣٦.

[4] – هو عطاء بن أبى رباح ،بفتح الراء و الموحدة ،واسم أبى رباح :أســـلم ،القرشـــي مولاهم، المكي:ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال ،مـــن الثالثـــة ،مـــات ســـنة أربـــع عشرة،على المشهور ،وقيل :إنه تغير بأخرة،ولم يكثر ذلك منه؛ ينظر:تقريب التهـــذيب ص٣٣١ .

[5] – مستقى من البرهان فى علوم القرآن جـــ ٢ ص ١٥٧ ـــ١٥٩ ،والإتقان فى علـــوم القرآن جـــ٢ ص ، والتفسير والمفسرون للذهبى جـــ ١ ص٦٢ ـــ٦٩ .

● عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّــواْ وُجُــوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [1]يقول[2]: "وكان تحويل القبلة في رجب بعد الزوال قبل قتال بــدر بشهرين. وقول البيضاوى [3]: وقد صلى بأصحابه في مسجد بنى سلمة وأنه تحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم ، فــسمى المسجد مسجد القبلتين فيه تحريف ؛ فإن ظاهره أنه ﷺ كان إماماً في قــصة بنى سلمة وأنه تحول في الصلاة وليس كذلك ؛ فقد روى البخارى عن ابــن عمر أنه قال : 'بينما الناس يصلون في صلاة الصبح إذا أتاهم أى : من بنى سلمة فقال : إن النبى ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة؛ فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام ؛ فاستداروا إلى الكعبة ". [4]

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِــن كُــلِّ أُمَّــةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَــؤُلاءِ شَهِيدًا ﴾[5] يقول [6]: وعن ابن مسعود أنــه قرأ سورة النساء على رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله : " وجئنا بك على هؤلاء شهيدا "؛ فبكى رسول الله ﷺ ؛ وقال: "حسبك"[7].

---

[1] – سورة البقرة جزء من آية ١٤٤ .

[2] – ينظر: السراج المنير جــ١ ص١٦٠ .

[3] – ينظر: حاشية زادة على البيضاوى جــ٢ ص٣٦٦ .

[4] – أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب : الصلاة ، باب ما جاء فى القبلــة ح ٤٠٣ وفى كتاب : التفسير، باب "ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك " الآية ح ٤٤٩٠ ؛ ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخــارى جـــ ٢ ص٢٤٢ وجــــ١٢ ص٤٨٤،٤٨٥ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : المساجد ومواضــع الــصلاة، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ح ٥٢٦ جــ١ ص٣٨٧ ، ٣٨٨ .

[5] – سورة النساء : آية ٤١ .

[6] – ينظر: السراج المنير جــ ١ ص ٤٧٦ .

[7] – أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب : فضائل القرآن ، بــاب : قــول المقــرئ للقارئ : حسبك ح ٥٠٥٠ ، وفى كتاب : التفسير باب : "فكيف إذا جئنا من كــل أمــة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا" ح ٤٥٨٢ ؛ ينظر: فتح البارى بــشرح صـــحيح=

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[1] يقول[2]:"التى نحتوها واتخذوها أربابًا من دون الله ؛ طمعًا فى شفاعتها والانتفاع ؛ بها ويدل لذلك قوله ــ تعالى ــ: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨] عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه ، أو حجارة الكبريت، كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود[3]، والحاكم، والبيهقى عن ابن عباس ــ رضى الله ــ تعالى ــ عنهما ــ وعليه أكثر المفسرين ــ وإن قال البيضاوى[4]: إنه تخصيص بغير دليل ؛ لأنّ مثل هذا التفسير الوارد عن الصحابى فيما يتعلق بأمر الآخرة له حكم المرفوع. وأيضا حجارة الكبريت أشد حرًا وأكثر التهابا، وتزيد على غيرها من الأحجار سرعة الايقاد ونتن الريح وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالأبدان. وقيل: جميع الحجارة ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ:﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَآءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ فِى يَتَامَى النِّسَآءِ الَّلاتِى لا تُؤْتُونَهُنَّ

=البخارى جـ ١٢ ص ٩ ، ١٠ وجـ ١٤ ص٢٨٩ ، ٢٩٠ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : صلاة المسافرين وقصرها، باب : فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للإستماع والبكاء عند القراءة والتدبر ح ٨٠٠ جـ١ ص٥٧٣ .

[1] – سورة البقرة: جزء من آية ٢٤.

[2] – ينظر: السراج المنيرجـ١ ص٦٦.

[3] –أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير جـ٩ص٢١٠ ــ٢١١ ح٩٠٢٦ ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ــ كتاب :التفسير، باب: من سورة البقرة جـ٢ ص٢٨٧ ح٣٠٣٤ وقال الحاكم :هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى.

[4] –حاشية زادة على البيضاوى جـ١ ص٤١٠ ، ٤١١ ، وتعليل البيضاوى مختلف عما نسبه إليه ؛ إذعلّل بأن الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لايتقد به كل نار،والكبريت يتقد به كل نار وإن ضعفت ، فإن صح هذا عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ فلعله أراد به أن الأحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران.

مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ [1]يقول[2]:" "تنكحوهن " لجمـــالهن أو دمامتهن ؛ قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : هى اليتيمة تكون فى حجــر الرجل وهو وليها فيرغب فى نكاحها إذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقها وإن كانت مرغوباً عنها فى قلة المال والجمال تركها[3] " .

● وعند تفسيره لقوله ــ تعــالى ــ: **﴿ إِنَّ الإِنْــسَانَ لِرَبِّــهِ لَكَنُــودٌ﴾**[4] يقول[5]: "قال ابن عباس :" لكفور: جحود لنعم الله تعالى " [6] ".

كانت هذه بعض نماذج من أمثلة كثيرة[7] استدل فيها الــشيخ الخطيــب الشربينى بآراء وأقوال الصحابة والتابعين ؛ فلا يكاد يترك آية إلا ويستند إلى أقوالهم فى تفسيرها، وإن كانت أكثر الاسماء الواردة فى تفــسير الــصحابة والتابعين فى تفسيره من نصيب الصحابى الجليل ابن عبــاس ؛ وذلــك لمــا اشتهر به من دراية ورواية وسعة علم فى التفسير والتأويل ، وهو من ســمى ترجمان القرآن، فلا عجب من إكثاره، بل لا عجب من أن نجد نقولــه عــن

---

1 – سورةالنساء : جزء من آية١٢٧ .

2 – ينظر: السراج المنير جـــ١ ص٥٢٦ .

3 –أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب:التفسير، باب :قوله" ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء "ح ٤٦٠٠ ؛ ينظر: فــتح البارى بشرح صحيح البخارى جـــ١٣ ص٣٥ ، ومسلم فى صحيحه ــ كتاب: التفسير ح ٣٠١٨ جـــ ٤ ص٦٢٢ .

4 – سورة العاديات: آية ٦ .

5 – ينظر: السراج المنير جـــ٨ ص٤٠٨، ٤٠٩.

6 –أخرجه البخارى فى صحيحه ــ عن مجاهد فى كتاب : التفسير "سورة والعاديــات والقارعة"جـــ١٤ ص١٥١ .

7 –ينظر: السراج المنير جـــ ا ص ٣٦ ، ٦٦، ١٠١ ، ١٥،] ٢٤٦،٢٨٤،٢٨٥، ٤٤٣، جـــ ٣ ص ٥٨جـــ ٥ص ١٥٨ ، ١٥٩، جـــ ٧ ص٣٣٨ ، جـــ ٨ ص ٢٤٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

الصحابة مسبوقة في أحيان كثيرة باسم ابن عباس ، ثم من سواه من الصحابة.

الدخيل فى تفسيره

تعريف الدخيل:

الدخيل لغةً[1]: " الدَّخَل ما داخل الإنسان من فساد فى عقل أو جسم ، والغدر والمكر والداء والخديعة ، والشجر الملتفّ ، والقوم الذين ينتسبون إلى من ليسوا منهم ، وداء وحب دخيل داخل ، ودَخِلَ أمره كفَرِحَ ، فسد داخلُه ، وهو دخيل فيهم أى من غيرهم ، ويدخل فيهم ، والدخيل كلمة أُدخلت فى كلام العرب وليست منه.

والدخيل الداء ، والعيب ، والريبة ، وما دخل من الكلأ فى أصول الشجر، وما دخل بين الظهران والبطنان من الريش ، والمدخول : المهزول ومن فى عقله دخل".

قال صاحب المصباح المنير[2]: "وفلان دخيل بين القوم أى ليس من نسبهم بل هو نزيل بينهم، ومنه قيل : هذا الفرع دخيل ، ومعناه أنه ذكر استطرادًا ومناسبة لا يشتمل عليه عقد الباب".

وهكذا يتضح لنا أن كلمة "الدخيل" تفيد العيب والفساد المعنويّ وأيضًا المحسوس ، كما تطلق على الغرابة بإدخال المختلف بين المؤتلف.

---

1 – يراجع : لسان العرب لابن منظور جـ١١ ص٢٣٩، ٢٤٣ مادة "د ،خ ، ل"، والقاموس المحيط ، مادة ، " د، خ ، ل " جـ٣ص٥٤٩،٥٥٠ ، ومختار الصحاح ص٢٠٠ مادة "د ، خ ، ل ".

2 – ينظر: المصباح المنير لأحمد بن محمد بن على المقرىّ الفيومىّ ، المتوفى سنة٧٧٠هـ ، ط .المطبعة الأميرية مصر ، الثانية ١٩٠٩هـ ، جـ١ ص٢٩٣، مادة " د ، خ ، ل ".

الدخيل اصطلاحاً:

"هو التفسير الذى لا أصل له فى الدّين ، على معنى أنه تسلل إلى رحاب القرآن الكريم على حين غرة وعلى غفلة من الزمن بفعل مؤثرات معينة حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ".[1]

خطورة الدخيل :

كان للدخيل أثره السيئ فى التفسير ؛ فالإسرائيليات التى أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها القرآن الكريم تُفسد على المسلمين عقائدهم بما تنطوى عليه من تشبيه وتجسيم لله سبحانه، ووصفه بما لا يليق بجلاله وكماله، وربما فيها من نفى العصمة عن الأنبياء والمرسلين، وتصويرهم فى صورة مَن استبدت بهم شهواتهم ، ودفعتهم إلى ما لا يليق بإنسان عادىٍّ

فضلا عن أن يكون نبيًا ، وهى تصور الإسلام فى صورة دين خرافى يُعْنَى بتُرّهات و أباطيل لا أصل لها ، كما أنها تكاد تذهب بالثقة فى بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين ؛ فقد أُسندَ من هذه الإسرائيليات شىء ليس بالقليل إلى نفر من السلف الصالح ، وكادت تصرف الناس عن الغرض الذى أنزل القرآن الكريم من أجله وتلهيهم عن التدبر فى آياته ، والانتفاع بعبره وعظاته ، إلى تفاصيل الاشتغال بها مُضيعةً للوقت[2].

---

[1] – ينظر: الدخيل فى التفسير للدكتور عبد الوهاب فايد ــ ط . المطبعة الأميرية مصر، جــ١ص١٣.

[2] – الإسرائيليات فى التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبى ، المتوفى سنة١٩٧٧ــ ط .مكتبة وهبة القاهرة ، الرابعة سنة١٤١١هــ-سنة١٩٩٠م ، ص٢٩ــ ٣٤ بتصرف.

وقد تناول الدكتور الذهبي واجب المفسرين تجاه هذه الإسرائيليات عند تفسيره القرآن الكريم ؛ فذكر عدة نقاط يجب أن ينتبه إليها المفسر وهى :

"أن يكون يقظاً إلى أبعد الحدود حتى يستطيع أن يستخلص من الإسرائيليات ما يناسب روح القرآن الكريم ويتفق مع النقل الصحيح.

وألا ينقل عن أهل الكتاب إذا كان فى سنة نبينا ﷺ بيان لمجمل القرآن أو تعيين لمبهمه.

وألا يذكر شيئاً من الإسرائيليات الموثوق بها إلا بقدر ما يقتضيه بيان الإجمال وما يكفى أن يكون حجة على مَن خالف وعاند من أهل الكتاب.

وأن ينبه على الصحيح منها ويبطل الباطل ولا يضع أمام القارئ من الأقوال ما يسبب له الحيرة والاضطراب[1]".

"وأغلب كتب التفسير ذكرت بعض الإسرائيليات ، وإن تفاوت ذلك قلة وكثرة وتعقيبًا عليها وسكوتًا عنها، فمنها ما تعرض للإسرائيليات مع إسنادها إلى رواتها إسنادًا تاما تاركين مهمة نقدها عملاً بالقاعدة المقررة لدى علماء الحديث: "مَن أسند لك فقد حمّلك " ، ومنها ما يتعقبونها بالنقد ، ومن هذه الكتب ما يذكر الإسرائيليات ولا يسندها ، ومنها ما لا يسندها لكن ينبّه على الضعيف منها ، ومنها ما ينبّه أحيانًا وأحيانًا أخرى يمر عليها دون تضعيفها رغم ما فيها من باطل قد يصل إلى حد نفى العصمة عن الأنبياء ، ومنهم من يحمل على من سبقه من المفسرين ممن ذكروا هذه الإسرائيليات فى تفاسيرهم[2]".

1- الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي ص١٦٥،١٦٦ بتصرف.

2- المرجع السابق ص٩٥،٩٦ بتصرف.

والإمام الخطيب الشربيني الذى نحن بصدد تفسيره ، زلّ كغيره من المفسرين، فى بعض المواضع التى دخلتها الإسرائيليات ، خاصة القصص الذى يغلب عليه ، فتفسيره ملىء بالإسرائيليات التى يمر عليها مرورًا مع غرابتها من غير أن يتعقبها بتصحيح أو تضعيف أو بيان منشئها ، وغالب ذلك فيما يحتمل الصدق والكذب من أخبار بنى إسرائيل ، لكن الشيخ الخطيب إن مر على مثل هذه القصص بدون أن يعلق عليها لا يفوته أن يعلق على قصة تخل بمقام النبوة فيبين بطلانها.

ويتضح اتجاه الشيخ الشربينى فى عرضه لما ذكره من الدخيل فى تفسيره بالأمثلة فيما يلى :

١- <u>يذكر الدخيل ولا يعلق عليه:</u>

- ومثال ذلك ما ذكره فى محو آية الليل عند تفسيره لقوله-تعالى-: **﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاه تَفْصِيلاً ﴾**[١]

فقد ذكر الشيخ الخطيب الشربينى كغيره من المفسرين حديثًا برواية عن ابن عباس أثناء تفسيره لمحو آية الليل حيث يقول[٢]:" ﴿ **فَمَحَوْنَا**﴾ أى: بعظمتنا الباهرة ﴿ **آيَةَ اللَّيْلِ** ﴾ أى: طمسنا نورها بالظلام ليسكنوا فيه فجلعناها لا يبصر فيها بالضوء فلا تزال هذه الدار الناقصة فى تنقل من نور إلى ظلمة ومن الظلمة إلى النور كما أن الإنسان بعجلته التى يدعو إليها طبعه وتأنيه الداعى إليه عقله من انتقال من نقصان إلى كمال ومن كمال إلى نقصان، كما أن القمر الذى هو أنقص من الشمس كذلك، قال ابن عباس:

---

1 – سورة الإسراء : آية ١٢.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٤١٢،٤١١.

جعل الله نور الشمس سبعين جزءًا ونور القمر كذلك ، فمحى من نور القمر تسعة وستين جزءًا فجعلها مع نور الشمس. وحكى أن الله ــ تعالى ــ أمر جبريل فأَمَرَّ جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور، وسأل ابن ذكوان عليًا ــ رضى الله عنه ــ عن السواد الذى فى القمر قال هو أثر المحو".

الرد عليه :

بالرجوع إلى سند الحديث ومتنه وجدت الإمام السيوطى[1] قد ذكره فى كتاب المبتدا من لآلئه المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة:

" قال أبو الحسين بن المنادى فى الملاحم. حدثنا هارون بن على بن الحكم حدثنا أحمد بن عبد العزيز بن مرداش الباهلى حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد القرشى حدثنا محمد بن موسى الشيبانى، حدثنا مسلمة بن الصلت، حدثنا أبو على حازم بن حازم بن المنذر العنزى، حدثنا عمر بن صبيح عن مقاتل بن حبان عن شهر بن الأعمش عن سليمان بن موسى عن القاسم بن مخيمرة عن على بن أبى طالب وحذيفة وابن عباس أنهم كانوا جلوسًا ذات يوم فجاء رجل فقال إنى سمعت العجب فقال له حذيفة وما ذاك؟ قال سمعت رجالاً يتحدثون فى الشمس والقمر فقال: وما كانوا يتحدثون؟ فقال زعموا أن الشمس والقمر يُجاء بهما يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان فى جهنم. فقال على وابن عباس وحذيفة: كذبوا الله أجل وأكرم من أن يعذب على طاعته ألم تر إلى قوله ــ تعالى ــ : ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنَ**﴾ [إبراهيم: من الآية ٣٣] يعنى دائبين فى طاعة الله فكيف يعذب الله

---

[1] –هو محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطى،جلال الدين،إمام حافظ ،مورخ،أديب له من مؤلفاته الإتقان فى علوم القرآن والدر المنثور فى التفسير المأثور،توفى عام٩١١هــ، ينظر: الأعلام للزركلى جـ٣ ص٣٠١ ،٣٠٢.

عبدين يثني عليهما أنهما دائبان في طاعة؟ فقالوا لحذيفة: حدثنا رحمك الله؟ فقال حذيفة: بينما نحن عند رسول الله ﷺ، إذ سئل عن ذلك فقال: إن الله لما أبرم خلقه إحكامًا فلم يبق من خلقه غير آدم خلق شمسين من نور عرشه، فأما ما كان في سابق علمه أنه يدعها شمسًا فإنه خلقها مثل الدنيا على قدْرها، وأما ما كان في سابق علمه أنه يطمسها ويحولها قمرًا فإنه خلقها دون الشمس في الضوء، ولكن إنما يرى الناس صغَرها لشدة ارتفاع السماء وبُعْدها من الأرض ، ولو تركهما الله كما خلقهما في بدء الأمر لم يعرف الليل من النهار، ولكان الأجير ليس له وقت يستريح فيه ولا وقت يأخذ فيه بأجره ، ولكان الصائم لا يدري متى يصوم ومتى يُفطر، ولكانت المرأة لا تدري كيف تَعْتَدُّ ، ولكان الديان لا يدرون متى تحل ديونهم ، ولكان الناس لا يدرون أموال معايشهم ولا يدرون متى يسكنون لراحة أجسامهم ، ولكانت الأَمَة المضهدة والمملوك المقهور والبهيمة المسخرة ليس لهم وقت راحة ؛ فكان الله أنظر لعباده وأرحم بهم ؛ فأرسل جبريل فأمَرّ بجناحه على وجه القمر ثلاث مرات وهو يومئذ شمس؛ فمحا عنه الضوء وبقي فيه النور؛ فذلك قوله : ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾ فالسواد الذي ترونه في القمر شبه الخيوط إنما هو أثر المحو"[1].

ويرى الألوسي أن الأحسن عند من عز عليه وقته عدم الالتفات إلى مثل هذه الخرافات وتضييع الوقت في ردّها [2].

---

1 – ينظر: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، المتوفى ٩١١هـ ط .دار المعرفة ، بيروت لبنان ، جـ١ ص٤٥،٤٦.

2– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، المتوفى سنة ١٢٧٠هـ ط . دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الأولى ، ١٤١٥ هـ ــ ١٩٩٤ م ، المجلد الثامن جـ١٥ ص ٢٩ بتصرف .

ومما يشهد بهذا أن النبى ﷺ ما كان يتعرض للكونيات بهذا التفصيل، وعندما سئل عن الهلال لِمَ يَبْدو صغيرًا ثم يكبر ثم يصغر؟ أجاب الله ــ عز وجل ــ سائليه بالفائدة فقال: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى**﴾ [1].

والشيخ الخطيب الشربينى نفسه ذهب إلى هذا عند تفسيره لهاتين الآيتين؛ فقال[2]: "ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنهم سألوا عن الحكمة فى اختلال حال القمر وعن حكم دخولهم بيوتهم من غير أبوابها ، أو أنه ــ تعالى ــ لما ذكر أنها مواقيت الحج ــ وهذا أيضًا من أفعالهم فى الحج ــ ذكره للاستطراد ، وأنهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم وهو معرفة الحلال والحرام ، ويختص بعلم النبوة، عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيهًا على تعكيسهم السؤال و تمثيلهم بحال مَن ترك باب البيت ، ودخل من ورائه . والمعنى : وليس البرّ أن تعكسوا فى مسائلكم ولكن مَن اتقى ذلك ولم يجسر على مثله".

● وذكر الشيخ الخطيب الشربينى قصة أصحاب الكهف وفصّل ما أبهمه القرآن عن أسماء أصحاب الكهف وسبب مصيرهم إلى الكهف وعددهم واسم كلبهم ولونه وكلامه ، كما أورد الروايات المختلفة التى تعرض لوقائع أصحاب الكهف ، كل ذلك فى نحو خمس صفحات من تفسيره حيث يقول[3]:

---

1 – سورة البقرة:جزء من آية١٨٩.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص ١٩٩.

3 – السراج المنير جـ٤ ص٢١ ــ ٢٥ باختصار.

" تنبيه: اختلف في السبب الذى عَرّف الناس واقعة أصحاب الكهف ، فقال محمد بن إسحاق: إنّ ملك تلك البلاد رجل صالح يقال له: "تتدوسيس"....

ثم إنّ الله ــ تعالى ــ الذى يكره هلكة عباده أراد أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أنّ الساعة آتية لا ريب فيها....

أذن الله تعالى ذو القدرة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهرى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون لها إذا أصبحوا من ليلتهم، ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذى كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا في ألوانهم شيء يكرهونه كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أنّ ملكهم "دقيانوس" في طلبهم، فلما قضوا صلاتهم قالوا "لتمليخا" صاحب نفقتهم: ائتنا بما قال الناس في شأننا عشية أمس عند الجبّار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ماكانوايرقدون....

فأخرج الوَرِق التى كانت معه فأعطاها رجلاً منهم فقال: يعني بهذا الورق طعامًا، فأخذها الرجل فنظر إلى ضرب الورق ونقشها، فعجب منها ثم طرحها إلى رجل من أصحابه فنظر إليها ثم إلى آخر، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل ويتعجبون منها، ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض: إنّ هذا أصاب كنزًا مخبأ في الأرض منذ زمان ودهر طويل. فلما رآهم تمليخا يتشاورون من أجله فَرِق فَرَقًا شديدًا، وجعل يرتعد ويظنّ أنهم فطنوا به وعرفوه وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم "دقيانوس" ، وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرّفونه فقال لهم وهو شديد

الفَرَق: أفضلوا عليّ قد أخذتم ورقى فأمسكوها، وأمّا طعامكم فليس لى حاجة به....

وقال: اللهمّ إله السماء وإله الأرض أفرغ اليوم عليّ صبرًا، وأولج معي روحًا منك تؤيدنى بها عند هذا الجبار. وجعل يقول فى نفسه: فُرّق ما بينى وبين إخوتى، يا ليتهم يعلمون ما لقيت ، ويا ليتهم يأتونى فنقوم جميعًا بين يدى هذا الجبار، فإنا كنا توافقنا على الإيمان بالله ـ سبحانه وتعالى ـ وأنْ لا نشرك به شيئًا ، ولا نفترق فى حياة ولا موت. فلما انتُهى به إلى الرجلين الصالحين ورأى أنه لم يذهب به إلى "دقيانوس" أفاق وسكن عنه البكاء، فأخذ "أريوس وأسطيوس" الورق فنظرا إليها....

فلما رأى الفتية أصحاب الكهف" تمليخا" قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القَدْر الذى كان يأتى فيه فظنوا أنه قد أُخذ وذُهب به إلى ملكهم "دقيانوس"....

وقالوا: انطلقوا بنا نأت أخانا" تمليخا" فإنه الآن بين يدى الجَبّار وهو ينتظرنا حتى نأتيه. فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة إذا هم بـ " أريوس " وأصحابه وقوف على باب الكهف ، فسبقهم " تمليخا "ودخل وهو يبكى ، فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن خبره ، فقص عليهم الخبر كله ؛ فعرفوا أنهم كانوا نيامًا بأمر الله تعالى ذلك الزمن الطويل، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقًا للبعث ويعلم الناس أنّ الساعة آتية لا ريب فيها، ثم دخل على أثر "تمليخا" "أريوس فرأى تابوتًا من نحاس مختومًا بخاتم من فضة؛ فقام بباب الكهف ثم دعا رجالاً من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم، فوجد فيه لوحين من رصاص مكتوب فيهما : "مكسلمينا ومخشلمينا وتمليخا ومطرونس وكشطونس وبيرونس وبيطونسط كانوا فتية

هربوا من ملكهم "دقيانوس" الجبار، مخافة أن يفتنهم عن دينهم ، فدخلوا هـذا الكهف ؛ فلما أخبر بمكانهم أُمر بالكهف فسُدّ عليهم بالحجارة ، وإنـا كتبنـا أسماءهم وخبرهم ليعلمه مَن بعدهم إنْ عثر عليهم . فلمـا قـرءوه عَجبـوا وحمدوا الله ـ تعالى ـ الذى أراهم آية البعث فيهم....

فلما أتى الملكَ الخبرُ قام ورجع إليه عقله وذهب همه، فقال: أحمـد الله ربّ السماوات والأرض وأعبدك وأسبح لك ، تطولْت علىّ ورحمتنـى فلـم تطفئ النور الذى جعلته لآبائى وللعبد الصالح "قسطيطينوس" الملك فلما نبـئ به أهل المدينة ركبوا إليه و ساروا معه حتى أتوا مدينة" أفسوس" فتلقاهم أهل المدينة وساروا معه نحو الكهف....

الردعليه :

ماذكره الإمام الخطيب الشربينى فى هذه الرواية لا ثقة فيه ؛ إذ أنه مـن الدخيل الذى لا يتوقف عليه تفسير ولا تأويل ، وخاصة أنه من روايـة ابـن إسحاق صاحب المغازى ، وقد قال عنه النّسائىُّ وغيره : ليس بالقوى . وقال الدارقطنىُّ : لا يُحتج به .وقال أبو داود : قَدَرىّ معتزلـىّ .وقـال سـليمان التيمى: كذّاب. وقال مالك : دَجّال[1].

ولا شك أن تلك الأقوال من أعلام الجرح والتعديل تقدح وتذهب الثقـة فى هذا الخبر الذى رواه إبن اسحق .

وأيضًا اختلاف الروايات التى ذكرها المفسرون فى شأن أهل الكهـف (أسمائهم ...عددهم...مكان الكهف ...لون الكلب.........الخ) يقتضى ألا نثق بشىء منها وألا نطمئن لصحة أى منها .

---

[1] -ينظر: ميزان الاعتدال فى نقد الرجال لأبى عبد الله بن محمد بن أحمد بن عثمـان الذهبى المتوفى ٧٤٨ هـ ،تحقيق : على محمد البجاوى ، ط. عيسى الحلبى وشـركاه جـ٣ص٤٦٩.

" وقد أنكر ابن كثير على المفسرين الذين خاضوا في مكان الكهف وعدّه تكلفًا ؛ لأن الله ــ عز وجل ــ أخبرنا بذلك وأراد منا فهمه وتدبره ، ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض ؛ إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله ــ تعالى ــ ورسوله إليه فأعلمنا بصفته ولم يعلمنا بمكانه ، وكذلك أنكر اختلاف القصاص والمفسرين في لون الكلب وأسماء أهل الكهف على أقوال لا حاصل ولا طائل تحتها ولا دليل عليها ولا حاجة إليها ، بل هي مما يُنْهى عنه لأن مُسْتَنَدَها رجم بالغيب ، ونبّه على أن في صحة كل ذلك نظرًا ؛ لأن غالبه متلقى من أهل الكتاب"[1].

كما أنكر على مَن خاض في عددهم فقال [2]: " ولما كان النزاع في مثل هذا لا طائل تحته ولا جدوى عنده ، أرشد نبيه ﷺ إلى الأدب في مثل هذا الحال إذا اختلف الناس فيه أن يقول : الله أعلم ؛ ولهذا قال : [قل ربي أعلم بعدتهم]، وقوله [ما يعلمهم إلا قليل]، أي من الناس ، [فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهرًا] ، أي سهلا ، ولا تتكلف أعمال الجدال في مثل هذا الحال ولا تستفت في أمرهم أحدًا من الرجال ؛ ولهذا أبهم ــ تعالى ــ عِدّتهم في أول القصة ، فقال : [إنهم فتية آمنوا بربهم] ، ولو كان في تعيين عدتهم كبيرُ فائدة لذكرها عالم الغيب والشهادة ". وعلّق أبو حيان على هذه

---

[1] – مستقى من تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، المتوفى ٧٧٤هـ ــ ط . دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، جـ٣ ص٧٥ ــ٧٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير أيضًا ــ كتاب : أخبار الماضين من بني إسرائيل قصة أصحاب الكهف ــ ط .دار التقوى، جـ٢ ص١٣٧، ١٣٨ .

[2] –ينظر: البداية والنهاية لابن كثير جـ ٢ ص١٣٨ .

الروايات عند تفسيره لسورة الكهف فقال[١] : "وأما أسماء فتية أهل الكهف فأعجمية لا تنضبط بشكل ولا نَقْط ، والسَّنَد فى معرفتها ضعيف ، والرواة مختلفون فى قصصهم ، وكيف كان اجتماعهم وخروجهم ، ولم يأت فى الحديث الصحيح كيفية ذلك ولا فى القرآن إلا ما قص تعالى علينا من قصصهم ، ومَن أراد تطلب ذلك فى كتب التفسير ".

ويقول الشنقيطى فى تفسيره عند تناوله للقصة [٢]: " واعلم أن قصة أصحاب الكهف وأسماءهم ، وفى أى محل من الأرض كانوا ، كل ذلك لم يثبت فيه عن النبى ﷺ شيء زائد على ما فى القرآن ، وللمفسرين فى ذلك أخبار كثيرة إسرائيلية أعرضنا عن ذكرها لعدم الثقة بها ".

ورأى أن الأفضل للمسلم أن يتدبر القصة ليعتبر بما ساقه الله ـ عز وجل ـ فيها من العبرة والموعظة الحسنة ، ويقتدى بأهل الكهف فى الفرار بالدين وهجر الدنيا وطلب الآخرة والحرص عليها.

وحول هذا المعنى ذكر القرطبى فى جامعه مسأله عند تناوله لقصة أهل الكهف يقول فيها[٣]: "هذه الآية صريحة فى الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرابات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة، وقد خرج النبى ﷺ فارًا بدينه، وكذلك أصحابه، وجلس

---

[1] –ينظر: تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى المتوفى سنة ٧٤٥ هـ ، قرظه : د. عبد الحى الفرماوى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٤ م الأولى جـ٦ ص٥ .

[2] –ينظر: تفسير أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الحكيى الشنقيطى المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ ، ط. دار الفكر بيروت ـ لبنان ١٤١٥ هـ ت١٩٩٥ م جـ٣ ص٢٠٦ .

[3] – ينظر: الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ـ ط.دار الحديث ـ القاهرة ، الثانية ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م ، جـ١٠ ص٣٦٨.

فى الغار وقد نص الله ــ تعالى ــ على ذلك فى "براءة" وقد تقدم ، وهجــروا أوطانهم وتركوا أرضهم وديارهم وأهاليهم وأولادهم وقرابــاتهم وإخــوانهم ، رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين ، فَـسُكْنَى الجبــال ودخــول الغِيران ، والعزلة عن الخلق والانفراد بالخالق ، و جواز الفرار من الظــالم هى سنة الأنبياء ــ صلوات الله عليهم ــ والأولياء. وقد فضل رســول الله ﷺ العزلة ، وفضلها جماعة العلماء لا سيما عند ظهور الفتن وفساد الناس ، وقد نص الله ــ تعالى ــ عليها فى كتابه فقال: ﴿**فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ**﴾".

● وكذلك ما ذكره فى شأن الدابة التى يخرجها الله تعالى قــرب قيــام الساعة عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ** ﴾[١]

يقول الإمام الشربينى[٢]: " وعن على رضى الله تعــالى عنــه: أنهــا تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها، وروى أنه ﷺ ســئل : من أين تخرج الدابة ، فقال : (من أعظم المساجد حُرْمَةً وأكرمهــا علــى الله فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى مخــزوم عــن يمــين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم: يقفون نظارًا) وقيــل تخــرج مــن الصفا، ولما كان التعبير بالدابة يفهم بأنها كالحيوانات العُجْم لا كلام لها قــال ﴿**تُكَلِّمُهُمْ**﴾ أى: بالعربية كما قاله مقاتل بكلام يفهمونه بلسان طلق ذلق فتقول: ﴿ **أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَــا لا يُوقِنُــونَ**﴾ أى: أن النــاس كــانوا لا يوقنــون بخروجى ؛ لأن خروجها من الآيات ، وتقول : ألا لعنة الله على الظــالمين ، وعن السُّدِّىّ: تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإســلام ، وعــن ابــن عمر: تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثــم اليمن فتفعل مثل ذلك ، وروى أنها تخرج من أجياد ، روى بينما عيــسى ــ

---

[1] – سورة النمل : آية ٨٢.

[2] – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص١١٢.

عليه السلام ــ يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تـضطرب الأرض تحـتهم تحرك القنديل ، وينشق الصفا مما يلي المَسْعَى ، فتخرج الدابة مـن الـصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أو فيمـا بـين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة فـي وجهـه حتـى يضيء لها وجهه أو تترك وجهه كأنه كوكب دريّ وتكتب بين عينيه مؤمن ، وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسوّد لها وجهه وتكتب بـين عينيه كافر، وروى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم : يا فلانُ أنت من أهل الجنة، ويا فلانُ أنت من أهل النار".

الرد عليه :

ما ذكره الشيخ الشربيني في صفة الدابة و مكـان خروجهـا وطولهـا ....الخ ، لم يثبت بخبر صحيح عن النبي ﷺ ، ومن الواضـح أن كـل هذه الأخبار من الإسرائيليات خاصة أن من رواتها ابن جريج ، وقد قال عنه يحيى بن سعد : أخباره شبه الريح[1]،وإن كان ثقة عند البعض مـن علمـاء الرجال إلا أنه كثير النقل من كتب الإسرائيليات كما قال الحافظ الـذهبي[2]، وابن جريج وابن منبه[3] وأمثالهما من مـسلمي أهـل الكتـاب معروفـون

---

[1] – ينظر: تهذيب التهذيب للإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفـضل أحمد بن خليل بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢ هـــ ــ ط . مطبعة مجلـس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر آباد الدكني١٣٢٥ هــ، جـ ٦ ص٤٠٤.

[2] – ينظر: ميزان الإعتدال للذهبي جـ٤ ص ٣٥٢ .

[3] –هو وهب بن منبه الأنباوي الصنعاني أبو عبد الله ، مؤرخ ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة ، من كتبه قصص الأخيار وقصص الأنبياء ، وذكر الملوك المتوّجة من حميـر وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم ؛ ينظر: الأعلام للزركلـي جــ٨ ص١٢٥، ٢٦.

بالإكثار من رواية الإسرائيليات ، وعلى ذلك ينبغي أن تكون على حذر فيما يروى عنهما من الغيب الذى استأثر الله بعلمه .

وقد أنصف الإمام الرازى حين قال تعقيبًا على ما ذكر[1]: " واعلم أنه لا دلالة فى الكتاب على شيء من هذه الأمور؛ فإن صح الخبر فيه عن رسول الله ﷺ قُبل وإلا لم يُلتفت إليه ".

والإمام عليٌّ كرّم الله وجهه أعقلُ من أن ينقل مثل هذا الهُراء الإسرائيلى.

والحافظ ابن كثير أورد ما جاء من روايات فى شأن الدابة فى تفسيره وعقّب عليه بقوله [2]: " رواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة بن أسيد موقوفًا فالله أعلم . ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعًا ، وأن ذلك فى زمان عيسى عليه السلام ، وهو يطوف بالبيت ، ولكن إسناده لا يصح ". وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد وعزاه للطبرانى عن حذيفة بن أسيد وقال[3]: " فيه طلحة بن عمرو وهو متروك ".

وقد أنكَر أبو حيان على مَن خاض فى هذه التفاصيل فقال عن الدابة عند تفسيره لهذه الآية: "واختلفوا في ماهيتها، وشكلها، ومحل خروجها

---

1 – ينظر: مفاتيح الغيب للرازى جـ ٢٤ ص ١٨٧ .

2 – ينظر: تفسير ابن كثير ٣ ص ٣٧٥ .

3 – ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى المتوفى ٨٠٧ هـ ، تحرير :الحافظين الجليلين العراقى وابن حجر ـ ط . مكتبة القدسى ـ القاهرة ، جـ٨ ص٧.

ويكذب بعضه بعضاً، فاطرحنا ذكره ؛ لأن نقله تسويد للورق بما لا يــصح، وتضييع لزمان نقله"[1]

● وكذلك زلّ الشيخ الخطيب الشربيني في بعــض المواضــع التــي دخلتها الإسرائيليات مما يتعلق بقصص الأنبياء، وذلك كما حدث له في سورة الأحزاب، قصة زيد بن حارثة، وذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَإِذْ **تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَــضَى زَيْــدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَــائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا** ﴾[2] فيذكر الخطيــب الــشربيني هنا رواية في غفلة ظاهرة حيث انساق وراء الإسرائيليات المكذوبــة علــى رسول الله ﷺ وراح يرددها وراءهم –غفر الله له– حيث يقول[3]:" وأخــرج ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حبان قال: "جاء رسول الله ﷺ بيــت زيد بن حارثة يطلبه، وكان زيد يقال له: زيد بن محمد ، فربما فقده رســول الله ﷺ الساعة فيقول أين زيد؟ فجاء منزله يطلبه فلم يجده ، وتقوم إليه زينب بنت جحش زوجته فضلاً، فأعرض رسول الله ﷺ عنها فقالت: ليس هو ههنا يا رسول الله فادخل ، فأبى أن يدخل ، فأعجبت رسول الله ﷺ فــولى وهــو يهمهم بشيء لا يكاد يفهم منه إلا ربما أعلن بــسبحان الله العظــيم ســبحان مصرف القلوب ، فجاء زيد إلى منزله فأخبرته امرأته أن رسول الله ﷺ أتى منزله ، فقال زيد: ألا قلت له أن يدخل، فقالت: قد عرضت ذلك عليه فأبى ، قال فسمعت شيئاً منه ، قالت: سمعته حين ولّى تكلم بكلام لا أفهمه ، وسمعته يقول: سبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب ، فجاء يزيــد حتــى أتــى

---

[1] – ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ، جـ٧ ص٩١.

[2] – سورة الأحزاب : آية ٣٧.

[3] – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص٣٦١.

رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله بلغني أنك جئت منزلي فهلا دخلتَ يا رسول الله لعل زينب أعجبتك فأفارقها ، فقال رسول الله ﷺ: (أمسك عليك زوجك) ففارقَها زيدٌ واعتزلها وانقضت عدتها ، فبينما رسول الله ﷺ جالس يتحدث مع عائشة إذ أخذته غشية ، فسُرِّيَ عنه وهو يبتسم ويقول: مَن يذهب إلى زينب يبشرها أن الله زوجنيها من السماء ، وقرأ ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي** ﴾ الآية قالت عائشة: فأخذني ما قرب وما بعد ؛ لما يبلغنا مِن جمالها وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها زوجها الله من السماء وقلت: هي تفخر علينا بهذا"[١].

وقد ذكر الشيخ الشربيني هذه الرواية الباطلة التي دسها أعداء الإسلام وغفل عن بطلانها بعض المفسرين ، فنسب للنبي ﷺ محبة طلاق زيد لزينب ليتزوجها هو ، ومعنى الآية الصحيح : "واذكر إذ تقول لزيد بن حارثة الذى أنعم الله عليه بهداية الإسلام ، وأنعمت عليه بالتربية والعتق : أمسك عليك زوجك "زينب بنت جحش" واتق الله فيها ، واصبر على معاشرتها ، وتخفي في نفسك ما الله مظهره من أنه سيطلقها ، وأنك ستتزوجها ، وتخاف أن يعيِّرك، والله هو الجدير بأن تخافه ، ولو كان في ذلك مشقة عليك"[٢].

---

[1] –أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى في ترجمة زينب بنت جحش – رضي الله عنها– جـ٨ ص ٨٢ ؛ينظر : كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد كاتب الواقدي ومشتمل على السيرة النبوية ، عنى بتصحيحه وطبعه ادوارد سخوب ، طبع مصوراً عن كتاب طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل ١٢٢١ هـ – من منشورات مؤسسة النصر – طهران . وأخرجه الحاكم في المستدرك – كتاب : معرفة الصحابة،باب :ذكر زينب بنت جحش – رضي الله عنها – جـ٤ ص٢٥ ح ٦٧٧٥،وسكت عنه الحاكم والذهبي.

[2] – ينظر: تفسير المنتخب في القرآن الكريم ، لجنة القرآن والسنة – ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ص٦٢٨.

وبهذا يتضح أن المقصود بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ** ﴾ أن الذى يخفيه النبى ﷺ هو ما أعلمه الله ـ عز وجل ـ إياه من تقديره زواجه ﷺ من زينب ، وأن هذا هو ما سيبديه الله ـ عز وجل ـ وليس كما جاء فى الرواية التى ذكرها الإمام الشربينى ، وهذا ما يدل عليه التعليل فى الآية.

ولا داعى أصلا لقبول مثل هذه الروايات ، بل نرتضى فيها وفى أمثالها من الموضوعات موقف العلماء المحققين أمثال الحافظ ابن كثير – رحمه الله– فقد أشار إلى هذه الأكذوبة عند تفسيره للآية فقال[1]: "ذكر ابن أبى حاتم وابن جرير هاهنا آثارًا عن بعض السلف أحببنا أن نضرب عنها صفحًا لعدم صحتها فلا نوردها".

ولا يوجد مثل هذه الروايات فى كتب الحديث المعتمدة ، والذى جاء فى الصحيح يخالف ذلك ، وليس فيه هذه الرواية المنكرة ؛ روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن هذه الآية ﴿ **وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ** ﴾ نزلت فى شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة ، واقتصر على هذا القدر وليس فيه شىء من هذا الخلط ، وقال الحافظ ابن حجر: " ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبى حاتم والطبرى ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغى التشاغل بها، وما أوردته هو المعتمد" والحاصل أن الذى كان يخفيه النبى ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته ، والذى كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوجَ امرأةَ ابنه. وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنّى بأمر لا أبلغ فى الإبطال منه ، وهو تزوج امرأة الذى يُدْعَى ابنا،

---

1 – ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٣ ص٤٩١ .

ووقوعُ ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم ، وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية "[1].

وهكذا يسرد الشيخ الشربينى الرواية دون التعقيب عليها بتصحيح أو تضعيف.

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** ﴾[2] يذكر الإمام الشربينى رواية واهية عن هدية بلقيس لسليمان عليه السلام وما كان من امتحانها له، دون أن يعقّب عليها؛ فيقول[3]: " وذلك أن 'بلقيس ' كانت امرأةً كَيِّسةً قد سيِسَتْ وساست فقالت للملأ من قومها: إنى مرسلة إلى سليمان وقومه بهدية أصانعه بها عن ملكى فأختبره بها أَمَلِكٌ هو أم نبيٌّ ؟ فإن يكن مَلِكًا قَبِلَ الهدية وانصرف، وإن يكن نبيًا لم يقبل الهدية ولم يرضها منا إلا أن نتبعه على دينه [.............]، فأهدت إليه وصفًا ووصائف، [.............]، واختلف في عددهم: فقال ابن عباس: مائة وصيف ومائة وصيفة، وقال مجاهد ومقاتل: مائة غلام ومائتا جارية، وقال قتادة: أرسلت إليه بلبنات من ذهب في حرير وديباج، وقال ثابت البُنَانيُّ: أهدت إليه صفائح الذهب في أوعية الديباج، وقيل: كانت أربع لبنات من ذهب، وقال وهب وغيره: عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجوارى لباس الغلمان الأقبية والمناطق وألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواقًا من ذهب وفي آذانهم أقراطًا وشُنوفًا مرصّعات بأنواع الجواهر

---

[1] – ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ،كتاب : التفسير، باب : قوله تعالى " وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه " ٤٧٨٧ جـ١٣ ص٤٧١، ٤٧٣ بتصرف.

[2] – سورة النمل : آية ٣٥.

[3] – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص٨٧ ــ ٨٩ .

وغواشيها من الديباج الملونة، وبعثت إليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة من فضة وتاجًا مكللاً بالدر والياقوت المرتفع ، وأرسلت المسك والعنبر ، وعمدت إلى حُقّة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة ، وجذعة لعلها مثقوبة معوّجة الثقب ، ودعت رجلاً من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو ، وضمّت إليه رجالاً من قومها أصحاب رأى وعقل ، وكتبت معهم كتابًا بنسخة الهدية....

فانطلقَ الرسولُ بالهدايا ، وأقبل الهدهد مسرعًا إلى سليمان فأخبره الخبر كله ؛ فأمر سليمان ، عليه السلام الجنّ أن يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة، ففعلوا ، ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذى هو فيه إلى تسعة فراسخ ميدانًا واحدًا بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميادين حائطًا شُرُفها من الذهب والفضة ففعلوا ، ثم قال أىّ الدواب أحسن مما رأيتم فى البر والبحر قالوا يا نبىّ الله إنا رأينا دوابّ فى مجر كذا وكذا منقطة مختلفة ألوانها لها أجنحةٌ وأعرافٌ ونواصٍ ، قال علىّ بها الساعة ، فأتوا بها، فقال : شُدّوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة ، وألْقُوا لها علوفتها فيها، ثم قال للجنّ : علىّ بأولادكم ؛ فاجتمع خَلْقٌ كثير فأقامهم عن يمين الميدان ويساره ، ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسى على يمينه ومثلها على يساره ، وأمر الشياطين أن يَصْطَفُّوا صفوفًا فراسخَ ، وأمر الإنس فاصطفوا صفوفًا فراسخ، وأمر الوحوش والسباع والهوامّ والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره.

فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدوابَّ التى لم تر أعينهم مثلها تَرُوثُ على لَبِن الذهب والفضة تقاصرت أنفسهم ورموا ما معهم من الهدايا. وفى بعض الروايات أن سليمان لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعًا على قدر

موضع اللبنات التي معهم ؛ فلما رأى الرسل موضع اللبنـــات خاليًــا وكـــل الأرض مفروشة خافوا أن يتهموا بذلك ، فطرحوا ما معهم في ذلك الموضـــع الخالى. فلما رأوا الشياطين نظروا إلى منظر عجيب ففزعوا، فقالـــت لهـــم الشياطين جُوزوا فلا بأس عليكم، فكانوا يمرّون على كـــردوس مـــن الجـــنّ والإنس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدى سليمان، فنظر إلـــيهم سليمان نظرًا حسنًا بوجه طلق وقال: ما وراءكم؟ فأخبره رئيس القـــوم بمـــا جاءوا له وأعطاه كتاب الملكة.... ثم ردّ سليمان الهدية".

وهكذا يذكرالشيخ الشربيني الرواية دون التعليق عليها بالبطلان، رغم أن نسجها يبدو منه أنه مبنيٌ على الخيال؛ فما ذكره في بيان نوع الهدية التى أرسلتها ملكة سبأ إلى نبى الله سليمان ــ عليه السلام ــ سبقه إليه ابن جرير الطبرى فى تفسيره حيث روى فى ذلك روايات عديدة منسوبة للضحاك وابن جريج ووهب بن منبه[1]، والسيوطى فى الدر المنثور عن السدى ووهب بـــن منبه[2]، والثعلبى فى قصصه عن وهب بن منبه [3]، وفى ذلك دلالة على أنها من الإسرائيليات التى يذكرها الرواة عن أهل الكتاب .

وحين روى ابن كثير هذا الخبر فى تفسيره عقّب عليـــه تنبيهًـــا علـــى بطلانه بعد أن بيّن اختلاف المفسرين فى نوع الهدية ؛ فقـــال: " والله أعلـــم أكان ذلك أم لا، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات، والظاهر أن سليمان ــ عليه السلام ــ لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية، ولا اعتنى به ؛ بل أعرض عنه ؛ وقال منكرًا عليهم: أتمدوننى بمال؟". [4]

---

1 - ينظر: تفسير جامع البيان جـ ١٥ ص١٣٠ ــ ١٣٥ .

2 - ينظر: تفسير الدر المنثور جـ٤ ص ٣٨٤ــ ٣٨٩ .

3 - ينظر: قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس لأبى اسحق الثعلبى ــ ط .عيسى الحلبى ص٢٨١ .

4 - ينظر: تفسير ابن كثير جـ٣ ص٣٦٣.

وأنكر الألوسي الروايات التي وردت في بيان نوع الهدية فقال[1]: " وكلُّ ذلك أخبار لا يُدْرَى صحتها ولا كذبها، ولعل في بعضها ما يميل القلب إلى القول بكذبه والله أعلم ".

وهكذا في مواضع أخرى يذكر الإمام الخطيب الشربيني بعض القصص الإسرائيلي ويمر عليها دون تنبيه عليها أو تضعيفها، إلا أن ما ذكره في تفسيره ليس فيه طعن في عصمة الأنبياء.

٢- يصحح ما لا يليق (ما يخل) بعصمة الأنبياء:

إذا كان تفسير الشيخ الخطيب الشربيني مليئًا بالإسرائيليات التي لا يعقب عليها بتصحيح أو تضعيف إلا أنه لا يفوته أن يعلق على قصة تخل بمقام النبوة فيعلق عليها بما يُظهر بطلانها، وهذه بعض الأمثلة من تفسيره:

● فعند تفسيره للآية الكريمة ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ** ﴾[2] يرد ما ورد في تفسيرها من روايات باطلة تخل بعصمة سيدنا يوسف عليه السلام فقال[3]: " وأما ما ورد عن السلف مما يعارض ذلك من تفسيرهم بها بأن حل الهميان وجلس بها مجلس المُجَامع وبأنه حل تِكَّةَ سراويله وقعد بين شُعَبِها الأربع وهي مستلقية على قفاها، ومن تفسير البرهان بأنه سمع صوتًا: إياك وإياها فلم يكترث له، فسمعه ثانيًا فلم يعمل به، فسمعه ثالثا أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضًا على أنملته، وقيل: ضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله. وقيل: كل ولد يعقوب ولد له اثنا عشر ولدًا إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولدًا من أجل ما نقص من شهوته حين هَمّ، وقيل: صِيحَ به يا يوسف لا تكن كالطائر

---

1 - ينظر: تفسير روح المعاني للألوسي جـ ١٩ ص ١٣٤ .

2 - سورة يوسف: جزء من آية ٢٤.

3 - ينظر: السراج المنير جـ٣ ص١٤٧.

كان له ريش فلما زنا قعد لا ريش له، وقيل: بدت كفٌ فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها: ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ {١٠} كِرَامًا كَاتِبِينَ** ﴾ [الانفطار١٠، ١١] فلم ينصرف ثم رأى فيها ﴿**وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً**﴾[الإسراء:٣٢] فلم ينته ثم رأى فيها ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ**﴾[البقرة:٢٨١] فلم ينجع فيه ؛ فقال الله ــ تعالى ــ لجبريل ــ عليه السلام ــ : أدرك عبدى قبل أن يدرك الخطيئة، فانحط جبريل وهو يقول: يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان الأنبياء؟ وقيل: رأى تمثال عزيز.وقيل، قامت المرأة إلى صنم كان هناك فسترته وقالت: أستحى أن يرانا، فقال يوسف: استحيت مما لا يسمع ولا يبصر ولا أستحى من السميع العليم بذات الصدورــ فلم[1] يصح منه شىء عن أحد منهم ، مع أنّ هذه الأقوال التى وردت عنهم إذا جُمعت تناقضتْ وتكاذبتْ. قال الزمخشرى[2]:" وهذا ونحوه ممن يورده أهلُ الجبر والحشو الذين دينهم بهت الله وأنبيائه . فأخزى الله أولئك فى إيرادهم ما يؤدى إلى أن يكون إنزال الله السورة التى هى أحسنُ القصص فى القرآن العربى المبين ليُقْتَدَى بنبىّ من أنبياء الله ــ تعالى ــ فيما ذكروه . وأهلُ العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل . وأطال فى ردّ ذلك، وكذا فعل الرازى[3] ".

● وأيضا عند إنتهائه تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ {٢١} إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ {٢٢} إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ {٢٣} قَالَ**

---

1 – جواب "أمّا" فى أول كلام الشيخ الشربينى .

2 – ينظر : الكشاف للزمخشرى : جــ٢ ص٣١٢ .

3 – ينظر : التفسير الكبير للرازى جــ١٨ ص٩٣ ، ٩٤ .

لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ {٢٤} فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[١].

نقل الإمام الشربيني ما ذكره الرازى فى تفسيره عن الإسرائيليات فى قصة داود وردّه عليها ؛ فقال[٢]:

" قال الرازى[٣]:" وللناس فى هذه القصة ثلاثة أحوال؛ أحدها: أن هذه القصة دلت على صدور الكبيرة منه ، وثانيها: على الصغيرة ، وثالثها: لا تدل على كبيرة ولا صغيرة ، فأما القول الأول فقالوا: إن داود ــ عليه السلام ــ أحب امرأة"أوريا"فاحتال فى قتل زوجها ثم تزوج بها ، ثم أرسل الله ــ تعالى ــ ملَكين فى صورة المتخاصمين فى واقعة تشبه واقعته ، وعَرَضا تلك الواقعة عليه ، فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبًا ، ثم تنبه لذلك واشتغل بالتوبة....

قال الرازى: والذى أدين لله ــ تعالى ــ به وأذهب إليه أن ذلك باطل لوجوه.

الأول: أن هذه الحكاية لاتناسب داود.... فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصية إلى داود ــ عليه السلام ــ.

---

1 - سورة ص :٢١ ــ ٢٥ .

2 - السراج المنير جـ٦ ص١٩٩ــ٢٠١ باختصار.

3 - التفسير الكبير للرازى جـ٢٦ ص١٦٥ :١٦٩ باختصار .

ثانيها: أن حاصل القصة يرجع إلى أمرين : إلى السعى فى قتل رجــل مسلم بغير حق ، وإلى الطمع فى زوجته، أما الأول: فــأمر منكــر... وأمــا الثانى: فمنكر أيضًا....

ثالثها: إن الله ــ تعالى ــ وصف داود ــ عليه السلام ــ بصفات تنــافى كونه ــ عليه السلام ــ موصوفًا بهذا الفعل المنكر.

الصفة الأولى: أنه ــ تعالى ــ أمر محمدًا ﷺ أن يقتدى بــداود ــ عليــه السلام ــ فى المصابرة على المكاره....

الصفة الثانية: أنه وصفه بكونه عبدًا له . وقد بينا أن المقصود من هــذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملاً فى وصف العبودية فى القيام بــأداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات....

الصفة الثالثة: وهى قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **ذَا الأَيْـدِ** ﴾ أى : ذا القــوة ولا شك أن المراد منه القوة فى الدين....

الصفة الرابعة: كونه أوّابًا كثير الرجوع إلى الله فكيف يليق هذا الوصف بمن قلبه مشغول بالفسق والفجور.

الصفة الخامسة: قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ**﴾ أفترى أنه سخرت له الجبال ليتخذ سبيل القتل والفجور؟!.

الصفة السادسة: قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً** ﴾ قيل: إنه كــان محرمًا عليه صيد شىء من الطير فكيف يعقل أن يكون الطير آمنًا منــه ولا يجوز أمن الرجل المسلم على روحه ومنكوحه.

الصفة السابعة: قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ** ﴾ ... والمراد تشديد ملكه في الدين والدنيا ، ومَن لم يملك نفسه عن القتل والفجور كيف يليق بـــه ذلك.

الصفة الثامنة: قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ** ﴾ والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علمًا وعملاً... فهذه الصفات التي وصـــف بها قبل شرح القصة ، وأما الصفات المذكورة بعد ذكر القصة.

فأولها: قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَـــآبٍ** ﴾ وقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ** ﴾ فكيـــف أن الله ــ تعالى ــ يجعله خليفة ويقع منه ذلك ؟!....

فإنْ قيل: قد ذكر هذه القصة كثير من المحدِّثين والمفسرين. أجيب: بأنه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من أخبار الآحاد كـــان الرجوع إلى الدلائل القطعية واجبًا. والمحققون يردون هذا القول ويحكمـــون عليه بالكذب.

وأما القول الثاني: فقالوا: تُحمل هذه القصة على حـــصول الـــصغيرة لا على حصول الكبيرة ، وذلك من وجوه: الأول: أن هذه المرأة خطبها "أوريا" فأجابوه، ثم خطبها داود ــ عليه السلام ــ فآثره أهلها ؛ فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه. الثاني: قالوا: إنه وقع بصره عليهـــا فمال قلبه إليها وليس له في هذا ذنب البتة ... الثالث: أنه كان أهـــل زمـــان داود ــ عليه السلام ــ يـــسأل بعـــضهم بعـــضًا أن يطلـــق زوجتـــه حتـــى يتزوجها... فاتفق أن عين داود ــ عليه السلام ــ وقعت على تلـــك المـــرأة فأحبها فسأله النزول عنها ... وإن كان جائزًا في ظاهر الشريعة إلا أنـــه لا يليق بك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين....

وأما القول الثالث: فقال : تحمل هذ القصة على وجه لا يلزم منه إيجاب كبيرة ولا صغيرة لداود ــ عليه السلام ــ بل يوجب أعظم أنواع المدح والثناء له؛ وهو أنه قد روى أن جماعة من الأعداء طمعوا في أن يقتلوا نبي الله داوا ــ عليه السلام ــ وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل فيه بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب ، فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقوامًا تمنعهم منه ؛ فخافوا ووضعوا كذبًا ... فإن قيل: ههنا أربعة ألفاظ يمكن أن يحتج بها في إلحاق الذنب بداود ــ عليه السلام ــ أحدها: قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ** ﴾ وثانيها: قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ** ﴾ وثالثها: قوله ــ تعالى ــ: ﴿**وَأَنَابَ**﴾ ورابعها: قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ** ﴾. أجيب: بأن هذه الألفاظ لا يدل شيء منها على ما ذكر؛ لاحتمال أن تكون الزلة إنما حصلت من باب ترك الأفضل والأولى كما مر ... ".

- وأيضًا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ** ﴾[1] يردّ ما ورد عن وهب بن منبه من روايات باطلة تتنافى مع عصمة النبي سليمان ــ عليه السلام ــ فيقول[2]: " قال محمد بن إسحاق: عن وهب بن منبه قال: سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر وكان الله ــ تعالى ــ قد أعطى سليمان في ملكه سلطانًا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر وإنما يركب إليه الريح ، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس ، فأخذها وقتل ملكها وسبا ما فيها ، وأصاب فيما أصاب بنتًا لذلك الملك يقال لها "جرادة" لم ير مثلها حسنًا وجمالاً ؛ فاصطفاها لنفسه ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه ، وأحبها حبًا لم يحبه

---

1 – سورة ص: آية ٣٤.

2 – السراج المنير: جـ٦ ص ٢٠٩ــ٢١١ باختصار.

شيئًا من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعهـــا ، فشق ذلك على سليمان ــ عليه السلام ــ فقال لها: ويحك ما هذا الحزن؟ ... قالت: إن ذلك كذلك ، ولكن إذا ذكرته أصابني ما تَرى من الحزن ؛ فلو أنك أمرت الشياطين فصوَّروا صورته في داري أراها بُكرة وعشيًا لرجــوتُ أن يُذهب ذلك حزني ، فأمر سليمان ــ عليه السلام ــ الشياطين ، فمثلــوا لهــا صورة أبيها ، فعمدت إليه حين صنعوه ، وألبسته ثيابًا مثل ثيابه التـــي كـــان يلبسها ، ثم كانت إذا خرج سليمان ــ عليه السلام ــ تذهب إليه مع ولائـــدها فتسجد له ويَسجُدْنَ معها له تبعًا لها كما كانت تصنع في مُلْكه ، وســـليمان ــ عليه السلام ــ لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحًا ، فبلغ ذلك "آصف بـــن برخيا" وكان صديقًا لسليمان ــ عليه السلام ــ وكان لا يُــرَدّ عــن أبــواب سليمان ــ عليه السلام ــ أيَّ ساعة أراد دخول شيء من بيــوت ســـليمان ــ عليه السلام ــ حاضرًا كان سليمان ــ عليه السلام ــ أو غائبًا.... وكانت له أمُّ ولد يقال لها: الأمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امــرأة وضـــع خاتمـــه عندها ، وكان مُلْكه فيه فوضعه عندها يومًا ، فأتاها الشيطان صاحب البحـــر واسمه "صخر" على صورة سليمان ــ عليه السلام ــ قال لهـــا: يـــا أمينـــة خاتمي فناولته الخاتم وتختم به وجلس على كرسي سليمان ــ عليه السلام ــ؛ فعكف عليه الطير والجن والإنس وتغيرت صفة سليمان عليه السلام ، فـــأتى الأمينة يطلب الخاتم فأنكرته ؛ فعرف أن الخطيئة قد أدركته ؛ فكـــان يـــدور على البيوت يتكفف ، وإذا قال : أنا سليمان حَثَوْا عليه التراب وسَبُّوه . وأخذ ينقل السمك للسماكين فيعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمـــسى بـــاع إحـــداهما بأرغفة وشوى الأخرى فأكلها . فمكث كذلك أربعين صباحًا مدة ما كان عُبــد الوثن في داره ، فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان.

وسأل آصف نساء سليمان عليه السلام فقلن: ما يدع امرأة فـــي دمهـــا ، ولا يغتسل من جنابة ؛ فقال آصف : إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ إن هذا لهـــو البلاء المبين ، ثم خرج على بني إسرائيل فقال: ما في الخاصة أعظم مما في

العامة. فلما مضى أربعون صباحًا طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين ، وقد عمل له سليمان عليه السلام بسمكتين صدر يومه ذلك ، حتى إذا كان العشيُّ أعطاه سمكتيه فأعطى السمكة التى أخذت الخاتم ... فبقرها ليشويها فاستقبله الخاتم فى جوفها فأخذه فجعله فى يده ووقع ساجدًا ، وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، ورجع إلى ملكه ، وأخذ ذلك الشيطان وحبسه فى صخرة ، وألقاه فى البحر هذا ملخص حديث وهب . وقال الحسن: ما كان الله ليسلط الشيطان على نسائه".

ويذكر الشيخ الخطيب الشربينى روايات أخرى للسدى وسعيد بن المسيب، ثم يردّ على هذه الروايات الباطلة ؛ فيقول: [1] " قال الرازى[2]: واستبعد أهل التحقيق هذا الكلام من وجوه ؛ الأول: أن الشيطان لو قدر على أن يشتبه فى الصورة والخلقة بالأنبياء فحينئذٍ لا يبقى اعتماد على شيء من ذلك ؛ فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس على صورة محمد وعيسى وموسى ــ عليهم السلام ــ ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم فى الصورة لأجل الإغواء والإضلال، وذلك يُبطل الدين بالكلية.

الثانى: أن الشيطان لو قدر أن يعامل نبى الله تعالى سليمان ــ عليه السلام ــ بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد ؛ وحينئذ يجب أن يقتلهم ويمزق تصانيفهم ويخرب ديارهم، ولما بطل ذلك فى حق آحاد العلماء فلأن يبطل فى حق أكابر الأنبياء أولى.

---

1 – ينظر: السراج المنير جـ٦ ص٢١١، ٢١٢ .

2 – ينظر: التفسير الكبير الرازى جـ٢٦ص١٨٢.

الثالث: كيف يليق بحكمة الله ــ تعالى ــ وإحسانه أن يسلط الشيطان على أزواج سليمان ــ عليه السلام ــ ولا شك أنه قبيح . أي: على غير رأي الحسن كما مر.

الرابع: لو قلنا إن سليمان ــ عليه السلام ــ أذن لتلك المرأة فى عبادتها تلك الصورة فهذا كفر منه، وإن لم يأذن فيه البتة فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤاخذ الله ــ تعالى ــ سليمان ــ عليه السلام ــ بفعل لم يصدر منه أي : وقد يقال: إنما أوخذ بذلك لكونه كان سببًا فى عملها.

قال: فأما أهل التحقيق فقد ذكروا وجوهًا ؛ الأول: أن فتنة سليمان ــ عليه السلام ــ أنه ولد له ابن فقالت الشياطين : إن عاش صار مسلطًا علينا مثل أبيه؛ فسبيلنا أن نقتله، فعلم سليمان ــ عليه السلام ــ ذلك فكان يربيه فى السحاب فبينما هو يشتغل بمهماته إذ ألقى ذلك الولد ميتًا على كرسيه فتنبه على خطيئته فى أنه لم يثق ولم يتوكل على الله تعالى فاستغفر ربه وتاب.

الثاني: روى عن النبى ﷺ أنه قال: (قال سليمان لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة كل امرأة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل إن شاء الله تعالى، فطاف عليهنّ فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشقّ رجل . والذي نفسي بيده لو قال: إن شاء الله ــ تعالى ــ لجاهدوا فى سبيل الله فُرسانًا أجمعين) [1] فذلك قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا**﴾[ص:٣٤].

---

1 – أخرجه البخاري فى صحيحه ــ كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب: قوله ــ تعالى ــ: "ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد إنه أواب " ؛ ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١٠ ص١٧٩ ــ١٨٥ ح ٣٤٢٤. وأخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : الإيمان ، باب: الإستثناء جـ٣ ص ١٣٠، ١٣١ ح ١٦٥٤م.

الثالث: أنه أصابه مرض فصار يجلس على كرسيه وهـو مـريض ؛ فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا** ﴾ وذلك لشدة المرض، والعرب تقول في الضعيف: إنه لحم على وَضَم وجسم بلا روح ﴿**ثُمَّ أَنَابَ**﴾ أي: رجع إلى حال الصحة أي: وهذا أظهر ما قيل كما قال البيضاوي[١].

الرابع: لا يبعد أيضًا أن يقال: إنه ابتلاه الله ـ تعالى ـ بتسليط وقـوع خوف أو وقوع بلاء توقعه من بعض الجهات حتى صار بقوة ذلـك الخـوف كالجسد الضعيف الخفيّ على ذلك الكرسي ، ثم إن الله تعالى أزال عنه ذلـك الخوف وأعاده إلى ما كان عليه من القوة وطيب القلب ؛ فاللفظ محتمل لهـذه الوجوه ولا حاجة إلى حمله على تلك الوجوه الركيكة، فإن قيل: لـولا تقـدم الذنب، لما ﴿ **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي** ﴾، أجيب: بأن الإنسان لا ينفك عـن تـرك الأفضل وحينئذ يحتاج إلى طلب المغفـرة ؛ لأن حـسنات الأبـرار سـيئات المقربين، ولأنه أبدًا في مقام هضم النفس وإظهار الندم والخضوع كما قـال ﷺ: (إني لأستغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين مرة)[٢] مـع أنـه ﷺ غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلا يبعد أن يكون المراد من هذه الكلمـة هذا المعنى".

---

[1] – لم أجد القاضي البيضاوي قد ذكر هذا الرأي عند تفسيره لهذه الآية ، بل إنه اعتبر "الرأي الثاني " أظهر مـا قيـل ؛ ينظـر: حاشـية زاده علـى البيـضاوي جــ٧ ص٢٠٢،٢٠١.

[2] – أخرجه البخاري في صحيحه ــ كتاب: الدعوات ، باب : استغفار النبي ﷺ فـي اليوم والليلة ، ينظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ 17 ص30 ، ح٦٣٠٧ .

عنايته بالأسلوب الموضوعى فى التفسير

من أساليب تفسير القرآن الكريم، الأسلوب الموضوعى، ومعناه أن "يلتزم المفسر موضوعًا قرآنيًا واحدًا يجمع الأيات الواردة فيه ليتناولها بالتفسير مجتمعة ليصل بعد ذلك- حسب جهده – إلى حكم القرآن النهائى فى موضوعه الذى تناوله".(١)

والشيخ الخطيب الشربينى من المفسرين الذى اهتموا بهذا الجانب فى تفاسيرهم؛ فالقارىء لتفسيره يلحظ أنه رغم جمعه بين المأثور والرأى إلا أنه يلجأ أحيانًا إلى الربط الموضوعى بين الآية ونظائرها فى القرآن الكريم ، فيهتم بالربط الموضوعى بين الآية التى هو بصدد تفسيرها وبين نظائرها فى جميع القرآن، مما يجتمع معها فى الموضوع أو يشترك فى الهدف.

واهتم الخطيب الشربينى بجمع الأيات التى تكشف ما لم تدل عليه الآية الأولى ؛ فتصبح الآيات مجتمعة فى نسيج واحد ، تجلو إبهام وتوضيح غموض الآية التى يفسرها:

● فعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾(٢) يقول(٣): " فى قولكم وذلك أنّ اليهود ادعوا دعاوى باطلة ؛ مثل قولهم ﴿ **لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً** ﴾ [البقرة: ٨٠] ﴿ **لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً** ﴾ [البقرة: ١١١] وقولهم: ﴿ **نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ** ﴾ [المائدة: ١٨] فكذبهم الله ــ عز وجل ــ وألزمهم الحجة ؛ فقال: قل لهم يا محمد ذلك ؛ لأنّ من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وتمنى سرعة الوصول إلى النعيم والتخلص من الدار

---

1 – ينظر: اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومى ــ ط . مكتبة الراشد ــ الرياض ، الرابعة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م ، جـ٣ ص٨٦٢.

2 – سورة البقرة: آية ٩٤.

3 – ينظر: السراج المنيرجـ١ ص١٢٤.

ذات الشوائب. كما روى عن المبشرين بالجنة ــ رضى الله ــ تعالى ــ عنهم ــ فقد كان على ــ رضى الله ــ تعالى ــ عنه ــ يطوف بين الصفين فى غلاله ؛ فقال له ابنه الحسن: ما هكذا نرى المحاربين؛ فقال له: يا بنى لا يبالى أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت ".

● وأيضا عن انتهائه من تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾[1] يقول[2]: " قال البيضاوى[3]: وتحقيق الآية – والله أعلم – أن الكفرة كانوا متخذين أربابا فبين الله ــ تعالى ــ لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو الله ــ تعالى ــ لأنه الذى له الخلق والأمر؛ فإنه ــ تعالى ــ خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم ؛ فأبدع الأفلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار إليه بقوله: ﴿ **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ** ﴾ وعمد إلى إيجاد الأجرام السفلية فخلق جسمًا قابلاً للصور المتبدلة والهيآت المختلفة، ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والأفعال ؛ وأشار إليه بقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ** ﴾ [فصلت:٩] أى: ما فى جهة السفل فى يومين ، ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة كما قال ــ تعالى ــ بعد قوله: ﴿ **خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ** ﴾ ﴿ **وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ** ﴾ [فصلت: ١٠] أى مع اليومين الأولين اللذين خلق فيهما السموات والأرض ؛ لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ** ﴾ [السجدة: ٤] ثم لما تمّ له عالم الملك عمد إلى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة ؛ فدبر الأمر من السماء إلى الأرض؛ بتحريك الأفلاك،

---

1 – سورة الأعراف: آية ٥٤.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص٢٠٥.

3 – ينظر: حاشية زادة على البيضاوى جـ٤ ص٢٣٥، ٢٣٦ .

وتسيير الكواكب ، وتكوير الليالي والأيام ، ثم صرّح بما هو نتيجة ذلك ؛ فقال: ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِين** ﴾ ".

• وكذلك عند تفسيره للآية الكريمة: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾[1] يذكر نظائرها من الآيات الأخرى؛ فيقول[2]: " ونظيره قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا** ﴾[القصص: ٨٥] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً** ﴾ [الأنبياء:١١] فبين ـ تعالى ـ أن عذابه ليس مقصوراً على من تقدّم، بل الحال في أخذ كل الظالمين يكون كذلك ".

• وأيضا عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾[3] يقول[4]: " فأوسعنا على مؤمن وقترنا على مؤمن آخر، وأوسعنا على كافر وقترنا على كافر آخر، وبين ـ سبحانه وتعالى ـ وجه الحكمة في التفاوت في سورة الزخرف بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَات** ﴾ [الزخرف:٣٢] وقال ـ تعالى ـ في آخر سورة الأنعام: ﴿ **وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ** ﴾ [الأنعام:١٦٥] ".

• وعند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ** ﴾[5] يقول[6] : " "لمن خاف مقامي" أي: موقفي وهو موقف الحساب؛ لأن ذلك الموقف موقف الله الذي يوقف فيه عباده يوم القيامة ، ونظيره

---

1 – سورة هود: آية ١٠٢.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص١١٤.

3 – سورة الاسراء: جزء من آية ٢١.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٤٢٠.

5 – سورة إبراهيم: جزء من آية ١٤.

6 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٢٥٤.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [النازعات:٤٠] وقوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَـافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الـرحمن:٤٦] وقيـل: ﴿ذَلِـكَ لِمَـنْ خَـافَ مَقَـامِي ﴾ [إبراهيم:١٤] أي: خافني ؛ فالمقام مقحم ، مثل ما يقال: سلام على المجلـس العالي ، والمراد السلام على فلان".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢}هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾[1] يجمع بينهما وبين قوله ــ تعـالى ــ فـي سورة البقرة : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2] ويبـين وجـه الاختلاف بينهما ؛ فيقول[3]: " وقال ــ تعالى ــ "للمحسنين" إشـارة إلـى أنّ رحمة الله قريب من المحسنين فإنه ــ تعالى ــ قال فـي البقـرة : " ذلـك الكتاب " ولم يقل الحكيم ، وههنا قال : "الحكيم" ؛ لأنه لما زاد ذكر وصـف في الكتاب زاد ذكراً من أحواله ؛ فقال: "هدى ورحمة " وقال : "هدى للمتقين " فقوله ــ تعالى ــ "هدى" في مقابلة قوله ــ تعالى ــ "الحكـيم "، ووصـف الكتاب بالحكيم على معنى ذي الحكمة كقوله ــ تعالى ــ في عيشة راضية ؛ أي : ذات رضا ، وقوله ــ تعالى ــ هناك : "للمتقين " وقولـه ــ تعـالى ــ هنا" للمحسنين" لأنه لما ذكر أنه هدى ولم يذكر شيئاً آخر قال "للمتقـين" أي: يهدى به من يتقى الشرك والعناد ، وههنا زاد قوله ــ تعـالى ــ "ورحمـة" فقال "للمحسنين" ؛ لأنه لما ذكر أنه لم يذكر شيئاً آخر قال "للمتقين" أي :يهدى به من يتقى الشرك والعناد، وههنا زاد قوله ــ تعـالى ــ "ورحمـة" فقـال "للمحسنين" كما قال ــ تعالى ــ: "للـذين أحـسنوا الحـسنى وزيـادة " [يونس:٢٦] فناسب زيادة قوله ــ تعالى ــ "ورحمة" ولأن المحـسن يتقـي وزيادة ".

---

[1] – سورة لقمان: الأيتين ٢،٣.

[2] – سورة البقرة: آية ٢.

[3] – ينظر :السراج المنير جـ٥ ص٢٦٠ .

● وعند تكرار الآية في عدة سور يذكر الخطيب الشربيني عدد المرات التي ذكرت فيها والسور التي تكررت فيها ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿**أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾[1] يقول[2]: " فائدة جميع ما في القرآن من ذلك أحد عشر موضعًا في تسع سور، والأحد عشر مكرّرة فتصير اثنين وعشرين، في هذه السورة موضع[الرعد]، والثاني والثالث في سورة [الاسراء]، والرابع في [المؤمنون]، والخامس في [النمل]، و السادس في [العنكبوت] ، و السابع في [السجدة]، والثامن والتاسع في [الصافات] ، والعاشر في[الواقعة]، والحادي عشر في [النازعات] . وأذكر إن شاء الله ــ تعالى ــ في كل سورة من السور المذكورة مذهبهم في محله".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى** ﴾[3] يقول[4]: " تنبيه: هذا هو المرة الخامسة من قصة آدم في القرآن أولها في[البقرة]، ثم في [الأعراف]، ثم في [الحجر]، ثم في [الكهف]، ثم ههنا، وقوله ــ تعالى ــ. "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس" تقدّم الكلام على ذلك مفصلاً في سورة البقرة، وقوله ــ تعالى ــ: " أبى " جملة مستأنفة ؛ لأنها جواب سؤال مقدر ؛ أي : ما منعه من السجود ؟ فأجيب بأنه أبي، ومفعول الإباء يجوز أن يكون مرادًا، وقد صرح به في الآية الأخرى في قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾ [الحجر: ٣١]، وحسن حذفه هنا كون العامل رأس فاصلة، ويجوز أن يراد أصلاً، وأن المعنى: أنه من أهل الإباء والعصيان من غير نظر إلى متعلق الإباء ماهو ".

---

1 – سورة الرعد: جزء من آية ٥.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٢١٥.

3 – سورة طه: آية ١١٦.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص٢٠٤.

كما يهتم الخطيب الشربيني في جمعه بين الآيات بتأويل المشكل ؛ أي: التوفيق بين الآيات التي قد يوهم ظاهرها التناقض.

● كما فعل عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾[1] يقول[2]: " فإن قيل: أليس قال ـ تعالى ـ: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٤] فكيف قال هنا: ﴿**وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ [إبراهيم: ١٠] ؟ أجيب: بأن الأجل على قسمين: معلق ومبرم".

● وأيضا بعد إنتهائه من تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ**﴾[3] قال[4]: " تنبيه: قال ـ تعالى ـ هنا "من صلصال كالفخار" وقال ـ تعالى ـ في الحجر ﴿ **مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ**﴾ وقال ـ تعالى ـ في الصافات: ﴿**مِّن طِينٍ لَّازِبٍ**﴾[الصافات: ١١] وقال ـ تعالى ـ في آل عمران: ﴿ **كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ** ﴾ [آل عمران: ٥٩] وكله متفق المعنى؛ وذلك أنه أخذه من تراب الأرض، فعجنه بالماء فصار طينًا، ثم ترك حتى صار حمأ مسنونًا، ثم منتنًا ، ثم صوّره كما يصوّر الإبريق وغيره من الأواني، ثم أيبسه حتى صار في غاية الصلابة ؛ فصار كالخزف الذي إذا نقر صوت صوتًا يعلم منه هل فيه عيب أو لا ؛ فالمذكور هنا آخرُ تخليقه وهو أنسب بالرحمانية. وفي غيرها تارة مبدؤه وتارة أثناؤه، فالأرض أمّه والماء أبوه ممزوجين بالهواء الحامل للجزء الذي هو من فيح جهنم، فمن التراب جسده ونفسه، ومن الماء روحه وعقله ، ومن النار غوايته و حدته، ومن الهواء حركته وتقلبه في محامده ومذامه، فالغالب في جبلته التراب ؛

---

1 – سورة إبراهيم: جزء من آية ١٠.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٢٥٢.

3 – سورة الرحمن: آية ١٤.

4 – ينظر السراج المنير: جـ٧ ص٢٤٥.

فلهذا نسب إليه وإن خلق من العناصر الأربع ، كما أن الجانّ خلق من العناصر الأربع لكن الغالب في جبلته النار؛ فنسب إليها ".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾[1] يجمع بينها وبين قوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾[2] فيقول[3]: "فإن قيل: كيف يجمع بين هذه الآية وبين قوله ــ تعالى ــ 'وما يعلم تأويله إلا الله'، أجيب: بأن إن قلنا بعطف الراسخين على الله فهو ظاهر، وإن قلنا بالوقف على الله ويبتدأ بقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ ﴾ فلأن من علم كتابا عظيما فيه مواضع مشكلة قليلة وتأملها بقدر الإمكان فإنه يقال فلان يعلم الكتاب الفلاني، وإن كان لم يعلم مراد صاحب الكتاب بيقين في تلك المواضع القليلة، وكذا القول في تعليم القرآن، أو يقال : المراد لا يعلمه من تلقاء نفسه، بخلاف الكتب التي تستخرج بقوة الذكاء والفكر ".

● وكذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[4] يقول[5]: " فإن قيل: قد قال الله ــ تعالى ــ: "كفى بنا حاسبين" فكيف الجمع في ذلك؟ أجيب: بأن المراد بالحسيب هنا الشهيد ؛ أي: كفى بشخصك اليوم شاهدا عليك أو أن القيامة مواقف مختلفة ؛ ففي موقف يَكِلُ الله ــ تعالى ــ حسابهم إلى أنفسهم وعلمه محيط بهم ، وفي آخر يحاسبهم هو "

---

1 – سورة الرحمن: آية ٢.

2 – سورة آل عمران: جزء من آية ٧.

3 – ينظر: السراج المنير جــ٧ ص٢٣٩.

4 – سورة الاسراء: آية ١٤.

5 – ينظر: السراج المنير جــ٣ ص٤١٤.

● وعند تفسيره لقوله ـــ تعالى ـــ: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[1] يقول[2]: " بل إنما تحمل وزرها فقط. فإن قيل: ورد أن المظلوم يأخذ من حسنات الظالم ـــ فإذا لم يوف يؤخذ من سيئات المظلوم وتطرح على الظالم؟ أجيب: بأن ذلك بسببه فهو كفعله. فإن قيل: قد ورد أن الميت يعذب ببكاء أهله؟ أجيب بأن ذلك محمول على ما إذا أوصى بذلك وكان ذلك الفعل؛ كقول طرفة ابن العبد :

"إذا متُّ فانْعَيْنِى بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وشُقِّى عَلَىَّ الجَيْبَ يا ابنةَ مَعْبَدِ"[3]

وعليه حمل الجمهور الأخبار الواردة بتعذيب الميت على ذلك. فإن قيل: ذنب الميت فيما إذا أوصى او أمر بذلك فلا يختلف عذابه بامتثالهم وعدمه؟ أجيب: بأن الذنب على السبب يعظم بوجود المسبب وشاهده (من سن سنة سيئة) [4] إلخ. وقال الشيخ أبو حامد: إنّ ما ذكر محمول على الكافر وغيره من أهل الذنوب ".

---

1 – سور الإسراء: جزء من آية ١٥.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٤١٤، ٤١٥.

3 –البيت من الطويل ، لطرفة بن العبد في كتاب الحماسة البصرية، للعلامة صدر الدين على بن أبى الفرج بن الحسن البصرى المتوفى ٦٥٦ هـ ـ تحقيق د/عادل جمال سليمان- ط .وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـــ القاهرة ـــ جـ١ ص٢٧١ ، وقال صاحب الحماسة: " فإنْ " بدلا من " إذا ".

4 – أخرجه مسلم فى صحيحه ـــ كتاب: الزكاة، باب :الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار جـ٢ ص ١٣٣، ١٣٤ ح ١٠١٧، بلفظ " من سن فى الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ، وبنحوه فى ـــ كتاب :العلم، باب: من سنّ فى الإسلام سنة حسنة أو سيئة جـ٤ ص ٣٦٤برقمه نفسه فى كتاب الزكاة.

اتجاهه في تفسير البسملة

يختلف تفسير الخطيب الشربيني للبسملة من سورة إلى أخرى؛ إذ يفسرها في كل سورة بنمط جديد يتناسب مع موضوع السورة ومقاصدها وأهدافها حسبما يتراءى له، فهو يستفيد تفسير البسملة في كل سورة من موضوعها، ويعتمد في معرفة موضوع السورة ومقصدها على ما صدّرت به، و يلتمس موضوعها من افتتاحها، ويتضح هذا من خلال الأمثلة الآتية:

● فعند تفسيره للبسملة في سورة الفاتحة يقول[1]: " وقوله تعالى: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ**﴾ أي الملك الأعظم الذي لا نعبد إلا إياه ﴿**الرَّحْمَنِ**﴾ أي: الذي عمّ بنعمتي إيجاده وبيانه جميع خلقه أسفله وأعلاه، أدناه وأقصاه ﴿**الرَّحِيمِ**﴾ أي: الذي خص من بينهم أهل وده برضاه ".

● وعند تفسيره للبسملة في سورة الأنعام يقول[2]: " ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ**﴾ الذي تعالت عظمته عن كل شائبة نقص فكان له كل كمال ﴿**الرَّحْمَنِ**﴾ الذي عمت نعمته المحسن والمسيء ؛ فغمر الكل بالنوال ﴿**الرَّحِيمِ**﴾ الذي خص أولياءه بإتمام النعمة فهداهم بنعمة الإيصال ".

● ويقول عند تفسيره للبسملة في سورة الكهف[3]: " ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ**﴾ الذي لا كفء له ولا شريك له ﴿**الرَّحْمَنِ**﴾ الذي أقام عباده على أوضح الطرق بإنزال هذا الكتاب ﴿**الرَّحِيمِ**﴾ بتفضيل من اختصه بالصواب ".

---

1 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٤.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص٩٤.

3 – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص٥.

● كما يقول عند تفسيره للبسملة فى سورة النصر[1]: " ﴿ بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذى له الأمر كله فهو العليم الحكيم ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ الذى أرسلك رحمة من الله العليّ العظيم ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذى خصّ أهل ودّه بفضله العميم ".

● وعند تفسيره للبسملة فى سورة الإخلاص يقول[2]: " ﴿ بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذى له جميع الكمال ذى الجلال والجمال ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ الذى أفاض على جميع خلقه عموم الأفضال ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذى خصّ أهل وداده من نور الإنعام بالإتمام والإكمال ".

ففى سورة الفاتحة وصف الله ـ عز وجل ـ بأنه المالك الأعظم ، وذكر استحقاقه للعبادة وحده وإنعامه على عباده بالرضا ، نظرًا لما اشتملت عليه السورة من أنه مالك يوم الدين، وتوحيد العبودية، وطلب الهداية التى هى دليل رضا الله ـ عز وجل ـ.

وفى سورة الأنعام ذكر عظمته وكماله وعموم نعمته المحسنَ والمسيء؛ نظرًا لما استفتحت به السورة الكريمة مما زعمه الكافرون من عدل الآلهة بربهم ، وذكر نعمه وآياته فى الكون.

وفى سورة الكهف أوضح رحمته فى ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ بإقامة العباد على أوضح الطرق بإنزال الكتاب والإرشاد إلى الصواب بالنظر إلى ما افتتحت به السورة الكريمة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾[3].

---

1 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٤٥٠.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٤٦٤.

3 – سورة الكهف: آية ١.

وفي سورة النصر ذكر أن لله ـــ عز وجل ـــ الأمرَ كلَّه، ونسب إليه الفضل العميم بالنظر إلى ما اشتملت عليه السورة من نصر الله الذى ظهر به دينه ؛ فدخل الناس فيه أفواجا.

وفي سورة الإخلاص ذكر تجلى الله ـــ عز وجل ـــ بكمالاته في صفاته؛ لما في السورة من تنزيه لله ـــ عز وجل ـــ وتوحيد.

وهكذا في سائر السور ؛ فهذا هو منهج متبع للخطيب الشربيني في تفسير البسملة في كل سورة ، وهذا المنهج لم ينفرد به بين أهل التفسير بل سبقه إليه بعض المفسرين في تفاسيرهم؛ وممن انتهج هذا المنهج العلامة عليّ بن أحمد المهائمي[1] المتوفى في سنة ٨٥٣هـ في تفسيره "تبصير الرحمن وتيسير المنان لبعض ما يُشير إلى إعجاز القرآن"، والإمام برهان الدين البقاعي المتوفى ٨٨٥هـ في تفسيره "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". وإن كانوا قد اختلفت أساليبهم في تفسير البسملة إلا أن القارىء للتفاسير الثلاثة يلمس أنهم جميعًا اتفقوا في تفسير كل بسملة وفق موضوع السورة ومقاصدها؛ فالاختلاف لفظي حيث تنوعت تعبيراتهم فقط والمضمون واحد.

---

1 – هو العلامة على بن أحمد بن على ابراهيم المهائمى الدكنى الهندى ، الفقيه الشافعي، الصوفي ، المشهور بالمخدوم عليّ المهايميّ ولد عام ٧٧٦ وتوفي عام ٨٣٥هـ باحث ومفسر له مصنفات عربيه نفيسة ؛ منها: زوارف اللطائف في شرح عوارف المعارف، وأدلة التوحيد ؛ ينظر: الأعلام للزركلي جـ ٤ ص٦٧.

منهجه في بيان أسماء السور وفضلها

" قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير، وقد يكون لها اسمان كسورة محمد – ﷺ – وتسمى سورة القتال ،وقد يكون لها ثلاثة أسماء ؛ كسورة البقرة يقال لها الفسطاط والزهراء، وسورة المائدة وتسمى سورة العقود والمنقذة، وكسورة غافر والطول والمؤمن، وقد يكون لها أكثر من ذلك ؛ كسورة الفاتحة وسورة التوبة "[1]

وقد اهتم المفسرون ببيان أسماء السور في تفاسيرهم، ومنهم من اهتم ببيان حكمة تسمية السور بأسمائها، واختلفت مناهجهم وأساليبهم في ذلك ؛ فمن المناهج والأساليب المتبعة لبيان أسرار الأسامي المنهج التقليدي المباشر، وهو يبيّن الحكمة بطريقة تقليدية بسيطة حاصلها أن سبب التسمية هو مجرد ورود كلمة الإسم أو موضوعه في السورة ؛ كالزركشي، والفيروز آبادي والآلوسي، والشيخ الطاهر بن عاشور.

ومن المفسرين من تنبّه إلى أن لتسمية السورة باسمها حكمة فوق مجرد تضمن السورة لذلك الاسم أو موضو ع التسمية ؛ كالبقاعيّ والمهائميّ.

والخطيب الشربيني في تفسيره الذي هو محل البحث اهتم ببيان أسماء السور، وبيان أسرار هذه الأسامي، وقد تتبعت سور القرآن الكريم كلها في تفسيره "أربعة عشر ومائة سورة" فوجدته قد ذكر أسماء أخرى لتسعة عشر سورة، بعضها يذكر الأسماء الأخرى دون التعليق عليها، وبعضها يتلمس الحكمة من تسميتها بهذه الأسماء ، أما باقي سور القرآن الكريم فقد وقف عند أسمائها المذكورة في المصحف الشريف ، ولم يبين الحكمة من هذه الأسماء وسأوضح ذلك بالأمثلة من تفسيره فيما يلي:

---

[1] – مستقى من الاتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ١ ص١١٦، والبرهان في علوم القرآن للزركشي جـ١ ص٢٦٩.

١-بيانه لأسماء السور دون التعليق عليها:

بعض السور القرآنية ذكر لها الخطيب الشربينى أسماء يذكر الحكمة من تسميتها بهذه الأسماء :

- فيقول عند تفسيره لسورة النحل، 'وتسمي سورة النعم' وبعد بيان المقصود من السورة يقول[١]: " ووسمها بالنعم واضح ".
- ويقول في بداية سورة الإسراء[٢]: " سورة الإسراء وتسمى سبحان وبنو إسرائيل ".
- وعند ذكره لاسم سورة غافر يقول[٣]: " سورة غافر (المؤمن) ثم يقول: وتسمى: سورة الطول وسورة غافر ".
- ويقول عن سورة فصلت[٤]: " سورة حم فصلت ".
- ويقول في سورة محمد[٥]: " سورة محمد ﷺ مكية وتسمى القتال والذين كفروا ".
- ويذكر اسمًا آخر لسورة القمر فيقول[٦]: " سورة القمر وتسمى اقتربت"
- ويقول قبل تفسيره لسورة النبأ[٧]: " سورة عم يتساءلون وتسمى سورة النبأ ".

---

1 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٣١٣.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٣٩٤.

3 – ينظر: السراج المنير جـ٦ ص٢٨٦.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٦ ص٣٣٧.

5 – ينظر: السراج المنير جـ٧ ص٣٥.

6 – ينظر: السراج المنير جـ٧ ص٢١٦.

7 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٢٣١.

- ويذكر اسمًا آخر لسورة عبس فيقول[1]: " سورة عبس مكية وتسمى سورة السفرة ".
- وقبل تفسيره لسورة الماعون يقول[2]: " سورة الدين وتسمى سورة الماعون مكية ".
- ويذكر اسمًا آخر لسورة الكوثر فيقول[3]: " سورة الكوثر وتسمى سورة النحر مكية ".

وهكذا ذكر الخطيب الشربيني أكثر من اسم لعشر سور قرآنية عند تفسيرها ولم يبين أسرار هذه الأسامي.

٢- بيان أسرار الأسامي:

يلتقي الخطيب الشربيني مع المهائميّ والبقاعيّ في إبراز حكمة تسمية السورة بما سميت به، فعند تفسيره لفاتحة الكتاب يذكر لها إثنا عشر اسمًا ويبين أسرارها فيقول[4]: " وتسمى أمّ القرآن لأنها مُفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ؛ ولذلك تسمى أساسًا ، أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى، والتعبّد بأمره، ونهيه وبيان وعده ووعيده ، أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم، والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء، وسورة الكنز؛ لأنها نزلت من كنز تحت العرش والوافية والكافية ؛ لأنها وافية كافية في صحة الصلاة بخلاف غيرها عند القدرة عليها، والشافية والشفاء ؛ لقوله عليه الصلاة

---

1 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٢٥٦.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٤٣٨.

3 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٤٤٢.

4 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٣.

والسلام: (هي شفاء لكل داء) [1] والسبع المثانى ؛ لأنها سبع آيات باتفاق، لكن من عدّ البسملة آية منها جعل السابق ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ**﴾ إلى آخرها، ومن لم يعدها آية منها جعل السابعة ﴿ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** ﴾ إلى آخرها، وسميت مثانى لأنها تثنى فى الصلاة أى: تكرّر فيها بأن تقرأ فى كل صلاة وفى كل ركعة وقول بعضهم تثنى فى كل ركعة فيه تجوّز وهى مكية على قول الأكثر، وقال مجاهد: مدنية، وقيل: نزلت مّرتين مرّة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حوّلت القبلة، ولذلك سميت مثانى، قال البغوىّ: والأول أصح، وقال البيضاوىّ: وقد صح أنها مكية بقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي**﴾ [الحجر: ٨٧] وهو مكىّ بالنص، انتهى. وأراد بالنص السنة فقد ثبت ذلك عن ابن عباس وقول الصحابى فى القرآن خصوصا في النزول له حكم المرفوع والقرآن العظيم والنور والراقية وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها على ذلك، وسورة المناجاة، وسورة التفويض، وفاتحة القرآن، وأم الكتاب، وسورة الحمد الأولى وسورة الحمد القصوى وسورة السؤال والصلاة لخبر: (قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل، يقول العبد: الحمد لله رب العالمين، يقول الله: حمدنى عبدى، يقول العبد: الرحمن الرحيم، يقول الله: أثنى على عبدى، يقول العبد: مالك يوم الدين، يقول الله:

---

[1] -أخرجه الدارمىّ فى سننه ـ "فى فاتحة الكتاب شفاء من كل داء " جـ٢ ص٣١٧ ح ٣٣٧٠ ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير جـ٥ ص٢٢٧ح ١٤٧١٩ وقال: ضعيف؛ ينظر: جمع الجوامع ـالجامع الكبير فى الحديث والجامع الصغير وزوائده للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى المتوفى ٩١١هـ ،تخريج وتعليق وضبط : خالد عبد القادر شبل ،ط .دار الكتب العلمية ـ بيروت، الأولى ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م. والعجلونى فى كشف الخفاء جـ٢ ص١٠٦ ح١٨١٦؛ ينظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهرمن الأحاديث على ألسنة الناس للمفسر، المحدث ، الشيخ اسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى، المتوفى ١١٦٢ هـ ، أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه : أحمد القلاش ،ط .مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، لبنان،الثانية ١٣٩٩ هـ١٩٧٩ م.

مجدني عبدي، يقول العبد: إياك نعبد و إياك نستعين، يقول الله عــز وجــل: هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، يقول العبــد: اهــدنا الــصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب علــيهم ولا الــضالين، يقول الله: فهؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل)[1] ؛ولأنها جزؤها فهو مــن بــاب تسمية جزء الشيء باسم كله ".

● ويقول في بيان سر تسمية سورة البقرة بالفــسطاط[2]: " والفــسطاط الخيمة، أو المدينة الجامعة سميت به السورة ؛ لاشتمالها على معظم أصــول الدين وفروعه والإرشاد إلى كثير من مصالح العباد ونظام المعــاش ونجــاة المعاد".

● ويقول في بيان أسرار أسماء سورة التوبة[3]: " ولها عــدة أســماء: التوبة، براءة، المقشقشة، البحوثة، المبعثرة، المنقــرة، المثيــرة، الحــافرة، المخزية، الفاضحة، المنكلة، المشردة، المدمدمة، سورة العذاب، وإنما ســميت بذلك ؛ لما فيها من التوبة للمؤمنين والمقشقشة من النفاق وهي التبرؤ منــه، والبحث عن حال المنافقين وإثارتها والحفر عنها ومــا يخــزيهم ويفــضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم ".

---

1 – أخرجه مسلم في صحيحه ـــ كتاب : الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وأنه إذا لم يحسن الفاتحة في كل ركعة وأنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها جـــ١ ص٣٠٧ ح ٣٩٥.

2 – ينظر : السراج المنير جـــ١ ص٣٠٤.

3 – ينظر : السراج المنير جـــ٢ ص٣٥٩.

• ويقول في بيان أسرار أسماء سورة يس[1]: " وتسمى أيــضا: القلــب والدافعة والقاضية والمعممة ؛ تعم صاحبها بخير الدارين، وتدفع عنـــه كـــل سوء، وتقضى له كل حاجة ".

• ويقول فى بيان أسماء سورة الرحمن وأسرارها[2]: " "سورة الـــرحمن وتسمى عروس القرآن ؛ لأنها مجمع النعم والجمال والبهجـــة فـــي نوعهـــا والكمال".

• وعند فراغه من تفسير سورة الإخلاص يذكر عــشرين اســمًا لهـــا، بعضها لا يبيّن أسرارًا لها وبعضها الآخر يبين أسرار تسميتها بها فيقـــول[3]: " ولها أسماء كثيرة، وزيادة الأسماء تدل على شرف المسمى، أحـــدها: أنهـــا سورة التفريد، ثانيها: سورة التجريد، ثالثها: سورة التوحيد، رابعها: ســـورة الاخلاص، خامسها: سورة النجاة، سادسها: سورة الولاية، ســـابعها: ســـورة النسبة ؛ لقولهم: أنسب لنا ربك، ثامنها: سورة المعرفـــة، تاســـعها: ســـورة الجمال، عاشرها: سورة المقشقشة، حادى عشرها: ســـورة المعـــوذة، ثـــانى عشرها: سورة الصمد، ثالث عشرها: سورة الأساس ؛ قال أسست الـــسموات السبع والأرضين على "قل هو الله أحد"، رابع عشرها: المانعة ؛ لأنها تمنـــع فتنة القبر ونفحات النار، خامس عشرها: ســـورة المحتـــضر؛ لأنّ الملائكـــة تحضر لاستماعها إذا قرئت، سادس عشرها: المنفرة ؛ لأن الـــشياطين تنفـــر عند قراءتها، سابع عشرها: سورة البراءة؛ لأنها براءة مـــن الـــشرك، ثـــامن عشرها: المذكرة ؛ لأنها تذكر العبد خالص التوحيد، تاسع عـــشرها: ســـورة

---

1 – ينظر: السراج المنير جـــ٦ ص٩٠.

2 – ينظر: السراج المنير جـــ٧ ص٢٣٨.

3 – ينظر: السراج المنير جـــ٨ ص٤٦٧، ٤٦٨.

النور؛ لأنها تنور القلب المكمل للعشرين: سورة الإنسان ؛ قال ـ ﷺ ـ: (إذا قال العبد: الله، قال الله: دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى) [١]".

● وهكذا فعل الخطيب الشربينى فى بيان أسرار أسماء سورة القصص والكافرون والنصر؛ فذكر أسماءها وأوضح الحكمة من تسميتها بهذه الأسماء[٢].

إتجاهه فى بيان فضائل السور

اهتم الخطيب الشربينى ببيان فضل السورة عند تفسيرها ؛ فالقارىء لتفسيره يجده فى نهاية تفسيره لكل سورة يذكر ما ورد فى فضلها ، وينبه على الضعيف منه والموضوع كما يتضح من الأمثلة الآتية:

● فى نهاية تفسيره لسورة البقرة يقول[٣]: " وروى عنه ـ ﷺ ـ أنه قال:

(أوتيت خواتيم البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبىّ قبلى) [٤]. وروى عنه ﷺ أنه قال: (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه)[٥] أى:

---

1 – لم أقف على تخريجه فيما اطلعت عليه من كتب الحديث وكذا كتب التفسير.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص١١٩ ، جـ٨ ص ٤٤٧، ٤٥٠ .

3 – السراج المنير: جـ١ ص٣٠٣، ٣٠٤ بتصرف.

4 – أخرجه الحاكم فى المستدرك ـ كتاب : فضائل القرآن ، باب : أخبار فى فضل سورة البقرة جـ١ ص751 ح ٢٠٦٧ وصححه ووافقه الذهبى ، وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ـ باب: فى تعظيم القرآن ، فصل فى فضائل السور والآيات جـ٢ ص٤٦١ ح ٢٤٠٤ ، والحديث صحيح رجاله ثقات .

5 – أخرجه البخارى فى صحيحه ـ كتاب : المغازى ، باب رقم ١٢ "بدون ترجمة"،وكتاب : فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة،وباب :من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا ؛ ينظر فتح البارى جـ١١ ص٤٥٤ ح ٤٠٠٨، جـ١٤ ص ٢٤١ ح ٥٠٠٩ ، جـ١٤ ص٢٨١ ح ٥٠٤٠ ،ومسلم فى صحيحه ـ=

عن قيام الليل أو عن كل ما يسوءه. كما قال عليه الصلاة والسلام: (السورة التى تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها، فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل: وما البطلة؟ قال: السحرة)[1] أى: أنهم مع حذقهم لا يوفقون لتعليمها أو التأمل فى معانيها أو العمل بما فيها، وروى عنه ﷺ أنه قال: (إن الله تعالى كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفى عام فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن فى دار ثلاث ليال فلا يقربها شيطان)[2]".

● كما ذكر فضل سورة الواقعة بعد فراغه من تفسيرها فقال[3]: " وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)[4] هذا

=كتاب: صلاة المسافرين ، باب : فضل الفاتحة و خواتم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة جـ١ ص ٥٧٦ ح ٨٠٧.

1 – أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ـ كتاب : صلاة المسافرين ، باب : فضل قراءة القرآن وسورة البقرة جـ١ ص٥٧٤، ٥٧٥ ح ٨٠٤.

2 – أخرجه الترمذى فى سننه ـ كتاب : فضائل القرآن ، باب : ما جاء فى آخر سورة البقرة جـ٥ ص ٩ برقم (٢٨٨٢) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب، والدارمى فى سننه ـ كتاب : فضائل القرآن ، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسى جـ ٢ ص ٣٢٢ برقم (٣٣٨٧).

3 – ينظر: السراج المنير جـ٧ ص٣٠٣، ٣٠٤.

4 – أخرجه البخارى فى صحيحه ـ كتاب: الدعوات، باب: فضل التسبيح، وكتاب : الإيمان والنذور، باب: إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو كبر أو حمد أوهلل فهو على نيته، وكتاب: التوحيد ، باب: قول الله تعالى "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة " ،وختم به الإمام البخارى صحيحه فهو آخر حديث ؛ ينظر فتح البارى جـ١٧ ص١٥٤ ح ٦٤٠٦، جـ١٧ ص٥٩٧ ح٦٦٨٢، جـ١٩ ص٦٢٤ ـ٦٢٦ ح٧٥٦٣، وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ـ كتاب :الذكر والدعاء ،باب :فضل التهليل والتسبيح والدعاء جـ٤ ص٣٧٧ ح٢٦٩٤.

الحديث آخر حديث في البخارى ، وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: (من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة) [1]، وروى أبو طيبة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا) [2].

● وكذلك في تفسيره لسورة الإخلاص يذكر عدة روايات في فضلها إذ يقول[3]: " وروى في فضائل هذه السورة أحاديث كثيرة منها ما روى عن البخارى عن أبى سعيد الخدرى: أن رجلاً سمع رجلا يقرأ "قل هو الله أحد" يرددها فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقللها فقال له رسول الله ﷺ : (والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن) [4] فإن قيل: لم كانت تعدل ثلث القرآن؟ أجيب بأن القرآن أنزل أثلاثا ثلث أحكام، وثلث وعد و وعيد، وثلث أسماء وصفات فجمعت هذه السورة أحد الأثلاث، وهو الأسماء والصفات. وقيل إنها تعدل القرآن كله مع قصر متنها وتقارب

---

1 – أخرجه الترمذى فى سننه ــ كتاب :الدعوات ،باب :رقم ٦٠ بدون ترجمةجـ٥ ص 333 ح٣٤٦٤وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ــ كتاب : الدعاءوالتكبير والتهليل والتسبيح والذكر جـ١ ص٦٨٠ ح ١٨٤٧ وقال الحاكم:هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقال الذهبى صحيح على شرط مسلم.

2 – أخرجه ابن السنى فى "عمل اليوم والليلة لأبى بكر السنى ٣٦٤ هـ ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، ط. مكتبة الكليات الأزهرية ــ القاهرة ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩م،باب: ما يستحب أن يقرأ فى اليوم والليلة ص٢٥٢ ح٦٨٥،وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ــ باب: فى تعظيم القرآن ، فصل فى فضائل السور والآيات ، جـ٢ ص٤٩١، ٤٩٢ ح٢٤٩٩.

3 – ينظر : السراج المنير جـ ٨ ص ٤٦٦، ٤٦٧.

4 – أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب : فضائل القرآن ، باب :فضل "قل هو الله أحد"، ينظر: فتح البارى جـ١٤ ص٢٤٦ ح ٥٠١٣ .

طرفيها، وما ذاك إلا لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده، وكفى بذلك دليلا لمن اعترف بفضلها.

ومنها ما روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ بعث رجلا على سرية فكان يقرأ فى صلاتهم فيختم بـ"قل هو الله أحد" فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (سلوه لأى شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها فقال ﷺ: أخبروه أن الله تعالى يحبه)[1].

ومنها ما رواه الترمذى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقرأ "قل هو الله أحد" فقال ﷺ: (وجبت قلت: ما وجبت؟ قال: الجنة)[2]

ومنها ما روى أنس أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: (من قرأ "قل هو الله أحد" خمسين مرة غفرت ذنوبه)[3].

ومنها ما روى سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال: (من قرأ "قل هو الله أحد" عشر مرات بنى الله له قصرًا فى الجنة، ومن قرأها عشرين مرة

---

1 – أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب : التوحيد ، باب : ما جاء فى دعاء النبى ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ؛ ينظر: فتح البارى جـ١٩ ص٤٠٥ ح ٧٣٧٥ .

2 – أخرجه الترمذى فى سننه ــ كتاب : فضائل القرآن ، باب : ما جاء فى سورة الإخلاص جـ٥ ص١٦ ح٢٨٩٧ وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن أنس ، وأخرجه النسائى فى سننه ــ كتاب : الإفتتاح ،باب : الفضل فى قراءة قل هو الله أحد جـ١ ص٦٥١، ٦٥٢ ح٩٩٣ .

3 – أخرجه الدارامى فى سننه ــ بلفظ (غفر الله له ذنوب خمسين سنة) كتاب : فضائل القرآن، باب : فى فضل "قل هو الله أحد" جـ٢ص٣٣٥ ح ٣٤٣٨ ، وأورده ابن كثير فى تفسيره سورة الإخلاص جـ4ص 568 وقال: ضعيف.

بنى الله له قصرين فى الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاث قصور فى الجنة، فقال عمر إذا نكثر قصورنا فقال ﷺ: أوسع من ذلك)[1].

ومنها ما رواه الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ قال: (من قرأ "قل هو الله أحد" بعد صلاة الصبح اثنتى عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات، وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى)[2] وروى أنه ﷺ قال: (من قرا "قل هو الله أحد" فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره، وأمن من ضغطة القبر، وحملته الملائكة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة)[3]

وقد أفردت أحاديثها بالتأليف وفى هذا القدر كفاية لأولى الألباب ".

---

[1] – أخرجه الدارامى فى سننه ، كتاب فضائل القرآن ، باب فى فضل "قل هو الله أحد" جـ٢ ص332 ح٣٤٢٩ بلفظ أحد عشر مرات ، وأخرجه أحمد بنحوه فى مسند معاذ ابن أنس الجهنى جـ12 ص248 ح15547 ، وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير جـ٢٠ ص١٨٣ــ١٨٤ بنفس رواية أحمد ، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد جـ٧ ص١٤٥ ونسبه إلى أحمد والطبرانى وفى إسنادهما رشدين بن سعد وزبان وكلاهما ضعيف.

[2] –أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب التفسير باب سورة قل هو الله أحد ونسبه إلى الطبرانى فى الصغير.

[3] –أخرجه الطبرانى فى المعجم الأوسط باب من اسمه محمد بن عبد الله الحضرمى جـ٦ ص١١٤ ــ١١٥ح ٥٧٥٨ينظر: المعجم الأوسط للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى ٢٦٠ــ ٣٦٠ هـ ، حققه وخرجه وفهرسه : أيمن صالح شعبان وسيد أحمد إسماعيل ن ط. دار الحديث ــ القاهرة ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب التفسير باب سورة قل هو الله أحد جـ٧ ص٤٥ ونسبه إلى الطبرانى فى الأوسط وفيه نصربن حماد الوراق وهو متروك .وأورده السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور سورة الإخلاص جـ٦ ص٧٠٧ ، ونسبه إلى الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية بسند ضعيف.

وقد لا يكتفي الخطيب الشربيني بذكر ما ورد من روايات معتمدة عند علماء السنة في فضائل السور بل يتبع ذلك بـرّد مـا ورد مـن الروايـات الضعيفة أو الموضوعة خاصة التي أوردها الزمخشري والبيضاوي في تفسيريهما ومن أمثلة ذلك:

- عند فراغه من تفسير سورة آل عمران يقول[1]: " وما رواه البيضاو

تبعاً للزمخشري من أنه ﷺ قال: (من قرأ آل عمران أعطي بكل آيـة منهـا أماناعلى جسر جهنم) [2]فهو من الاحاديث الموضوعة على أبيّ بن كعب في فضائل السور فلينتبه لذلك ويحذر منه ، وقد نبّه أئمة الحديث قديمًا وحديثًا على ذلك وعابوا على من أورده من المفسرين في تفاسيرهم ".

---

[1] – ينظر السراج المنير :جـ١ ص٤٣٣ .

[2] – أورده ابن الجوزي في الموضوعات في أبواب تتعلق بالقرآن ، باب :في فـضائل السورمن حديث أبيّ بن كعب جـ ١ ص٢٣٩ وقال: "هذا حديث فضائل السور مصنوع بلا شك ، وفي إسناد الطريق الأول بديع وهو متروك ، وفي الطريق الثاني مخلد بـن عبد الواحد قال ابن حبان : منكر الحديث جداً ينفرد بمناكير لا تشبه أحاديث الثقاة ، وقد اتفق بديع ومخلد على رواية هذا الحديث عن علي بن زيد ، وقد قال أحمدويحيي : علي ابن زيد ليس بشئ . وبعد هذا فنفس الحديث يدل على أنه مصنوع فإنه قد استنفد السور وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة لا يناسب كلام رسول الله ﷺ" ،وأورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، باب: فضائل القرآن جـ١ ص٢٢٧ وقال :" وقد فرق هذا الحديث أبو اسحق الثعلبي في تفسيره وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أهل الحديث وإنما عجبت من أبي بكر بن أبي داود في كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن وهو يعلم أنه حديث محاك مصنوع بلا شك" ، وقال الشوكاني : "ولا خلاف بين الحفاظ بأن حديث ابن كعب هذا موضوع وقد اغتر به جماعة من المفسرين فذكروه في تفاسيرهم كالثعلبي والواحدي والزمخشري ولا جرم فليسوا من أهل هذا الشأن" ؛ ينظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة لشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ، تحقيق: رضوان جامع رضوان، ط مكتبة نـزار مـصطفى الباز مكة، المكرمة، الرياض ــ الثانية ١٤٢١ هـ ــ ٢٠٠٠ م جـ٢ ص٣٨٠.

● وفى آخر سورة المائدة يقول[1]:" وقول البيضاوى[2] عن النبـــى ﷺ: (من قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر عشر حسنات ومحيت عنـــه عــشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى الـــدنيا) [3] حديث موضوع "

● وكذلك فى تفسيره لسورة الأعراف يرد الحديث الموضوع الذى رواه البيضاوىتبعاً للزمخشرى فيقول [4]: " والحديث الذى ذكره البيضاوى تبعـــاً للزمخشرى وهو : (من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبـــين إبليس ستراً وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة) [5] حديث موضوع ".

● وكذلك فى نهاية تفسيره لسورة التوبة يرد الحـــديث الموضـــوع فـــى فضلها الذى رواه البيضاوى تبعًا للزمخشرى فيقول[6]: " روى أبى بن كعـــب قال : آخر ما نزل من القرآن هاتان الأيتان : ' لقد جاءكم رسول من أنفسكم ' إلى آخر السورة ، وما رواه البيضاوى رحمه الله تعالى تبعاً للكشاف مـــن أنه ﷺ قال: (ما أنزل علىّ القرآن إلا آية آية وحرفًا حرفًاما خلاسورة بـــراءة وقل هو الله أحد فإنهما أنزلا علىّ ومعهما سبعون ألف صف من الملائكـــة) [7]حديث منكر ومخالف لما مر عن أبى من أن آخر ما نزل الأيتان ".

---

1 – ينظر: السراج المنيرجـــ٢ ص٩٣ .

2 – ينظر: الكشاف جـــ١ ص٦٥٩ ،حاشية زادة على البيضاوى جـــ٣ ص٦١٩،٦١٨.

3 – سبق تخريجه فى حديث أبىّ بن كعب ص 141 .

4 – ينظر: السراج المنير جـــ٢ ص٣٠٦ .

5 – سبق تخريجه فى حديث أبىّ بن كعب ص١٤١ .

6 – ينظر: السراج المنير جـــ ٢ ص ٤٧١ .

7 – سبق تخريجه فى حديث أبىّ بن كعب ص١٤١ .

● وكذلك عندما ينتهي من تفسير سورة النمل يذكر ما رواه البيضاوى تبعًا للزمخشرى من حديث موضوع فيقول[1]: " وما رواه البيضاوى تبعًا للزمخشرى [2]من أن: (من قرأ "طس" كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادى لا إله إلا الله) فحديث موضوع "[3]

وهكذا تتبع الخطيب الشربينى ما أورده البيضاوى والزمخشرى من روايات ضعيفة وموضوعة فى فضائل سورة الانعام والممتحنة و الصف والطلاق والقارعة وغيرها من السور الكريمة[4] .

هذا هو منهج الخطيب الشربينى الذى اتبعه فى بيان فضائل السور عند تفسيرها إذ يذكر الروايات المعتمدة فى كتب السنة، ويردّ غيرها من الروايات الضعيفة والموضوعة، خاصة ما أورده البيضاوى تبعًا للزمخشرى، فلم يترك الخطيب الشربينى رواية ضعيفة أو موضوعة ذكراها فى تفسيريهما فى فضائل السور إلا ونبه عليها عند تناوله لتفسير كل سورة من سور القرآن الكريم.

---

1 – ينظر: السراج المنير: جـ٥ ص١١٨.

2 – ينظر: الكشاف جـ٣ ص ١٦٤ وحاشية زادة على البيضاوى جـ٤٢٥ و ٤٢٦ .

3 – سبق تخريجه فى حديث أبيّ بن كعب ص١٤١ .

4 – ينظر: السراج المنير :جـ ١ ص٥٤٩ ، جـ٢ ص ٣٥٨ ، جـ٣ ص٦٢ ١٢٧،٢٠٨،٢٤٣،٢٨٠، ٣١٢، ٣٩٣ ، ٤٩٥، ج٤ص١٤٦ ، ٢١٤، ٢٧٣،٣٢٣،٣٦٤ ٤٨٤ ،جـ٥ ص٦٤ ، ١٧٩، ٢٢٣،٢٥٨،٢٨٨، ٣٩٨، جـ٦ ص٥١،٨٩ ١٣٨، ١٨٦، ٢٣٣، ٢٨٥، ٣٣٦، ٣٧٢، ٤١٠، ٤٤٨، ٤٨٧، جـ٧ ص ٣٤،٥٨،٩٠،١١٦، ١٤١، ١٧٦، ١٨٥، ٢١٥،٢٣٧،٢٧١،٣٣٠،٣٥٧،٣٨٩،٤٠٩،٤٢٠، ٤٣٨، ٤٨٧، جـ٨ ص٢٤ ٤٣،٧١،٩١،١٠٤،١١٨،١٣٩،١٦١،١٨٣، ١٩٦، ٢١٩،٢٣٠،٢٤٢،٢٥٥،٢٧٥ ٢٨٠، ٢٩١، ٢٩٧، ٣٠٧، ٣١٤، ٣٢٢، ٣٤٠،٣٤٨ ٣٥٤،٣٦٠، ٣٧٠،٣٧٩، ٣٨٨، ٣٩٦،٤٠٧، ٤١٠، ٤١٥، ٤٢٠، ٤٢٣،٤٢٧ ٤٣٢، ٤٤١ ٤٤٩، ، ٤٧٤.

رأيه في فواتح السور المفتتحة بحروف الهجاء

تناول الخطيب الشربيني تفسير الأحرف المقطعة في أوائل السور في بداية تفسيره لسورة البقرة.

وقد ذكر آراء العلماء فيها دون ترجيح رأى على آخر، فلم أجده ذكر لنفسه رأيا في شأن هذه الأحرف ؛ ويتضح ذلك مما أورده في تفسيرقوله ـ تعالى ـ: ﴿الم﴾ سورة البقرة ؛ إذ يقول[1]: " "ألم" وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه ، وهو سرّ القرآن ؛ فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ. وفائدة ذكره طلب الإيمان بها والسبب في ذلك ـ أن العقول الضعيفة لا تحتمل الأسرار القوية كما لا يحتمل نورَ الشمس أبصارُ الخفافيش ، والله ـ تعالى ـ استأثر بعلم لا تقدر عليه عقول الأنبياء، والأنبياء استأثروا بعلم لا تقدر عليه عقول العلماء، والعلماء استأثروا بعلم لا تقدر عليه عقول العامة ، وقال أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: في كل كتاب سرّ ، وسرّ الله في القرآن أوائل السور. وقال عليّ رضي الله عنه[2]: إن لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي. قال داود بن أبي هند: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور؛ فقال[3]: يا داود إن لكل كتاب سرًا وإن سرّ القرآن فواتح السور؛ فدعها واسأل عما سوى ذلك. وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال[4]: معنى "الم" أنا الله أعلم ، ومعنى "الر"

---

1 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٣٨.

2 – لم أقف على تخريجه فيما اطلعت عليه من كتب الحديث الضعيف منها والصحيح ، وكذا كتب التفسير.

3 –أورده السيوطي في تفسيرالدر المنثور في التفسير بالمأثور ، سورة البقرة جـ١ ص٥٦، ونسبه إلى ابن المنذر وأبي الشيخ بن حبان ..

4 –أخرجه ابن أبي حاتم في" تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله عن ابن عباس جـ١ ص٣٢ ح٤٣ ،وأخرجه ابن جرير في تفسيره جـ١ ص 67 عن ابن عباس.

[يونس :١] أنا الله أرى، ومعنى "المر" [الرعد:١] أنا الله أعلـم وأرى ؛ قـال الزجاج[1]: وهذا حسن ؛فإنّ العرب تذكر حرفًا من كلمة تريـدها؛ كقـولهم : قلت لها قفي فقالت: قاف؛ أي: وقفت. وقيل: هي أسماء السور ،وعليه إطباق أكثر المتكلمين واختاره الخليل وسيبويه ؛ سميت بها إشـعارًا بأنهـا كلمـات معروفة التركيب ، فلو لم تكن وحيًا من الله ــ تعالى ــ لم تتـساقط قـدرتهم عند معارضتها؛ ونقضه الإمام الرازي بأنها لو كانـت اسـمًا لهـا لوجـب اشتهارها بها، وقد اشتهرت بغيرها ؛ كسورة البقرة وآل عمـران[2]. وقيـل: أسماء للقرآن قاله قتادة[3] "

ثم يبيّن الحكمة من الإتيان بهذه الأحرف الثلاثة في أول سورة البقـرة؛ فيقول[4]: " والحكمة في الإتيان بهذه الأحرف الثلاثة أن الألف مـن أقـصى الحلق وهو مبدأ المخارج ، واللام من طرف اللسان وهو وسـطها ، والمـيم من الشفة وهي آخرها ، جمع الله ــ تعالى ــ بينها؛ إيمـاء إلـى أنّ العبـد ينبغي أن يكون أول كلامه وأوسطه وآخره ذكر الله ــ تعالى ــ ولما تكـاثر وقوع الألف واللام في تراكيب الكلام جاءتا في معظم الفـواتح مكـررتين ؛ وهي فواتح سورة البقرة، وأول آل عمران ، والأعراف ، ويونس ، وهـود، ويوسف ، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والعنكبـوت ، والـروم، ولقمـان ، والسجدة "

---

1 – ينظر :معاني القرآن وإعرابه للزجّاج جـ١ ص٦٣.

2 – ينظر: مفاتيح الغيب للرازي جـ٢ ص٩.

3 –أخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن العزيز المسمى تفسير عبد الرزاق للإمام أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ،١٢٦ ــ ٢١١ هـ ، تحقيق :عبد المعطي أمـين قلعجي ، ط. دار المعرفة بيروت ــ لبنان ١٤١١ هـ ــ ١٩٩١ م جـ١ص٦٢ ح١٥ قال: حدثنا معمر عن قتادة في قوله ــ تعالى ــ : "الم" قال : اسم من أسماء القرآن، وهذا الأثر صحيح ، رجاله ثقات حفاظ .

4 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٣٨، ٣٩.

ثم يطرح بعض المسائل المتعلقة بهذه الأحرف ويبيّن رأيه فيها:

المسألة الأولى:

تتعلق بعددها وعلة تفريقها على السور؛ فيقول[1]: " فإن قيل: هلا عددت هذه الأحرف بأجمعها في أوائل القرآن ومالها جاءت مفرّقة على السور أجيب: بأنّ إعادة التنبيه على أنّ المتحدّى به مؤلف منها لا غير، وتجديده في غير موضع واحد أوصل إلى الغرض وأقرّ له في الأسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرّة ، وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن ؛ فمطلوب به تمكين المكرّر في النفوس وتقريره "

المسألة الثانية:

تتعلق باختلاف بنيتها بين فواتح السور؛ فيقول[2]: " فإن قيل: هلا جاءت على وتيرة واحدة ، ولم اختلفت أعداد حروفها فوردت ﴿**ص**﴾ و﴿**ق**﴾ و﴿**ن**﴾ على حرف، و﴿**طه**﴾ و﴿**طس**﴾ و﴿**يس**﴾ و﴿**حم**﴾ على حرفين، و﴿**الم**﴾ و﴿**الر**﴾ و﴿**طسم**﴾ على ثلاثة أحرف، و﴿**المص**﴾ و﴿**المر**﴾ على أربعة أحرف، و﴿**كهيعص**﴾ و﴿**حمعسق**﴾ على خمسة أحرف؟ أجيب: بأنّ هذا على عادة افتنانهم في أساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب عدّة ، وكما أن أبنية[3] كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك ؛ سلك بهذه الفواتح تلك المسالك "

المسألة الثالثة:

تتعلق بوجه اختصاص كل سورة بما افتتحت به فيقول[4]: " فإن قيل: ما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها؟ أجيب: بأنه لما كان

---

[1] -ينظر: السراج المنير جـ١ص٣٩ .

[2] -المرجع السابق ذاته.

[3] -المقصود الأبنية المجردة ؛ مثل سَفَرْجَل.

[4] - ينظر: السراج المنير جـ١ ص٣٩.

الغرض هو التنبيه والمبادىء كلها فى تأدية هذا الغرض ســواء لا مفاضــلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطاً كما إذا سمى الرجل بعض أولاده زيــدًا والآخر عمراً ــ لم يقل له: لم خصصت ولدك هذا بزيــد وذاك بعمــرو؟ لأن الغرض هو التمييز، وهو حاصل بذلك "

المسألة الرابعة:

تتعلق بإعرابها ؛ إذ يعرض الآراء فى إعرابها ؛ فيقول[1]: " فإن قيــل: هل لهذه الفواتح محل من الإعراب؟ أجيب: بأن لها محلاً عنــد مــن جعلهــا أسماء؛ لأنها عنده كسائر الأعلام محلها يحتمل ثلاثة أوجه: إمّا الرفع بأنهــا مبتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف ؛ أى: هذه ألم، أو النصب بفعل مقدّر؛ كــاذكر ، أو اقرأ، أو اتل الم، أو الجرّ بتقدير حذف حرف القسم "

واختار الخطيب الشربينى رأى ابن عادل فى حكمة عدم العلم بفائــدتها؛ فعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿يس﴾[2] يقول[3]: " قال ابن عــادل [4][5] : فى ذكر هذه الحروف أوائل السور أمور تدل على أنهــا غيــر خاليــة مــن الحكمة، لكن علم الإنسان لا يصل إليها، والذى يدل على أنها فيها حكمة هــو

---

[1] –ينظر السراج المنير : جــ ١ ص ٣٩.

[2] – سورة يس: آية ١.

[3] – السراج المنير: جــ٦ ص٩٠ ،٩١ باختصار.

[4] –هو عمر بن على بن عادل الدمشقىّ ، سراج الدين: مــن علمــاء القــرن التاســع الهجرى برع فى علوم كثيرة أهمها التفسير ، صاحب التفسير الكبير اللباب فى علــوم الكتاب وحاشية على المحرر فى الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، لم تحفظ كتب الأعلام تاريخ وفاته ولا مولده ، وقيل أنه توفى بعد سنة ٨٨٠ هــ ؛لأنه كتب فى آخر سورة طه أنه فرغ من تفسيرهافى ١٥ رمضان ٨٨٠ هــ ؛ ينظر: معجــم المفــسرين لعادل نويهض جــ١ ص٣٩٨ .

[5] – ينظر: تفسير اللباب فى علوم الكتاب لابن عــادل ــ ط .دار صــادر بيــروت ، الأولى، جــ١٢ ص١٦٦،١٦٥ .

أن الله ــ عز وجل ــ ذكر من الحروف نصفها وهى أربعة عــشر حرفًــا ، نصف ثمانية وعشرين حرفًا هى جميع الحروف التى فى لسان العرب ؛ على قولنا: الهمزة ألف متحركة ، ثم إن الله ــ تعالى ــ قــسم الحــروف ثلاثــة أقسام؛ تسعة أحرف من الألف إلى الذال، والتسعة الأخيرة مــن الفــاء إلــى الياء، وعشرة فى الوسط من الراء إلى الغين، وذكر من القسم الأول حــرفين الألف والحاء، وترك سبعة، وترك من القسم الأخير حــرفين همــا الألــف واللام، وذكر سبعة، و لم يترك من القسم الأول من حروف الحلق والــصدر إلا واحدًا لم يذكره وهو الخاء، ولم يذكر من القسم الأخير من حروف الــشفة إلا واحدًا لم يتركه وهو الميم ، والعشر الأوسط ذكر منه حرفًا وترك حرفًا ؛ فترك الزاى وذكر الراء، وذكر السين وترك الشين ، وذكر الــصاد وتــرك الضاد، وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين وترك الغين، وليس لها أمر يقع اتفاقًا بل هو ترتيب مقصود فهو لحكمة لكنها غير معلومة ....

فكذلك فى العبادات اللسانية الذكرية يجب أن يكون ما لم يفهم معناه إذا تكلم به العبد ــعلم أنه لا يعقل غير الانقياد لأمر المعبود الإلهى ؛ فإذا قــال: حم طس ، يس ــ علم أنه لا يذكر ذلك لمعنى يفهمه، بل يتلفظ به امتثالاً لما أمر به، انتهى كلام ابن عادل بحروفه، وهو كلام دقيق "

هذا هو منهج الخطيب الشربينى فى تفسير الأحرف المقطعة فى أوائل السور؛ فقد تناولها بالتفصيل عند تفسيره لسورة البقرة وذكــر آراء العلمــاء فيها، وأحال على سورة البقرة عند تفسيره لباقى السور المفتتحــة بــالأحرف مع تفصيل ما يحتاج إلى إضافة ، مستندًا فى كل ذلك إلى آراء العلماء ممــن سبقوه.

منهجه في بيان المناسبات بين السور والآيات

من أهم العلوم التي اشتغل بها المفسرون البحث عن المناسبات بين آيات القرآن وسوره، والتماس العلاقات التي توضح حسن تناسقه ووحدة بنائه.

" يقول الرازي: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، وقال ابن العربي: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كله كالكلمة الواحدة منسقة المعاني، منتظمة المباني ــ علم عظيم" [١]

" وقد اشترط الذهبي في المنهج الذي يجب على المفسر أن ينهجه في تفسيره، مراعاة التناسب بين الآيات والسور، فيبين وجه المناسبة ، ويربط بين السابق واللاحق من الآيات، حتى يوضح أن القرآن لا تفكك فيه، وإنما هو آيات متناسبة يأخذ بعضها بحُجُز بعض ، وأن يراعي التأليف والغرض الذي سيق له الكلام والمؤاخاة بين المفردات" [٢]

آراء العلماء في الاشتغال ببيانها وأهميته:

اختلفت آراء العلماء في مسألة مناسبات القرآن ؛ فقد ترك جمهور المفسرين الكلام على أسرار المناسبات والربط بين الآيات وخاصة من اعتمد منهم في تفسيره على النقل عن الصحابة والتابعين ؛ لأن السلف اقتصروا على النقل بالسَّنَد، ولم ينقل عنهم شيء من هذا العلم.

فنجدهم يُعْنَوْن بإظهار المعنى دون تعرض لعلل أو مناسبة السور والآيات بعضها ببعض، وبعض المفسرين عارضوا الاشتغال بهذا العلم في التفسير واعتبروه تكلفاً.

---

[1] – يراجع: الإتقان للسيوطي جـ٢ ص٢٣٤ ، والبرهان للزركشي جـ١ ص٣٥.

[2] – التفسير: والمفسرون للذهبي جـ١ ص٢٨٦ بتصرف.

ومن أبرز العلماء الذين عارضوا البحث في المناسبات وأعلنــوا رأيهــم بوضوح الشيخ عزالدين بن عبد السلام[1] الذى قال : " المناسبة علم حـــسن، لكن يشترط فى حسن ارتباط الكلام أن يقع فى أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلــف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فـضلا عــن أحسنه؛ فإن القرآن نزل فى نيف وعشرين سنة فى أحكام مختلفــة شــرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض "

وقد ردّ بعض الشيوخ المحققين فقالوا :

قد وهم مَن قال: لا يطلب للآى الكريمة مناسبة لأنها على حسب الحكمــة ترتيبًا، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما فــى الكتــاب المكنــون، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف. وحافظ القرآن العظيم لو استفتى فى أحكام متعددة ، أو ناظر فيها، أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتْلُ كما أفتى، ولا كما نزل مفرّقًا؛ بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البيّن أسلوبه ونظمه الباهر؛ فإنه ﴿ **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾[2]. قال: والذى ينبغى فى كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة. ثــم المــستقلة؛ مــا وجــه مناسبتها لما قبلها؟ ففى ذلك علم جم؛ وهكــذا فــى الــسور يطلــب وجــه اتصالهابماقبلهاوماسيقت له" [3].

---

[1] –هوعبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن بن محمد بن المهــذب عــز الدين، أبو محمد السُّلَمِيّ الشافعيّ الملقب بسلطان العلماء،ولد سنة ٥٧٧هـــــ،برع فــى العربية ، وبلغ رتبة الاجتهاد،كان زاهداً ناسكًا متقشفًا،من كتبه تفسير القرآن ،ومختصر مسلم، والفتاوى المجموعة ، والإمام فى أدلة الأحكام،توفى سنة ٦٦٠ هـــــ،ينظر،طبقات المفسرين للداودى جـــ١ ص٣٢٣:٣٠٨.

[2] – سورة هود : آية ١.

[3] – ينظر: البرهان فى علوم القرآن للزركشى جـــ ١ ص٣٧.

وقد اهتم عدد قليل من المفسرين بالبحث عن المناسبات وأسرارهافى تفسيرهم القرآن الكريم.

ومنهم من أفرد لها تصنيفًا كالعلامة أبى جعفر بن الزبير[1] شيخ أبى حيان الذى جمع كتابًا سمّاه "البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن"، ونهج نهجه السيوطى [2]الذى أفرّد لها تصنيفًا سماه (تناسق الدرر فى تناسب السور) ، والشيخ برهان الدين البقاعى فى كتاب سماه (نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور).

ومن المفسرين من بذل جهده فى إبراز تلك المناسبات من خلال تفسيره للقرآن، فاشتهر الرازى بذكر كثير من المناسبات فى تفسيره، وكذلك أكثر أبوحيان من ذكر المناسبات بين آيات القرآن الكريم وسوره فى تفسيره البحر المحيط ، ولعله فى هذا تأثر بشيخه (أبى جعفر بن الزبير)؛ فقد نقل عنه كثيرًا من المناسبات، واهتم الإمام النيسابورى [3]فى تفسيره (غرائب

---

[1] – هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفىّ العاصمىّ الجيانىّ المولد الغرناطىّ المنشأ،أبو جعفر، كان محدثًا جليلًا ماهرًا ، نحوياً فصيحًا مفوّهًا مُحسن الخط، مقرئًا ، مفسرًا ، مؤرخًا، من كتبه البرهان فى ترتيب سور القرآن ، وشرح الإشارة للباجى فى الأصول ، وسبيل الرشاد فى فضل الجهاد ، ولد سنة ٦٢٧ هـ ومات سنة ٧٠٨ هـ ، ينظر طبقات المفسرين للداودى جـ١ ص٢٦،٢٧ .

[2] – هو عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين بن عثمان الخضيرى السيوطى، جلال الدين ، إمام ، حافظ ، مؤرخ ، محدث ، مفسر ، أديب ، له نحو ٦٠٠ مصنف منها الإتقان فى علوم القرآن ، والدر المنثور فى التفسير بالمأثور، والنقول فى أسباب النزول ، ولد سنة٨٤٩ هـ وتوفى سنة ٩١١ هـ ، ينظرمعجم المفسرين لعادل نويهض جـ١ ص٢٦٤ .

[3] –هو الحسن بن محمد بن الحسين القمىّ النيسابورىّ نظام الدين ، ويقال له الأعرج، مفسر، من كبار علماء الشيعة الإمامية فى عصره ، أصله من مدينة "قم" ونشأ وأقام=

القرآن ورغائب الفرقان) وهو أول من أظهر علم المناسبات في بغداد ، وكان إذا قرئت عليه الآية يقول: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة من جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة، واعتنى الشيخ المهايمّى ببيان المناسبات فى تفسيره " تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن".

والخطيب الشربينى اهتم ببيان المناسبات؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ عنايه الفائقة بإبراز المناسبات، وحرصه على إبراز الوحدة بين أجزاء القرآن الكريم ككتاب سماوى. فعادته الربط بين الآية والآية، بل بين أجزاء الآية الواحدة ببيان العلل والأسباب والمقاصد والحكم، فهى سمة غالبة على ربطه بين أجزاء الآية والسورة ، ويتضح ذلك من اتجاهاته التى استخلصتُها من كتابه "السراج المنير" والتى أعرضها فيما يلى بالأمثلة:

١. بيان المناسبات بين فواتح السور وخواتيمها.

٢. بيان المناسبات بين الآيات.

٣. بيان مناسيات الكلمات داخل الآية الواحدة.

٤. بيان مناسبة مطلع السورة لخاتمتها.

١- <u>بيان المناسبات بين فواتح السور وخواتيمها:</u>

عنى الخطيب الشربينى ببيان ما ينعقد من المناسبات بين سور القرآن، وإظهار العلاقة الوثيقة بين كل سورة وأخرى حتى تبدو للمتأمل وكأن القرآن

=فى نيسابور ، من كتبه: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ولب التأويل ، وأوقاف القرآن ، توفى بعد سنة ٨٥٠هـ ؛ ينظر: معجم المفسرين لعادل نويهض جـ١ ص١٤٥.

وحدة متكاملة ، فنجده قد عنى ببيان مناسبة فاتحة السورة بخاتمة ما قبلها أو خاتمة السورة بفاتحة ما بعدها، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية:

● فعند تفسيره لسورة الأنبياء يبين مناسبة خاتمتها لفاتحة سورة الحج فيقول[1]: "ولما ختمت السورة التى قبل هذه بالترهيب من الفزع الأكبر وطيّ السماء وإتيان ما يوعدون ، وكان أعظم ذلك يوم الدين افتتحت هذه السورة بالأمر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم بقوله ـ تعالى ـ :﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ﴾[2] ".

● ويقول عن مناسبة فاتحة سورة سبأ لخاتمة الأحزاب قبلها[3]:"ولما ختم السورة التى قبل هذه بصفتى المغفرة والرحمة بدأ هذه بقوله: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾[4]".

● وعن مناسبة خاتمتها لفاتحة سورة فاطر بعدها يقول[5]: " ولما أثبت سبحانه فى التى قبلها "الحشر" الذى هو الإيجاد الثانى، وكان الحمد يكون بالمنع والإعدام كما يكون بالإعطاء والإنعام قال تعالى ما هو نتيجة ذلك: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[6].

---

1 – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص ٢٧٤.

2 – سورة الحج : آية ١.

3 – ينظر: السراج المنير جـ٦ ص٥.

4 – سورة سبأ : آية ١.

5 – ينظر: السراج المنير جـ٦ ص٥٢ .

6 – سورة فاطر : آية ١.

● ويبين علاقة فاتحة سورة الواقعة بخاتمة سورة الرحمن قبلها فيقول[1]: "ولما قسّم سبحانه الناس فى تلك السورة إلى ثلاثة أصناف: مجرمين ، وسابقين، ولاحقين ؛ شرح أحوالهم فى هذه السورة ، وبيّن الوقت الذى يظهر فيه إكرامه وانتقامه بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ**﴾[2]".

● ثم يبين مناسبة خاتمتها لفاتحة سورة الحديد بعدها فيقول[3]:" ولما ختمت الواقعة بالأمر بتنزيهه عما أنكره الكفرة من البعث جاءت هذه لتقرير ذلك التنزيه فقال تعالى: ﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[4] ".

● وأيضًا يبين مناسبة فاتحة سورة الحشر لخاتمة سورة المجادلة قبلها فيقول[5]:" ولما ختمت المجادلة بأنه يعز أهل طاعته ويذل أهل معصيته تنزه عن النقائص تأييدًا للوعد بنصرهم فقال تعالى:﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[6] ".

● وأيضًا يبيّن مناسبة فاتحة سورة القارعة لخاتمة سورة العاديات قبلها فيقول[7]: "ولما ختم العاديات بالبعث ذكر صيحته بقوله ـ تعالى ـ:﴿**الْقَارِعَةُ**﴾[8]".

---

1 – ينظر: السراج المنير جـ٧ ص٢٧١.

2 – سورة الواقعة : آية ١.

3 – ينظر: السراج المنير جـ٧ ص٣٠٥.

4 - سورة الحديد : آية ١.

5 – ينظر: السراج المنير جـ٧ ص٣٥٨.

6 – سورة الحشر : آية ١.

7 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص ٢١٤.

8 – سورة القارعة : آية ١.

٢ – بيان المناسبات بين الآيات:

حرص الخطيب الشربيني في تفسيره على بيان المناسبات بين الآيات على الترتيب في السور القرآنية ؛ فلا يكاد يترك آية إلا و يبين وجه مجيئها بعد أختها حتى يبرز السورة القرآنية وكأنها عقد أحكم وصل حباته ببعضها لتصيرفي النهاية وحدة متكاملة، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية:

● عند انتهائه من تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ** ﴾[1] يقول[2]: " ولما كان في تلك الحالة مع وصوله إلى الغرغرة ليس على القطع من اليأس قال:﴿ **لَعَلِّي أَعْمَلُ** ﴾[3]" ثم يشرع في تفسير الآية بعد أن بيّن مناسبتها لما قبلها .

● وأيضا بعد تفسيره لقوله ــ تعالى ــ﴿ **قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾[4] يربطها بالآية بعدها فيقول[5]: " ولما تقرر دليل البعث بما لا خفاء فيه ولا لبس شرع في بعض أحواله بقوله تعالى:﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ** ﴾[6]".

● وكذلك يبيّن المناسبة بين قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** ﴾[7] والآية التالية لها ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ**

---

[1] – سورة المؤمنون : آية ٩٩.

[2] – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص٣٥٩

[3] – سورة المؤمنون : جزء من آية١٠٠.

[4] – سورة السجدة : آية ١١.

[5] – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص٢٩٧.

[6] – سورة السجدة : آية ١٢.

[7] – سورة محمد : آية ١.

وأصلح بالهم﴾[1] فقال[2]: " ولما ذكر ـ تعالى ـ أهل الكفر معبرًا عنهم بأدنى طبقاتهم ليشمل من فوقهم، ذكر أضدادهم كذلك ليعم من كان منهم من جميع الفرق بقوله تعالى ﴿والذين آمنوا...﴾".

هذا هو منهج الخطيب الشربيني فى تفسيره يحرص على بيان المناسبة بين الآيات على الترتيب فى السورة القرآنية، ولأن المجال لا يتسع لعرض سورة كاملة ليتضح كيف حرصه على بيان مناسبة كل آية قبل أختها فقد اخترت سورة النصر لتوضيح ربطه بين آياتها؛ فعند انتهائه من تفسير الآية الأولى ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾[3] يبين مناسبة الآية الثانية فيقول[4]: "ولما عبّر عن المعنى بالمجيء ، وعبّر عن المرئي بالرؤية فقال ـ تعالى ـ: ﴿ ورأيت﴾ [5]" ثم يربط الآيتين بالثالثة ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾[6] فيقول[7]: " ولما كمل الدين أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يشتغل بنفسه فقال عز من قائل ﴿ فسبح ﴾".

بيان مناسبة الكلمات داخل السورة الواحدة:

القارئ لتفسير الخطيب الشربيني يلحظ عنايته ببيان مناسبة الكلمات وعلاقتها ببعضها داخل الآية الواحدة ؛ فهو يوضح السر فى مجيء الكلمة على النحو الذى أتت به ، ويبيّن أنها لو لم تكن هكذا لما أفادت هذا المعنى،

---

1 – سورة محمد : آية ٢.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٧ص٣٥.

3 – سورة النصر : آية ١.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٤٥١.

5 – سورة النصر : جزء من آية ٢.

6 – سورة النصر : آية ٣.

7 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٤٥٣.

أو لمَ أتى بها هكذا، أو ينتهي إلى أن نفاسة المعنى اقتضت مجيئها على هـذا النحو، ويتضح ذلك من خلال النماذج الآتية:

● فعندما ينتهي من تفسير الآيتين الكريمتين ﴿ **أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ** ﴾[1] و ﴿ **أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ** ﴾[2] يقول[3]: " فإن قيل: لمَ عبّر في هذه الآية بـ " لا يعلمون" وفي التي قبلهابـ"لا يشعرون" ؟ أجيب بأن التعبير بـ "لا يعلمون" أكثر مطابقة لـذكر السفه ؛ لأن السفه جهل فطابقه العلم ، ولأن أمر الإيمان أُخْرويٌّ يحتاج إلى دقة نظر؛ فعبّر في الآية التي اشتملت عليه بـ "لا يعلمون" ، وأمر البغي والفساد دنيوي فهو كالمحسوس لا يحتاج إلى دقة نظر؛ فعبّر في الآية التي اشتملت عليه بـ"لا يشعرون" ".

● وعند تفسيره للآية الكريمة ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴾[4] بعد انتهائه من تفسير قوله ــ تعالى ــ:﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ** ﴾ يبيّن مناسبة ما بعدها﴿ **مِنَ السَّمَاء**﴾ فيقول[5]: "ولما كان المقصود للقرب إنما هو تدبير ما يمكن مشاهدتهم له من العالم قال تعالى ﴿ **مِنَ السَّمَاء** ﴾ ".

● وأيضًا عند تفسيره قوله تعالى: ﴿**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[6]يقول[7]: " ولما كان التقدير فمنه يبدءون عطف عليه

---

1 – سورة البقرة : آية ١٢.

2 – سورة البقرة : جزء من آية ١٣.

3 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٥٢.

4 – سورة السجدة : آية ٥.

5 – ينظر: السراج المنير جـ٥، ص٢٩١.

6 – سورة يس : آية ٨٣.

7 – ينظر: السراج المنير جـ٦ ، ص١٣٨.

قوله تعالى ﴿ وَإِلَيْهِ ﴾ أى: لا إلى غيره ﴿تُرْجَعُونَ﴾ أى: معنىً فـــى جميـــع أموركم وحسًا بالبعث لينصف بينكم فيدخل بعضًا النار وبعضًا الجنة ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَــوَى ﴾[1] يقــول[2]: قال الرازى[3]: " والفائدة فى تقييد القَسَم به فى وقت هُوِيّه أنه إذا كــان فـــى وسط السماء يكون بعيدًا عن الأرض لا يهتدى به السارى ؛ لأنه لا يعلم بـــه المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال، فإذا نزل عن وســط الــسماء تبيّن بنزوله جانب المغرب عن المشرق والجنوب عن الشمال ".

● وعند انتهائه من تفسير سورة النصر يتناول بعض كلماتها مبيناً سر مجيئها على هذا النحو فيقول[4]:" تنبيه: فى الآية سؤالات : أحدها: أن قولــه تعالى: ﴿ كَانَ تَوَّابًا ﴾ يدل على الماضى وحاجتنا إلى قبوله فـــى المــستقبل. ثانيها: هلا قال غفارًا كما قال فى سورة نوح عليه السلام. ثالثهــا: أنه قــال تعــالى ﴿ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ وقــال تعــالى: ﴿ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ وقــال تعـــالى ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ ولم يقل بحمد الله؟".

أجيب عن الأول بوجوه:

أحدها :أنّ هذا أبــلغ ؛ كأنه يــقول إنـــى تبــت على من هو أقبـــح فعــلاً منكم كاليــهود ؛ فإنـــهم بعــد ظهور المعجزات العظيـــمة كفلــق البحر ونَتْق الجبــل ونزول المَنّ والسلــوى ؛ عصوا ربـــهم وأتَــواْ بالقبائح، ولما تابوا قُبلت توبتهم ؛ فإذا كنتُ قابلاً لتوبـــة أولئك وهــم دونكم ؛ أفلا أقبل توبتكم وأنتم خير أمة أخرجت للناس ؟!

---

1 – سورة النجم : آية ١.

2 – ينظر : السراج المنير جــ٧ ، ١٨٦.

3 – ينظر :التفسير الكبير للرازى جـــ٢٨ ، ص٢٣٨.

4 – ينظر : السراج المنير جــ٨ ، ص ٤٥٥ ، ٤٥٦.

ثانيها : إني شرعت في توبة العصاة ، والشروع ملزم على قول النعمان فكيف في كرم الرحمن.

ثالثها : كنت توابًا قبل أمركم بالاستغفار، أفلا أقبل وقد أمرتكم ؟!

رابعها: كأنه أشار إلى تخفيف جنايتهم، أي: لستم أوّل من جنى وتاب، والمعصية إذا عمّت خفّت.

خامسها: كأنه نظير ما يقال : لقد أحسن الله إليك فيما مضى كذلك يحسن إليك فيما بقي.

وأجيب عن الثاني بوجهين:

أحدهما : لعله خص هذه الأمة بزيادة الشرف ؛ لأنه لا يقال في صفات العبد: غفار، ويقال: توّاب إذا كان آتيًا بالتوبة فيقول تعالى: كنت لي سَمِيًا من أول الأمر أنت مؤمن وأنا مؤمن، وإن كان المعنى: مختلفًا فتُبْ حتى تصير سميًا في آخر الأمر، وأنت تواب وأنا تواب. ثم التواب في حق الله تعالى أنه يقبل التوبة كثيرا، فيجب على العبد أن يكون إتيانه بالتوبة كثيرًا.

وثانيهما: أنه تعالى إنما قال "توابًا" لأن القائل قد يقول أستغفر الله وليس بتائب ؛ كقوله ﷺ : (المستغفر بلسانه المصر بقلبه كالمستهزىء بربه) [1]فإن قيل : قد يقول أتوب وليس بتائب ؟ أجيب: بأن ذا يكون كاذبًا ؛ لأن التوبة اسم للرجوع والندم،

---

[1] -أخرجه البيهقي في شعب الإيمان باب معالجة كل ذنب بالتوبة جـ٥ص٤٣٦ ح٧١٧٨، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب كتاب التوبة والزهد باب التائب من الذنب كمن لا ذنب له جـ٤ ص٩٧ بلفظ" والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه" ، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها في الأمة ، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني ، ط. المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ دمشق الرابعة ١٣٩٨هـ جـ٢ ص٨٣ ح٦١٦ وقال : ضعيف رواه البيهقي في شعب الإيمان.

بخلاف الاستغفار فإنه لا يكون كاذبًا فيه فصار تقدير الكلام: واستغفره بالتوبة، وفيه تنبيه على أن"خواتيم الأعمال يجب أن تكون بالتوبة والاستغفار فكذا خواتيم الأعمار"

وأجيب عن الثالث:

بأنه تعالى راعى العدل فذكر اسم الذات مرتين ، وذكر اسم الفعل مرتين أحداهما : الرب ، والثانية : التواب ، ولما كانت التربية تحصل أولا والتوبة آخرًا، لا جرم ذكر اسم الرب أولاً واسم التوبة آخرًا.

٦- <u>بيان مناسبة مطلع السورة لخاتمتها :</u>

اهتم الخطيب الشربيني ببيان الترابط بين أوائل السور وخواتيمها، مما يبرز؛ وحدة كل سورة في بنائها؛ فنجده عند انتهائه من تفسيره السورة يربط خاتمتها بفاتحتها ويبيّن وجه الترابط بينهما، وهذه بعض الأمثلة التي ذكرها في تفسيره:

● عند انتهائه من تفسير سورة الفاتحة يقول[1]: " فائدة: أول السورة مشتمل على الحمد لله والثناء عليه والمدح له ، وآخرها مشتمل على الذمّ للمعرضين عن الإيمان به والإقرار بطاعته ، وذلك يدل على أن مطلع الخيرات وعنوان السعادات هو الإقبال على الله ، ومطلع الآفات ورأس المخالفات هو الإعراض عن الله ــ تعالى ــ والبعد عن طاعته والاجتناب عن خدمته".

---

1 – ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٣٦ .

● وكذلك عند تفسيره لآخر سورة الحج يقول[1]:" ﴿ فَنِعْمَ الْمَوْلَى ﴾[2] أى: هو ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[3] أى: الناصر لكم ؛ لأنه تعالى إذا تولى أحدًا كفاه كل ما أهمَّه ، وإذا نصر أحدًا أعلاه على كل من خاصمه (ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته) [4]"الحديث" إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، وهذا نتيجة التقوى، وما قبله من أفعال الطاعة دليلها، فقد انطبق آخر السورة على أولها وردّ مقطعها على مطلعها".

● وفى مناسبة خاتمة سورة لقمان لفاتحتها يقول[5]:" فقد انطبق آخر السورة بإثبات العلم والخبر مع تقرير أمر الساعة التى هى مفتاح الدار الآخرة على أوّلها المخبر بحكمة صفته التى مَن علِمَها حَقَّ علمها وتخلّق بما دعت إليه وحَضّتْ عليه، لا سيما الإيقان بالآخرة ــ كان حكيمًا، فسبحان مَن هذا كلامه، وتعالى كبرياؤه ، وعز مرامه ".

● وفى مناسبة خاتمة سورة الرحمن لفاتحتها يقول[6] :"﴿ ذِي الْجَلَالِ﴾ أى: العظمة الباهرة ﴿ وَالْإِكْرَامِ ﴾ قال القرطبى[7]:" كأنه يريد به الاسم الذى افتتح به السورة، فقال: ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الانسان والجن ، وخلق السموات والأرض وصنعه؛ وأنه تعالى كل

---

[1] -ينظر: السراج المنير جـ٤ ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

[2] – سورة الحج : جزء من آية ٧٨.

[3] – سورة الحج : جزء من آية ٧٨.

[4] -أخرجه البخارى فى ــ كتاب : الرقاق ، باب : التواضع ح ٦٥٠٢ ؛ ينظر: فتح البارىجـ١٧ ص ٣١٧ ــ٣٢٤ .

[5] – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص٢٨٨.

[6] – ينظر: السراج المنير جـ٧ ص٢٧٠.

[7] -ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ١٧ ص٨٦.

يوم فى شأن، ووصف تدبيره منهم؛ ثم وصف يوم القيامة، وأهوالها، وصفة النار، ثم ختمها بصفة الجنان ".

ثم قال فى آخر الصفة ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[١] :" أى: هذا الاسم الذى افتتح به هذه السورة، كأنه يعلمهم أن هذا كله خرج لكم من رحمتى، فمن رحمتى خلقتكم، وخلقت لكم السماء والأرض والخليقة والجنة والنار، فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه فقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أى: جليل فى ذاته كريم فى أفعاله".

● وفى مناسبة خاتمة سورة المرسلات لفاتحتها يقول الخطيب الشربينى[٢]: "قال الرازى[٣]: إنه ــ تعالى ــ لما بالغ فى زجر الكفار من أول هذه السورة إلى آخرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبيّن أنهم إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل القطعية من تجليها ووضوحها ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾[٤] أى: القرآن ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾[٥] أى: لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله تعالى بعد تكذيبهم به لاشتمالهم على الإعجاز الذى لم يشتمل عليه غيره"

وهكذا تظهر عنايةُ الخطيب الشربينى ببيان المناسبات بين السور والآيات، وبين الكلمات داخل الآية الواحدة ، و بين خواتيم السور وفواتحها، ولعل هذا يوضح لنا أنه كان يقوم بفهم كامل لمضمون السورة ؛ فيحلل إيراده لمناسبة الآيات داخلها ، ثم يحّلل ويبرهن ويَخلُص إلى النتيجة وهى

---

[1] – سورة الرحمن : آية ٧٨.

[2] – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص ٢٣٠.

[3] – ينظر: مفاتيح الغيب للرازى جـ٣٠ ص٢٥٠، وقد نقل الخطيب الشربينى قوله بتصرف.

[4] – سورة المرسلات : جزء من آية ٥٠.

[5] – سورة المرسلات : جزء من آية ٥٠.

مناسبة كل آية لما قبلها، وهذه عملية ليست يسيرة ولا يدركها إلا من حباه الله عقلا راجحًا وأفقًا واسعًا وقوة بصيرة.

عنايته بالقراءات

عُنى علماء التفسير بالقراءات عناية كبيرة ؛ فقلما يخلو منها تفسير من تفاسيرهم أو كتاب من كتبهم التى تعنى ببيان المعانى المختلفة والأغراض المتعددة للآيات القرآنية، فنجدهم يستشهدون على المعانى التى يذهبون إليها بالقراءات ، المتواترة وغير المتواترة ، الصحيحة[1] والشاذة[2].

فقد عُنى العلماء بتوجيه القراءات وإيضاح وجه ما ذهب إليه كل قارئ، وأفردوا فيها كتبًا منها كتاب "الحجة" لأبى على الفارسى [3]،وكتاب "الكشف عن وجوه القراءات وعللها" لمكيّ ، وكتاب" الهداية "لأبى العباس [4]أحمد بن عماد المهدى ، كما صنّفوا فى توجيه القراءات الشاذة.

---

1 –القراءة الصحيحة :هى كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها ؛ ينظر: النشر فى القراءات العشر للإمام الحافظ أبى الخير محمد بن محمد الدمشقى الشهير بابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ،خرّج آياته : الشيخ زكريا عميران ، ط. دارالكتب العلمية بيروت ــ لبنان ١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٨م ، الأولى ص١٥ .

2 –القراءة الشاذة : هى ما اختل ركن من أركانها الثلاثة السابقة ؛ ينظر: المرجع السابق ص١٥.

3 –هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسى الأصل، أبوعلى: من أئمة النحو ، من كتبه الإيضاح فى قواعد العربية ، والتتبع لكلام أبى على الجبائى فى التفسير ؛ ينظر: معجم المفسرين لعادل نويهض جـ١ ص١٣٥ .

4 –هو أحمد بن إبراهيم بن الفرج بن أحمد بن سابور بن على بن غنيمة عز الدين أبو العباس بن الإمام محيّ الدين الفاروثيّ الواسطيّ ، المقرئ ،المفسر، الشافعيّ ، الخطيب الصوفيّ ، ولد ٦١٤هـ ، وكان فقيهًا، عالمًا بالقراءات ووجوهها ، بصيرًا بالعربية ،عالمًا بالتفسير ، خيّرًا صاحب أوراد وتهجد ومُروة وفتوة ، وكان له أصحاب

واشترط العلماء في المفسر الذي يريد أن يفسر القرآن برأيه ولا يلتـــزم بالوقوف عند حدود المأثور منه فقط أن يكون ملمًّا بجملة من العلوم بمثابـــة أدوات تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ وتحميه من القول على الله بـــدون علم ، من أهمها علم القراءات ؛ إذ بمعرفة القراءة يمكـــن تـــرجيح بعـــض الوجوه المحتملة على بعض ، فالقراءات تعين المفسر على معرفـــة حقـــائق القرآن وجلال المعاني وجزالتها ، وتطلعه على بعض أسراره ووقائعه.

وتنقسم القراءات الواردة في ألفاظ القرآن الكريم إلى قسمين:

الأول: اختلاف القراءات في وجوه النطق بحروفها وحركاتهـــا كمقـــادير المد والإمالات والتخفيف والتـــسهيل[2] والتحقيـــق[3] والجهـــر والهمـــس[4] والغنة[5]، ومزية القراءات من هذه الجهة عائدة إلى أنها حفظت علـــى أبنـــاء

مريدون انتفعوا بصحبته في دينهم ودنياهم ، مات ٦٩٤ هـــ ؛ ينظر: طبقات المفـــسرين للداوودي جـــ١ ص٢٧ ـــ٢٩ .

2 –هو مطلق التغيير ، وينقسم إلى التسهيل بين بين والبدل والنقل ؛ ينظـــر : ســـراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي للإمام أبي القاسم علي بن عثمان بـــن الحـــسن القاصح العذري البغدادي وهو شرح حرز الأماني ووجه التهاني لأبي محمد بـــن أبـــي القاسم بن أحمد الرعيني الأندلسي الشاطبي ، ط.دار الفكر ـــ بيروت ١٤٢٢هـــ ٢٠٠٢م ص٣٨ـــ٥٦.

3 –هو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وإتمام الحركات وغيرها من تقويم الألفاظ وإقامة القراءة بغاية الترتيل ؛ ينظر: النشر في القراءات العـــشر لابـــن الجـــزري ، ص١٦٣ .

4 – هو الصوت الخفي ، فإذا جرى مع الحرف النفس لضعف الإعتمـــاد عليـــه كـــان مهموساً، والجهر ضد الهمس ؛ فإذا منع الحرف النفس أن يجري معه حتـــى ينقـــضي الاعتماد كان مجهوراً ؛ ينظر: النشر في القراءات العشر ص١٦١ .

5 – هي صوت يخرج من الخيشوم لا عمل للسان فيه ومحلها التنوين والنـــون والمـــيم بشرط سكونهن ، وهما في النون أقوى وأبين ؛ ينظر:سراج القارئ المبتدئ ص١٩٣ .

العربية لغتهم ؛ لأنها حفظت كيفية نطق العرب بالحروف في مخارجها وصفاتها، وبيان اختلاف العرب في النطق بتلقي ذلك عن قراء القرآن من الصحابة بالأسانيد الصحيحة. والقراءات من هذه الجهة ليس لها علاقة بالتفسير؛ لعدم تأثيرها في اختلاف معاني الآي ، وإنما تعلقها بالأداء الصوتي.

والثاني: "اختلاف القراءات في حروف الكلمات مثل "مالك يوم الدين" و "ملك يوم الدين" و " ننشرها" و "ننشزها" وكذلك اختلاف حركاتها كقوله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ بضم الصاد ، وقرئ بكسرها وهي من هذه الجهة لها مزيد تعلق بالتفسير؛ لأن هذا الاختلاف يبين دلالة إحدى القراءتين على غير المدلول من القراءة الأخرى أو يثير معنى جديدًا"[1].

والخطيب الشربيني من المفسرين الذين أَوْلَوْا القراءات عناية فائقة في تفاسيرهم ؛ فلا يكاد يترك آية إلا و يذكر القراءات السبع المتواترة فيها ؛ مما جعل تفسيره وافيًا لكل باحث في القراءات السبع المتواترة.

فالمطالع لتفسيره يجده ملمًّا إلمامًا ملموسًا بالقراءات ، يستوفي القراءات عند عرضها من الجهتين : جهة الأداء الصوتي، وجهة دلالتها على المعنى.

وعرْضُه للقراءات يأخذ عدة اتجاهات أهمها:

١-لا يلتزم بعَزْو كل قراءة إلى قائلها.

٢-التزم بما اشترطه على نفسه.

٣-يبين المعاني التي تختلف باختلاف القراءات.

---

[1] – تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع تونس، المجلد الأول ص٥١ ــ ٦٠ بتصرف.

٤-يذكر القراءات ولا يوجهها.

٥-يذكر القراءات ويبين اللغات التى ترجع إليها.

٦-يبيّن الأداء الصوتى للقراءات.

١- لا يلتزم بعزو كل قراءة إلى قائلها:

المتتبع لعرض الخطيب الشربينى القراءات فى تفسيره يجده لا يلتزم بعزوها إلى قائليها ؛ فأحيانا يعزوها وأخرى لا يعزوها ؛ فهو يكتفى بما اشترطه على نفسه فى مقدمة تفسيره وخاتمته من أنه لا يذكر فيه إلا السبع المشهورات.

● فعند انتهائه من تفسير قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ**﴾[1] يقول[2]: "تنبيه: اتفق القرّاء على قراءة يقبل هنا بالياء على التذكير".

فالخطيب الشربينى هنا يقصد بالقرّاء، من هم على شرطه ؛ أى القرّاء السبعة[3].

---

1 - سورة البقرة : آية ١٢٣.

2 - ينظر : السراج المنير جــ١ص١٤٣.

3 -هم: ابن عامر(عبد الله اليحصبىّ)وابن كثير(عبد الله بن كثير الدارىّ)وعاصم (أبوعاصم بن أبى النجود الأسدىّ)وأبوعمرو(زبّان بن العلاء عمار البصرىّ)وحمزة(حمزة ابن الزيات الكوفىّ)ونافع(نافع بن عبدالرحمن بن أبى نعيم المدنىّ)والكسائىّ(على بن حمزة الكسائىّ) ؛ ينظر : شرح طيبة النشرفى القراءات العشر للإمام شهاب الدين أبى بكر أحمد بن محمد بن محمد ابن الجزرى الدمشقى المتوفى نحو سنة ٨٣٥ هــ، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة ن ط.دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ١٤١٨ هــ ــ١٩٩٧ م الأولى ص٨ ــ ١٢ .

● وأيضًا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا ﴾[1] يقول[2]: وقرأ عاصم بنصب التاء فيهما على أن "تجارة" هي الخبر والاسم مضمر تقديره إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة، والباقون بالرفع فيهما على أن تجارة هي الاسم والخبر" تديرونها" أو على كان التامة ".

ويريد بالباقين هنا، القراء للسبع المشهورة فيما عدا عاصم.

● وأيضًا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ ﴾[3] يعرض القراءات فيها فيقول: [4] " شنآن قوم ؛ أي: شده بُغْض، وقرأ ابن عامر وشعبة بسكون النون بعد الشين والباقون بنصبها. وقوله ــ تعالى ــ: ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على "إن" الشرطية والباقون بفتحها أي: لأجل أن صدوكم في عام الحديبية أو غيره".

● وكذلك عند عرضه للقراءات في قوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾[5] يقول[6]: "وقرأ ابن عامر بسكون الياء من "أخي" وهمزة مفتوحة من "أشدد" وهو على مرتبته في المد وهمزة مضمومة من "أشركه" وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء من "أخي" وهمزة وصل من "اشدد" و"أشركه" بهمزة مفتوحة والباقون بسكون الياء من "أخي" وهمزة وصل من "اشدد" وفتح الهمزة من "أشركه" ".

---

1 – سورة البقرة: جزء من آية ٢٨٢.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٩٧.

3 – سورة المائدة: جزء من آية ٢.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص٧.

5 – سورة طه: آية ٢٣.

6 – ينظر: السراج المنير جـ٤ص١٦٥.

● وعند ذكره القراءات فى قوله ــ تعالى ــ: ﴿ كَالْجَوَابِ ﴾[1] يقول[2]: " وقرأ ورش و أبو عمرو بإثبات الياء بعد الباء الموحدة فــى الوصــل دون الوقف، وابن كثير بإثباتها وقفًا ووصلا، والباقون بالحذف ".

وهذا اتجاهه دائمًا فى عرض القراءات إذا اتفق القراء الـسبعة علـى قراءة، يذكر القراءة دون أسمائهم ، إلا إذا خالف بعــضهم فيعــزو القــراءة المخالفة إلى قائلها.

٢- التزم بما اشترطه على نفسه:

المطالع لتفسير الخطيب الشربينى يجده قد وفّى بما اشترطه على نفـسه فى مقدمة تفسيره ، وما أشار إليه فى خاتمة التفسير من أنه لا يذكر فيه مــن القراءات إلا السبع المشهورات.

ولعل اتجاهه هذا يرجع إلى كونه شافعيّ المذهب " حيث يرى الإمــام العلامة شيخ الشافعية المحقق للعلوم الشرعية أبو الحسن على بن عبد الكافى السبكى"[3] أنه يجوز القراءة فى الصلاة وغيرها بــالقراءات المتــواترة ، ولا تجوز بالشاذة"[4].

وقد يظن البعض أنه ذكر بعض القراءات الشاذة ونبه عليها، إلا أننــى عندما تتبعت القراءات الشاذة التى ذكرها وجدته لا يعرضها كقــراءة ، بــل

---

1 – سورة سبأ: جزء من آية ١٣.

2 – ينظر: السراج المنير جــ٦ ص١٩.

3 – هوعلى بن عبد الكافى بن على بن تمام السبكى الأنصارى الخزرجى تقى الــدين شيخ الإسلام فى عصره ، المتوفى عام ٧٥٦ هــ ، هو أحد الحفاظ المفسرين ، ولد فى سبك(من أعمال المنوفية فى مصر)من كتبه الدر النظيم فى التفسير لم يكمله ومختــصر طبقات الفقهاء ، ينظر الأعلام للزركلى جــ٤ص٣٠٢.

4 – النشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج١ص٤١ بتصرف.

استند إليها كمصدر لحكم معيّن ، وهنا لا يمكن القول بأنه قد خالف شرطه ؛ " لأن العلماء أجازوا العمل بالقراءة الشاذة، فالقراءة تسمى شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف المجمَع عليه ، وإن كان إسنادها صحيحًا، فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها، ولكن يجوز قراءتها غير معتقد أنها قرآن ولا موهمًا غيره بذلك، وإنما لما فيها من الأحكام الشرعية أو الأدبية عند مَن يحتج بها "[1]

وإلى ذلك أشار الخطيب الشربيني في نكتة ذكرها عند تناوله حكم التتابع في صيام كفارة اليمين إذا حنث فيه ؛ فيقول[2]: "﴿ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: فكفارته صيام ثلاثة أيام ولا يجب تتابعها "

ثم يقول: " فإن قيل: قرئ شاذًا متتابعات[3] والقراءة الشاذة كخبر الواحد في وجوب العمل كما أوجبنا قطع يد السارق اليُمنَى بالقراءة الشاذة [4] في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة:٣٨] ولأن

---

1 – لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام شهاب الدين القسطلاني ، تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان و د/عبد الصبور شاهين ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص١٣،

والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ص٧٢،٧٣ بتصرف.

2 –ينظر: السراج المنير جـ٢ ص٧٢.

3 – "وقرأ أُبيّ وعبد الله بن مسعود والنخعي ثلاثة أيام" متتابعات " بزيادة متتابعات على قراءة الجماعة ". ينظر: معجم القراءات للدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، ط. دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق –القاهرة ، الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢ م ، جـ٢ ص٣٣٧ .

4 –"والسارقون والسارقات فاقطعوا أيديهم ابن مسعود وروى عنه أيمانهما " ؛ينظر: مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه ، مكتبة المتنبي القاهرة ص ٣٩.

من عادة الشافعي رحمه الله تعالى حمل المطلق [1]على المقيد[2] من جنسه وهو الظهار[3] والقتل أجيب: بأن اليمين نسخ فيها متتابعات تلاوة وحكمًا ؛ فلا يستدل بها ؛ بخلاف آية السرقة فإنها نسخت تلاوةً لا حكمًا ، وبأن المطلق ههنا متردد بين أصلين يجب التتابع فى أحدهما وهو كفارة الظهار والقتل ، ولا يجب فى الآخر وهو قضاء رمضان ؛ فلم يكن أحد الأصلين فى التتابع بأولى من الآخر، ويسنّ تتابعها خروجًا من خلاف أبى حنيفة ؛ فإنه شرط تتابعها ".

● ومثال ذلك أيضًا ما ذكره عند انتهائه من تفسير قوله ـ تعالى ـ: **﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾**[4] فيقول الخطيب الشربيني[5]:"وحكى عن أبى الأسود الدؤلى[6] أنه

---

[1]- المطلق : هو اللفظ المتعرض للذات دون الصفات لابالنفى ولا بالإثبات؛ ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للشيخ العلامة محمد بن على بن على بن محمد التهانوى ، الحنفى ، المتوفى سنة ١١٥٨ هـ ، وضع حواشيه : أحمد حسن بسبح، ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨ م جـ٢ ص١٥٦٧.

[2] – و المقيد يقابل المطلق وهو اللفظ الدال على مدلول المطلق بصفة زائدة، والمراد بالمتعرض للذات الدال على الذات ؛ أى : نفس الحقيقة لا الفرد ؛ ينظر: المرجع السابق ذاته.

[3] –الظهار: مصدر ظاهر الرجل ؛ أى : قال لزوجته أنت علىّ كظهر أمى ؛ أى: أنت علىّ حرام كظهر أمى ؛ ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوى، جـ٣٠ ص١٧٥ .

[4] – سورة البقرة: جزء من آية٢٣٤.

[5] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٤٢.

[6] –هوظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلى الكنانى ، واضع علم النحو ، كان معدوداً من الفقهاء والعلماء والشعراء ، من التابعين ، أول من نقط المصحف ، سكن

كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل: من المتوفِّي؟ بكسر الفاء ، فقال: الله وكان أحد الأسباب الباعثة لعليّ ــ رضي الله تعالى عنه ــ على أنْ أمره أن يضع كتابًا في النحو، لكن يجوز الكسر على معنى أنه مستوفٍ أجَلَه، ويدل له قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ ﴾ بفتح الياء على قراءة شاذة نقلت عن علي[1]، أي: يستوفون آجالهم"

وهذان المثالان من المواضع النادرة التي اعتمد فيها الخطيب الشربيني القراءة الشاذة كمصدر للأحكام.

٣- يبين المعاني التي تختلف باختلاف القراءات:

عُني الخطيب الشربيني بتوظيف القراءات في بيان المعاني المختلفة للآية القرآنية ، وكان هذا هو السمة الغالبة عليه في عرضه للقراءات التي تختلف في حروف الكلمات وحركاتها والتي لها تعلق بالتفسير، سواء كان هذا الاختلاف اختلاف تنوع ولا تتعارض القرءات في المعنى الذي تفيده ، أو يختلف المعنى باختلاف القراءة، وقد تضيف القراءات حكمًا جديدًا أو ترجح حكمًا فقهيا على آخر.

● فمن أمثلة توجيهه للقراءات التي تفيد معنىً واحدًا ما عرضه عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾[2] يقول الخطيب الشربيني[3]: "وقرأ قوله ــ تعالى ــ: ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ أبو بكر الكسائي بضم التاء أي:

البصرة في ولاية عمرو وولّي إمارتهافي أيام عليّ وتوفي بها عام٦٩ هـ ، ينظر الأعلام للزركلي جـ٣ ص ٢٣٦، ٢٣٧ .

1 – ينظر: المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جنيّ، ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة جـ١ ص٣٤٧ ، ومختصر في شواذ القراءات لابن خالويه ص٢٢ .

2 – سورة طه: جزء من آية ١٣٠.

3 – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص٢١١.

ترضى بما تنال من الثواب ؛ كقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم:٥٥] وقرأ الباقون بفتحها أي : ترضى بما تنال من الشفاعة ؛ قال ــ تعالى ــ: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى:٥] ، وقال ــ تعالى ــ: ﴿ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[الإسراء:٧٩] والمعنى على القراءتين لا يختلف ؛ لأن الله تعالى إذا أرضاه فقد رضيه ، وإذا رضيه فقد أرضاه".

● ومن أمثلة توجيهه للقراءات التي يختلف المعنى المراد من الآية باختلافها ، ما ذكره عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[1] فيقول[2]: " قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام ، أي: الذين أخلصوا دينك عن الشوائب وقرأه الباقون بفتحها ، أي: الذين أخلصهم الله تعالى بالهداية".

● ويستند الخطيب الشربيني إلى القراءات في ترجيحه للحكم الشرعي الذي يميل إليه عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾[3]فيقول[4]: "﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾ أي: بالجماع ﴿ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ تأكيدًا للحكم وبيانًا لغايته وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع ، ويدل عليه صريحًا قراءة شعبة [5]وحمزة [6].

---

1 – سورة الحجر: آية٤٠.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٩٥ .

3 – سورة البقرة: جزء من آية ٢٢٢.

4 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٢٨.

5 – هو أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم بن الحناط الأسدي الكوفي ، ولد سنة ٩٥هـ، وكان من الأئمة الأعلام حجة ثقة ، مات سنة ١٩٣ هـ ، ينظرغاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزريّ ، المتوفى ٨٣٣ هـ ، عنى بنشره برجستراسر، ط دار الكتب العلمية بيروت الثالثة١٤٠٢هـ ١٩٨٢م جـ١ ص٣٢٥ .

والكسائى [2] بتشديد الطاء والهاء أى: يتطّهّرن بمعنى يغتسلن ، والباقون بسكون الطاء و ضمّ الهاء مخففة والتزاما، ثم يشرح قوله- تعالى -: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ أى: للجماع ؛ فإنه يقتضى تأخر جواز الإتيان عن الغسل ، وقال أبو حنيفة رضى الله عنه: إن طهرت لأكثر الحيض وهو عنده عشرة أيام جاز قربانها قبل الغسل".

فنجد الخطيب الشربينى هنا يعرض القراءتين الواردتين فى كلمة ﴿يَطْهُرْنَ﴾ ويعرض اختلاف الفقهاء بناءً على القراءتين ، فمن أخذ بقراءة التشديد للطاء أوجب الغسل قبل الجماع ، ومن بنى الحكم على القراءة بسكون الطاء وضم الهاء فقد استنبط من هذه القراءة أن مجرد النقاء طهارة فلا مانع من المعاشرة ، وقد رجّح الخطيب الشربينى الحكم بوجوب الغسل عند الطهارة وقبل المعاشرة مستندًا إلى قراءة التشديد ومؤكدًا لها بقوله ــ تعالى ــ: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾.

كما يستند الخطيب الشربينى إلى القراءات عند توجيهها لبيان حكم جديد، ومثال ذلك ما ذكره فى آية الوضوء عند عرضه للقراءات فى قوله ــ تعالى-:﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾[3] فيقول[4]:

---

1 – هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفى الزيات ، ولد عام ٨٠ هـ، كان إمام الناس فى القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش، وكان ثقة كبيراً = =حجة مجوّدًا ، فرضيًا نحويًا حافظًا للحديث ، ورعًا زاهدًا خاشعًا ناسكًا ، مات سنة ١٥٦ هـ؛ ينظر: المرجع السابق جـ١ ص٢٦١ .

2 – هو أبو الحسن على بن حمزة بن عبد الله بن تميم بن فيروز الكسائى الكوفى ، كان إمام الناس فى القراءة فى زمانه وأعلمهم بالقراءات وبالنحو ولغة العرب ، مات سنة ١٨٩ هـ ، وبه تم القراء السبع ؛ ينظر: المرجع السابق جـ١ ص٥٣٥ .

3 – سورة المائدة: جزء من آية٦.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص١٧.

" قرأه نافع[1] وابن عامر[2] وحفص[3] و الكسائي بنصب اللام عطفًا على المجرور على قراءة الجرّ والممسوح ؛ ليفيد مسح الخف ، وعطف على المنصوب على قراءة النصب على المغسول ؛ ليفيد غسل الرجل المتجرّدة منه ؛ فيفيد كل من القراءتين غير ما أفادته الأخرى".

وهنا نجد الخطيب الشربيني يستدل على ما ذهب إليه العلماء وهو أن الأصل غسل الأرجل في الحالات العادية ، وأن المسح على الأرجل جائز إذا لبس المرء خُفًا على طهارة أو وضع على رجله جَبيرة لمرض ، فدل كل من القراءتين على حكم شرعي فأغنت القراءتان عن آيتين بأن بيّنت الحكم الشرعيّ في حالين مختلفين.

٤- يذكر القراءات ولا يوجهها:

إذا كان الخطيب الشربيني كماذكرت سابقًا ، غالبًا يوجه القراءات وينزلها على معانيها المختلفة فإنه قد يذكر القراءات أحيانًا دون توجيهها، ومن هذه المواضع القليلة التي ذكر فيها القراءات ولم يوجهها ما يأتي:

---

[1] -هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم المدني ، ولد في حدود سنة ٧٠ هـ ، انتهت إليه رياسة الإقراء بالمدينة وأجمع الناس عليه بعد التابعين ، توفي سنة ١٦٩ هـ ؛ ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء جـ٢ ص٣٣٠ .

[2] -هوأبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد تميم بن ربيعة اليحصبي ، إمام جامع دمشق وقاضيها وشيخ الإقراء بها ، إمام كبير وتابعي جليل ، ولد سنة ٦١ هـ ومات ١١٨ هـ؛ ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري جـ١ ص٤٢٣ .

[3] -هو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عديّ بن صهبان نزيل سامراء ، إمام القراء وشيخ الناس في زمانه ، ثقة ثبت كبير ضابط ، أول من جمع القراءات، ونسبته إلى الدور موضع ببغداد ، توفي سنة ٢٤٦ هـ من كتبه أحكام القرآن والسنن وفضائل القرآن ؛ ينظر: طبقات المفسرين للداوودي جـ ١ ص١٦٢.

● عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾[1] يقول[2]: "﴿ لاَ يَحْزُنكَ ﴾ قرأ نافع بضمّ الياء وكسر الزاى، والباقون بفتح الياء وضم الزاى".

● وعند انتهائه من تفسير قوله ــ تعالى ــ: ﴿ فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا ﴾[3] يقول الخطيب الشربينى[4]: " وقرأ حمزة بضم الهاء فى الوصل والباقون بالكسر".

● وأيضًا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾[5] يقول[6]: "أى : فى النبوة والرسالة ، وقرأ ابن عامر بسكون الياء من "أخى" وهمزة مفتوحة من "أشدد" وهو على مرتبته فى المد وهمزة مضمومة من "أشركه" وابن كثير[7] وأبو عمرو[8] بفتح الياء من "أخىَ "وهمزة وصل من "اشدد" و "أشركه" بهمزة مفتوحة والباقون بسكون الياء من "أخى" وهمزة وصل من "اشدد" و فتح الهمزة من "أشركه" ".

---

1 – سورة المائدة: جزء من آية ٤١.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص٤١.

3 – سورة طه: جزء من آية ١٠.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص١٥٣.

5 – سورة طه: آية ٣٢.

6 – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص١٦٥.

7 –هو أبو سعيد عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز الدارى المكى ، إمام الناس فى الإقراء بمكة ، ولد سنة ٤٥ هـ ومات سنة ١٢٠هـ؛ ينظر: غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى جـ١ص٢٨٨، ٢٨٩.

8 –هو زبان بن العلا بن عمار بن العريان بن عبد الله المازنى ، البصرى ، كان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الثقة والأمانة والدين ، ولد سنة ٦٨ هـ ومات سنة ١٥٥هـ؛ ينظر : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ١ ص٢٨٨، ٢٨٩ .

● وكذلك عند انتهاء الخطيب الشربينى من تفسير قوله ــ تعــالى ــ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ مِــن رَسُــولٍ إلا نُــوحِي إِلَيْــهِ أَنَّــهُ لا إِلَــهَ إلا أَنَــا فَاعْبُدُونِ﴾[1]يقول[2]: " وقرأ حفص وحمزة والكسائى بالنون وكسر الحــاء ، والباقون بالياء وفتح الحاء ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَمَا يَخْــدَعُونَ إِلاَّ أَنفُــسَهُم ﴾[3] يقول[4]: "وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال ، وقرأ الباقون ــ وهم عاصم [5]وابن عامر و حمزة والكسائىــ "وما يخدعون" بفتح الياء وسكون الخاء ولا ألف بعــدها وفــتح الــدال. ولا خلاف بين القرّاء فى الكلمة الأولى وهى "يخــادعون الله " فــالجميع قــرءوا بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال وأما الرسم فــى الموضـــعين فبغير ألف".

٥- يذكر القراءات ويبين اللغات التى ترجع إليها:

● عند عرض الخطيب الشربينى للقراءات الواردة فى الكلمة القرآنيــة بيّن لغات العرب التى ترجع إليها:

---

[1] – سورة الأنبياء: آية ٢٥.

[2] – ينظر: السراج المنير جـــ٤ ص٢٢٦.

[3] – سورة البقرة: جزء من آية ٩.

[4] – ينظر: السراج المنير جـــ١ ص٤٩.

[5] –هو أبو بكر عاصم بن أبى النجود بهدلة الأسدى مولاهم الكوفى ، انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد السلمى ، جمع بين الإتقان والفصاحة والتجويد وحسن الــصوت ، مات سنة ١٢٧ هـــ ؛ ينظر: غاية النهايــة فــى طبقــات القــراء لابــن الجــزرى جـــ١ص٣٤٦ـــ٣٤٩.

ومثال ذلك عند تفسيره لقولـــه ـــ تعـــالى ـــ : ﴿ **اهْـدِنَا الـصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ (١) يقول(٢): " والصراط من قلب السين صادًا ليطابق الطـــاء فـــى الإطباق (٣) وقد تُشَمّ الصاد صوت الزاى ليكون أقرب إلى المبدل منه، قـــرأ حمزة الصراط المعروف فى هذه السورة بالإشمام(٤) وهو أن ينطق القـــارئ بحرف متولد بين الصاد والزاى وأشمّ خلف(٥) "صراط" الثانى كالأول وكـــذا جميع ما فى القرآن من معرّف ومنكّر ، وقرأ قنبل(٦) جميع ما فـــى القـــرآن بالسين ، وقرأ الباقون بالصاد الخالصة فى الجميع ، وهذه لغة قريش وهـــى الثابتة فى الإمام وهو مصحف سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه".

---

[1] – سورة الفاتحة : آية ٦.

[2] – ينظر : السراج المنير جـــ١ ص٣٤.

[3] – الإنطباق لغة الإلتصاق سميت حروفه مطبقة لانطباق طائفة من اللسان بها علـــى الحنك عند النطق بها، وهى أربعة جمعت فى الشاطبية : "و" قظ خص ضـــغط " ســـبع علو ومطبق هو الضاد والظاء أعجمعا وإن أهملا " ؛ ينظر: المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية للملا على بن سلطان محمد القارى وبهامشها شرح شيخ الإسلام أبـــى يحيـــى زكريا الأنصارى على المقدمة الجزرية لأبى الخيـــر محمـــد الجـــزرى ، ط. شـــركة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٦٧ هـــ ـــ ١٩٤٨ م ص١٧ .

[4] – الإشمام هو أن تطبق شفتيك بعد تسكين الحرف فيدرك ذلك بـــالعين ولا بـــسمع؛ ينظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى للقاصح البغدادى ص٧٦.

[5] – هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار بالراء ، ولد سنة ١٥٠ هـــ ، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ، وكان إماماً جليلاً ، عالماً ، ثقة ، زاهداً ، ومـــات ســـنة ٢٢٩هـــ؛ ينظر: طبقات المفسرين للداوودى جـــ١ ص١٦٣، ١٦٤.

[6] – هو أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن محمد بن خالد بن سعيد بن جُرْجَـــة ، كـــان إمامًا فى القراءة متقنًا ضابطًا ، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز ، ولد سنة ١٩٥ هـــ وتوفى سنة ٢٩١ هـــ ؛ ينظر:غاية النهاية فى طبقات القراء لابـــن الجـــزرى جـــــ٢ ص١٦٥ .

• وكذلك عند تفسيره لقوله ـــ تعالى ـــ: ﴿ **وَلِلَّـــهِ عَلَـــى النَّـــاسِ حِـــجُّ الْبَيْتِ**﴾[1] يبيّن القراءات واللغات التى ترجع إليها فى كلمة ﴿**حِجُّ**﴾ فيقول[2]: "وقرأ حفص وحمزة والكسائى بكسر الحاء وهى لغة نَجْد ، وقـــرأ البـــاقون بالفتح وهى لغة أهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان ومعناهما واحد ".

• وأيضا عند تفسيره لقوله ـــ تعالى ـــ : ﴿ **وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِـــذَّابًا** ﴾[3] يبين اللغات التى ترجع إليها القراءات فى "كذابا" ؛ فيقول[4]: " وقرأ "كِـــذابا" غير الكسائى بالتشديد أى: تكذيبًا ، قال الفرّاء[5]: وهى لغة يمانيـــة فـــصيحة يقولون فى مصدر التفعيل فِعّال. وقال الزمخشرى[6]: وفِعّال فى بـــاب فَعَّـــل كلُّه فاشٍ فى كلامِ فُصحاءَ من العرب لا يقولون غيـــره، وســـمعنى بعـــضهم أفسر آية فقال: لقد فسرتُها فِسّارًا ما سُمِع بمثله. وقـــرأ الكـــسائى بـــالتخفيف مصدر كَذَبَ ؛ بدليل قول الشاعر:

فصَدَقْتَها وكَذَبْتُها   **والمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذابُه**[7]".

---

1 – سورة آل عمران: جزء من آية ٩٧.

2 – ينظر: السراج المنير جـــ١ ص٣٦٧.

3 – سورة النبأ: آية ٢٨.

4 – ينظر: السراج المنير جـــ٨ ص٢٣٧،ص٢٣٨.

5 – ينظرمعانى القرآن لأبى زكريا يحيى بن زياد الفرّاء ١٤٤ ـــ ٢٠٧ هـــ ،تحقيق : أحمد يوسف نجاتى ومحمدعلى النجار ١٤٢٢ هـــ ـــ ٢٠٠١ م ط . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الثالثة جـــ٣ ص٢٢٩.

6 –ينظر: الكشاف جـــ ٤ ص٢٠٩.

7 – البيت من مجزوء الكامل ، وهو للأعشى فى لسان العرب مـــادة : صـــدق جـــ١٠ص ١٩٣،ولم أجده فى ديوان الأعشى ، وبلا نسبة فى شرح المفصل للعلامة يعيش ابن على بن يعيش النحوى المتوفى ١٤٣ هـــ . ط عالم الكتب ببيروت جـــ٦ ص ٤٤، وشرح شواهد الكشاف جـــ٤ ص٣٤٨.

وثمة آيات أوضح الخطيب الشربينى أن القراءات فيها ترجع إلى لغات ولم يبيّنها:

● ومثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا**﴾[1] إذ يقول عن القراءات الواردة فى "كرها"[2]: " وقرأ حمزة والكسائى بضم الكاف، والباقون بفتحها قال الكسائى[3]: وهما لغتان، وقال الفرّاء[4]: الكره بالفتح ما أكره عليه، وبالضم المشقة".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **لابِثِينَ فِيهَا**﴾[5] يقول[6]:"وقرأ حمزة "لابثين فيها" بغير ألف بين اللام والباء الموحدة والباقون بألف وهما لغتان والأولى أبلغ قاله البيضاوى "[7].

وتلك بعض أمثلة من مواضع كثيرة بيّن فيها الخطيب الشربينى اللغات التى ترجع إليها القراءات ، فله معرفة واسعة بلغات العرب وما يروى عنهم. وقد نقل كثيرًا من لغاتهم واستدل بها على صحة القواعد التى تكلم فيها، وقد أوضحتُ ذلك بالأمثلة فى المباحث التى تناولتُ فيها استشهاده بالشعر وتوظيفه الدلالات اللغوية فى التفسير.

---

1 – سورة النساء: جزء من آية ١٩.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٥٢.

3 – ينظر: معانى القرآن للكسائى جـ١ ص ١١٢ .

4 – لم أجد الفرّاء ذكره فى كتابه معانى القرآن عند تفسيره للآية نفسها ، وكذا فى المواضع التى ذُكِرَ فيها الكَرْه والكُرْه ؛ ينظر: معانى القرآن للفرّاء جـ ١ ص٢٢٥ ، ٢٥٩ ، ٤١ ، جـ٢ ص٦١ ، ٢٥١ ، ولعله نقله عن أبى حيان الذى نسبه للفراء فى البحر المحيط جـ٣ص٢١٢ .

5 – سورة النبأ: جزء من آية ٢٣.

6 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٢٣٦.

7 – ينظر: حاشية زاده على البيضاوى جـ ٨ ص٤٧٦ .

٦- **بيّن (الأداء الصوتى) للقراءات:**

عُنى الخطيب الشربينى بإيضاح الأداء الصوتى (الظاهرة الصوتية) للقراءات بكافة صورها : الإبدال ، والزيادة والنقصان ، والإمالة ، والهمز والتخفيف ، والإدغام والوقف وغيرها ، ويتضح ذلك بالأمثلة الآتية:

*** الإبدال[1]:**

ويكون فى كلمة واحدة بصيغة واحدة وبمعنى واحد، تنطق أو تؤدى بطريقتين من حيث إقامة حرف مكان آخر فى الكلمة ، ويقع الإبدال بين الصوامت كما يقع بين الحركات:

- ومثال الإبدال فى الصوامت:

ما قاله الشربينى فى قراءة "تترًا" عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا**﴾[2] فقال[3]: " وقرأ "تترا" ، ابن كثير وأبو عمرو فى الوصل بتنوين الراء على أنه مصدر بمعنى التواتر وقع حالاً، والباقون بغير تنوين".

" فأبدلت التاء من الواو بأن جعله مصدرًا من قولك: وَتَرَ يَتِرُ وَتْرًا كما أبدلت فى قولهم "التكلان" من الوكالة و "تجاه" من وجاه ؛ ودليل ذلك كتابتها فى السواء ألفًا ، وكذلك الوقوف عليها بألف "[4].

- ومثال الإبدال بين الحركات:

الإبدال بين الضم والكسر فى قراءة "وقالت" فى الوصل ، لالتقاء

---

1 -الإبدال: هو أن يُجعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل ؛ ينظر: التعريفات للجرجانى ص٢١.

2 - سورة المؤمنون: جزء من آية ٤٥.

3 - ينظر: السراج المنير جـ٤ ص٣٤١.

4 - مستقى من اليزيدى القارئ النحوى ، دراسة نحوية قرآنية للدكتور محمد أحمد على سحلول ، ط.مطبعة الحسين الإسلامية، الأولى ١٤١٠هـ-١٩٨٩م ، ص١٩٥،١٩٤.

الساكنين؛ فعند تفسيره لقوله ــ تعــالى ــ: ﴿ وَقَالَــتِ اخْــرُجْ عَلَــيْهِنَّ﴾[1] يقول[2]: " وقرا أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائى بكسر التاء فى الوصل، والباقون بالضم ، وأمّا الابتداء فجميع القراء يبتدءون الهمزة بالضم ".

* **الزيادة والنقصان:**

● ومثاله تخفيف الفتح فى قوله ــ تعالى ــ: ﴿فَرَضْــنَاهَا﴾[3] فيقــول الخطيب الشربينى[4]: " وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الــراء ؛ لكثــرة الفروض، والباقون بالتخفيف ".

* **الإمالة[5]:**

● ومثال ذلك ما ذكره فى قراءة ﴿ أَبْصَارِهِمْ ﴾[6] فيقــول[7]: " وأمــال أبوعمرو ألف "أبصارهم" وكذا كل ألف بعدها راء مكسورة متطرّفة . وإنمــا جاز إمالتها مع الصاد ؛ لأنّ الراء المكسورة تقلب المستعلية ؛ لما فيهــا مــن التكرير".

* **الهمز والتخفيف:**

● ومثاله ما ذكره عنــد انتهائــه مــن تفــسير قولــه ــ تعــالى ــ: ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ﴾[8]

---

1 – سورة يوسف: جزء من آية ٣١.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص٣٦٥.

3 – سورة النور: جزء من آية ١.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص٣٦٥.

5 – وهو أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرًا ؛ ينظر: شرح طيبــة النشر ص١١٥ .

6 – سورة البقرة: جزء من آية ٧.

7 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٧.

8 – سورة البقرة: جزء من آية ٦.

فيقول[1]: " تنبيه: ها هنا همزتان مفتوحتان من كلمة ؛ فقالون[2] وأبو عمرو يسهّلان الثانية ويدخلان بينهما ألفًا وكذا ورْش[3] وابن كثير إلا أنهمـا لـم دخلا

ألفا بينهما ولورش وجه آخر وهو أن يبدل الثانية حرف مدّ ، وهشام [4]لـه وجهان: تسهيل الهمزة الثانية وتحقيقها مع إدخـال ألـف بينهمـا، والبـاقون بالتحقيق والقصر، وجميع القرّاء يحققون الأولى ".

*** الإدغام[5]:**

● ومثال ذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّـارُ** ﴾[6] يقول الخطيب الشربيني[7]: وقرأ الكسائي وهشام بإدغـام الـلام فـي الثـاء والباقون بالإظهار ".

---

1 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٦.

2 – هو عيسى بن مينا الزرقى ، لقبه نافع بقالون لجودة قراءته ؛ لأنها بلغة الروم جيّد، وكان قارئ المدينة ونحويها ، ولد سنة ١٢٠ هـ وتوفى سنة ٢٢٠ هـ ؛ ينظر: طبقات القراء لابن الجزرى جـ١ ص٦١٥.

3 – هو أبو سعيد عثمان بن سعيد القبطي المصرى ، ولد سنة ١١٠ هـ ، ولقب بورش لشدة بياضه ، انتهت إليه رياسة الإقراء بمصر ، ومات سنة ١٩٧ هـ ؛ ينظر: المرجع السابق جـ١ص٥٠٢ ، ٥٠٣ .

4 – هو أبو الوليد هشام بن عمّار بن نصير بن ميسرة السلمى الدمشقى ، قاض ، إمـام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم ، ولد سنة ١٥٣ هـ ومات ٢٤٥ هـ ؛ ينظر: طبقات القراء لابن الجزرى جـ٢ ص٣٥٤ والأعلام للزركلي جـ٩ ص٨٦.

5 – حقيقة الادغام أن تصل حرفاً ساكناً بحرف متحرك ، فتـصيرهما حرفـاً واحـداً، مشدداً يرتفع اللسان عنه ارتفاعة واحدة ، وهو بوزن حرفين ؛ ينظر: سراج القـارئ المبتدئ للقاصح البغدادى ص٢٣.

6 – سورة المطففين: جزء من آية ٣٦.

7 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٢٩١.

* **الوقف[١]:**

● يهتم الخطيب الشربيني ببيان طرق الأداء الصوتي في حالة الوقف، ومثال ذلك التنبيه الذي ذكره عند انتهائه من تفسير قوله ــ تعالى ــ: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ** ﴾[٢] إذ قال[٣]: " تنبيه: إذا وقف حمزة وهشام على شيء فلهما أربعة وجوه: السكون، والرَّوْم[٤]، والإدغام، والروم معه، وسكن حمزة قبل الهمزة بخلاف عن خلاد في الوصل وأدغم أبو عمرو الكاف في القاف بخلاف عنه ".

● كما يهتم ببيان التناسب الإيقاعي والصوتي في حالة الوقف ومثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا** ﴾[٥] فيقول[٦]: " وقرأ نافع وابن عامر" الظنونا ظهنا و"الرسولا" و"السبيلا" في آخر السورة بإثبات الألف في الثلاثة وقفاً ووصلا ، وأبو عمرو وحمزة بحذف الألف وقفا ووصلا، قال الزمخشري[٧]: وهو القياس . والباقون في الوقف دون الوصل زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية قال:

---

1 – سمي الوقف وقفًا لأنه ترك الحركة ، فهو مأخوذ من قولهم وقفت عن كذا إذا لم تأت به. وإنما كان الأصل فيه السكون لأن الوقف يقتضي السكون والابتداء يقتضي الحركة، وحد الوقف قطع الصوت آخر الكلمة ؛ ينظر: شرح طيبة النشر ص١٤١ وسراج القارئ المبتدئ ص٧٦ .

2 – سورة البقرة: جزء من آية ١١٣.

3 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص١٣٨.

4 –هو أن يسمع الحرف المحرك ، احترازاً من الساكن في الوصل ؛ ينظر: سراج القارئ المبتدئ للقاصح البغدادي ص٧٦ .

5 – سورة الأحزاب: جزء من آية ١٠.

6 – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص٣٢٦،٣٢٥.

7 – هذا مضمون كلام الزمخشري لا نصه ، يراجع: الكشاف جـ٣ ص٢٥٤،٢٥٣.

أقلى اللوم عاذل والعتابن[1]

ورسم الثلاثة بالألف ".

فالخطيب الشربينى هنا بيّن أن زيادة الألف فى الثلاثة وقفاً متفق عليه بين القرّاء لمراعاة الفاصلة تحقيقًا للتناسب الصوتى والإيقاعى.

* **المد**[2]:

يهتم الخطيب الشربينى بإخراج المدود الواردة فى قراءة الآية القرآنية الكريمة وبيان مراتبها عند القراء السبعة:

● ومثال ذلك التنبيه التالى: يقول الخطيب الشربينى[3]: "تنبيه: " اجتمع فى قوله تعالى: ﴿ **أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[4]: أربع مدات، الأولى: أنبئونى، والثانية بأسماء ، والثالثة ، والرابعة هؤلاء إن، فالأول مد بدل ، والثانى مد متصل ، والثالث مد منفصل ، والرابع مخير لا متصل قطعا ولا منفصل قطعا عند من يقول بإسقاط إحدى الهمزتين ، فأما الأول فلورش فيه المد والتوسط والقصر، وأما الثانى فبالمدّ للجميع لأنه متصل ، وأما الثالث ففيه المد والقصر ، كما تقدم لأنه منفصل ، وأما الرابع

---

1 – صدر بيت وعجزه " وقولى إن أصبت لقد أصابن "، وهو من الوافر لجرير فى خزانة الأدب جـ١ ص٦٩،ولم أجده فى ديوان جرير، وشرح شواهد الكشاف جـ٤ ص٣٣٩ ، ومغنى اللبيب جـ٢ ص٣٩٥.

2 – المد : هوزيادة مطّ فى حروف المد ولا يكون إلا لسبب ، والسبب إما لفظى وهو همز أو سكون ، وإما معنوى وهو قصد المبالغة فى النفى ، وحرف المد هو الألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها ، ينظرشرح طيبة النشر لابن الجزرى ص ٧١، ٧٢ .

3 – سورة البقرة: جزء من آية ٣١.

4 – ينظر السراج المنير: جـ١ ص٨١.

وهو "أولاء إن" ففيه همزتان مكسورتان من كلمتين ؛ فقالون والبزّي[1] يسهّلان الأولى مع المد والقصر، وورش وقنبل يسهلان الثانية . ويجعلانها حرف مد ، وأبو عمرو يسقط الأولى والثانية فمن قال بإسقاط الأولى مدّ وقصر، ومن قال بإسقاط الثانية فبالمد فقط ، وباقى القراء يحققون الهمزتين وهم على مراتبهم فى المد".

*** مخارج الحروف[2]:**

كما اهتم الخطيب الشربينى بشرح قواعد الأداء الصوتى للحروف من مخارجها.

● ومثال ذلك ما شرحه عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾[3] يقول[4]: " وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى بالظاء المُشالة من الظِّنَّة، وهى التُّهمَة ، أى : فليس بمتَّهم ، والباقون بالضاد موافقةً للمرسوم من الضَّنّ وهو البُخْل ، أى: فليس ببخيل بالوحى فيزوى بعضه أو يسأل تعليمه فلا يعلمه ، كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حُلْوانًا ، وهو فى مصحف عبد الله بالظاء، وفى مصحف أُبيّ بالضاد، وكان ﷺ يقرأ بهما.

---

1 -هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن نافع ابن أبى بزة المكى كان إماماً فى القراءة محققاً ضابطاً لها ثقة فيماً ، انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة وكان مؤذن المسجد الحرام ، ولد سنة مائة وسبعين ومات سنة مائتين وخمسين ، ينظر: طبقات القّراء لابن الجزرى جـ١ ص١١٩.

2 -مخارج : جمع مخرج : وهى عبارة عن موضع خروج الحرف من الفم ؛ ينظر: شرح طيبة النشر ص٢٧ .

3 – سورة التكوير: آية ٢٤.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٢٧٣،٢٧٤.

قال الزمخشرى[1]: وإتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ، ومعرفة مخرجيهما مما لا بدّ منه للقارىء ، فإن أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وإن فرقوا ففرقًا غير صواب ، وبينهما بَوْنٌ بعيد ، فإن مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره ، وكان عمر بن الخطاب أضبط ، يعمل بكلتا يديه ، وكان يخرج الضاد من جانبى لسانه ، وهى أحد الأحرف الشجرية[2] أخت الجيم والشين ، وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، وهى أحد الأحرف الذولقية[3]أخت الذال والثاء ، ولو استوى الحرفان لما ثبتت فى هذه الكلمة قراءتان اثنتان ، واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ، ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب.

فإن قلت فإن وضع المصلّى أحد الحرفين مكان صاحبه، قلت: هو كوضع الذال مكان الجيم والثاء مكان السين ؛ لأن التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما أ.هـ كلامه بحروفه ".

وتلك بعض الأمثلة التى تبيّن عناية الخطيب الشربينى الفائقة بقواعد الأداء الصوتى للكلمات القرآنية، فالمطالع لتفسيره يجد بين يديه الكثير منها شاملاً كل هذه القواعد التى أرساها علماء القراءات.

---

1 – ينظر: الكشاف جـ٤ ص٢٢٦،٢٢٥.

2 – هى الجيم والشين والياء ، وتسمى الحروف الشجرية ؛ لخروجها من شجر الفم وهو منفتح ما بين اللحيين ، قال ابن الجزرى : " والوسط فجيم الشين يا " ؛ أى وسط اللسان مع ما يحاذيه من وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم ثم الشين ثم الياء ؛ ينظر: المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية ص١٢ .

3 – الحروف المذلقة ستة يجمعها لفظ " فر من لب " ، والذلق لغة الطرف سميت حروفه مذلقة لخروج بعضها من ذلق اللسان وبعضها من ذلق الشفة أى طرفيها ؛ ينظر: المرجع السابق ص ١٧ .

إتجاهاته في أسباب النزول

أنزل الله ــ عز وجل ــ القرآن الكريم على نبيــه محمــد ﷺ منهاجًــا ليهتدى به الناس إلى الحق المبين والخير الجزيل في الدنيا والآخرة؛ فاشـــتمل على العقيدة والمعاملات والأخلاق والنبوة والبعث والنشور .

ولبيان هذه المسائل نزل القرآن الكريم على قسمين :

القسم الأول نزل ابتداءً غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة إنما هو لمحض هداية الخلق إلى الحق .

والقسم الثاني نزل عقب واقعة أوسؤال وجه إلى النبى ﷺ من المسلمين على سبيل الاستفسار، أو من غيرهم علي سبيل الجدال والعناد .

" فسبب النزول هو مانزلت الآية أوالآيات متحدثــة عنــه أو مبينّــة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى أنه حادثة وقعت فى زمن النبــي ﷺ، أو ســؤال وجّه إليه؛ فنزلت الآية أو الآيات من الله ــ تعالى ــ ببيان مايتــصل بتلــك الحادثة ، أو بجواب هذا السؤال ".[1]

وقد ذكر العلماء لأسباب النزول فوائد عديدة ، أهمها :

" أ ــ معرفة وجوه الحكمة من تشريع الحكم ، فإن كان الدارس مؤمنــا ازداد إيمانا وحرصًاعلى العمل بكتاب الله، وتطبيق أحكامه لما يظهر له مــن أسرار ومصالح من أجلها نزل القرآن الكريم شريعة ومنهاجًــا للنــاس، وإن كان غير مؤمن تحمله هذه الحكم علي الإيمان إن كــان منــصفًا ، وأدرك أن التشريع الإسلامى قام على رعاية مصالح الإنسان، خاصة إذا تبيّن له تــدرج التشريع في معالجة الموضوع الواحد؛ ومثاله تحــريم الخمــر " فقــد روى الطيالسى فى مسنده عن ابن عمر قال: نزل في الخمر ثلاث آيــات؛ فــأول

---

[1] – ينظر: مناهل العرفان للزرقاني جــ١ ص١٠٦.

شيء ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾(١) الآية؛ فقيل: حرمت الخمر؛ فقالوا: يارسول الله ، دعنا ننتفع بها كما قال الله؛ فسكت عنهم، ثم نزلت هذه الآية: ﴿ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾(٢) فقيل حرمت الخمر ؛ قالوا: يارسول الله ، لا نشربها قرب الصلاة ؛ فسكت عنهم. ثم نزلت: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ (٣) فقال رسول الله ﷺ: (حَرُمت الخمر) (٤).

ب ــ الاستعانة على فهم الآية ورد ما يعرض فيها من الإشكال؛ قال الواحدى(٥):" هي أوفى ما يجب الوقوف عليها و أولى ما تصرف العناية إليها لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها "(٦).

---

1 – سورة البقرة: جزء من آية ٢١٩.

2 – سورة النساء: جزء من آية ٤٣.

3 – سورة المائدة: جزء من آية ٩٠.

4 –أخرجه الترمذي ــ كتاب تفسير القرآن ــ باب : ومن سورة المائدة جـ٥ص٩٨ ح٣٠٤٩ وقال أبو عيسى: وقد روى عن إسرائيل هذا الحديث مرسل . وأبو داود في سننه ــ كتاب : الأشربة ــ باب : في تحريم الخمر جـ٣ ص١٥٨٩ ح٣٦٧٠ . والنسائي ــ في الأشربة ، باب : تحريم الخمر جـ4 ص686 ح٥٥٥٥ .

5 –هو علي بن أحمد بن علي بن متويه أبو الحسن الواحدي النيسابوري ، كان إماماً في العربية والتفسير، من مؤلفاته : أسباب النزول ، والتفاسير الثلاثة ؛ البسيط والوسيط والوجيز توفى ٤٦٨ هـ ؛ ينظر: طبقات المفسرين للداودي جـ١ ص٣٩٤.

6 –ينظر : أسباب النزول الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى (٤٦٨ هـ ــ ١٠٧٦ م) ، تعليق وتخريج الدكتور مصطفى ديب البغا ، ط. دار ابن كثير ،دمشق ــ بيروت ،الثالثة ، ١٤١٧هـ ــ١٩٩٧ م ص٧ .

وقال ابن دقيق العيد[1]: "بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معاني القرآن"

وقال ابن تيمية[2]: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب "

وقال السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ في معرض ذكره فوائد معرفة أسباب النزول: " منها: معرفة الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها: الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال "[3]

وقد اعتنى المفسرون بمعرفة أسباب النزول وأفردوا فيه تصانيف أشهرها: "أسباب النزول للواحدي" و "باب النقول في أسباب النزول للسيوطي".

وقد أكثر الخطيب الشربيني من ذكر أسباب النزول ؛ فلا يكاد يترك آية من آيات القرآن الكريم نزلت على سبب إلا ويذكره أو يذكر عدة أسباب، وهو حين يفعل ذلك يبذل جهده في جمع ما يستطيع من أسباب النزول ، ويعرضها إما معزوة إلى قائليها أو دون عزوها إلي قائليها، وقد يذكر السبب مبتدأ به كتفسير للآية.

---

1 – هو علي بن وهب بن مطيع ،أبو الفتح تقي الدين القشيري ، المعروف بابن دقيق العيد،قاضي مجتهد ،من كتبه: إحكام الأحكام وتحفة اللبيب في التقريب، توفي ٧٠٢هـ ؛ ينظر: الأعلام للزركلي جـ٦ ص٢٨٣.

2 – هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي ، أبو العباس ، ولد ٦٦١ هـ وتوفي ١٣٢٨ هـ ، من تصانيفه : الجوامع في السياسة الشرعية ،والفتاوى ، والفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان ،رفع الملام عن الأئمة الأعلام؛ ينظر : الأعلام للزركلي جـ١ ص١٤٤ .

3 – مستقى من الإتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ٢ ص٦٧، والبرهان في علوم القرآن للزركشي جـ١ ص٢٦، ، ومناهل العرفان للزرقاني جـ١ ص١٠٦ ـ ص١١٢.

ويتضح ذلك في اتجاهاته التي استخلصتها من كتابه الـسراج المنيـر، والتى أعرض لها فيما يلى مع ذكر أمثلة لكل منها :

١ــ الإطالة فى ذكر أسباب النزول وعزوها الي قائليها:

كثيرًا ما يستفيض الخطيب الشربيني في ذكر الاختلاف فـي أسـباب النزول دون أن يعلق عليها بالصحة أوغيرهـا، فالقـارىء لتفـسيره يجـده حريصا على جمع ما ورد من روايات متعددة ومختلفة فى أسباب نزول الآية التي يتناولها بالتفسير دون أن يتعقبها ببيان بطلان بعـضها، ويعـزو هـذه الروايات إلى قائليها.

● كما كتب عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ : ﴿ **وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّـا بِـأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾[١]

فقال[٢]: "واختلف فى سبب نزول قول جبريل للنبى ﷺ : "وما نتنزل إلابأمر ربك" فقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: (يا جبريل ما منعك أن تزورنـا أكثر مما تزورنا) فنزلت الآية[٣]، وقال مجاهد: أبطأ الملك على رسـول الله ﷺ ليلة فقال لعلى: أبطأت قال: قد فعلت، قال: ولم لا أفعل وأنتم لا تتسوكون ولا تقصون أظفاركم ولا تنقون براجمكم ،وقال "وما تنزل إلا بـأمر ربـك" فنزلت[٤]،

---

1 – سورة مريم: آية ٦٤.

2 – ينظر: السراج المنير جــ٤ ص١٣٠، ص١٣١.

3 – أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب التفسير ، باب : سورة مريم (قولـه :ومـا نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا) ، وكتاب بـدء الخلـق، بـاب :ذكـر الملائكةــ صلوات الله عليهم ــ ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخـارى جـــ١٣ ص٣٣١ ، ٣٣٢ ح٤٧٣١، جــ٩ ص٤٦٩ ح ٣٢١٨ ..

4 – ذكره الواحدى فى أسباب النزول ص٢٥٣والجوزى فى زاد المسير فى علم التفسير للإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى المتـوفى سـنة=

وقال قتاده والكلبي[١]: احتبس جبريل ﷺ عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح، وسبب سؤالهم في ذلك ما روى أن قريشاً بعثت خمسة رهط إلى يهود المدينة يسألونهم عن صفة النبي ﷺ ، وهل يجدونه في كتابهم ؛ وسألوا النصارى فزعموا أنهم لا يعرفونه ، وقالت اليهود نجده فى كتابنا وهذا زمانه ، وقد سألنا رحمن اليمامة عن ثلاث فلم يعرف فسلوه عنهن فإن أخبركم عن خصلتين فاتبعوه ؛ فسألوه عن قصة أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فلم يدر كيف يجيب ، فوعدهم أن يجيبهم غدًا ، ولم يقل : إن شاء الله ؛ فاحتبس الوحى عنه أربعين يومًا، وقيل: خمسة عشر يومًا ؛ فشقّ ذلك عليه مشقة عظيمة ،وقال المشركون: ودعه ربه وقلاه ، فلما نزل جبريل ــ عليه السلام ــ قال له النبي ﷺ: أبطأت حتى ساء ظني واشتقت إليك، قال إني إليك أشوق ، ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست؛ فنزلت هذه الآية،وأنزل قوله ــ تعالى ــ:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا {23} إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الكهف:٢٤] و [سورة الضحى] [٢] ".

=٥٩٧ هـ ، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : احمد شمس الدين ط. دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ١٤١٤ هـ ــ ١٩٩٤ م الأولى جـ٥ ص ١٨٤.

[1] – ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسى ولد سنة ٤٨١ هـ وتوفى سنة ٥٤١ هـ ، ط. دار ابن حزم بيروت لبنان ١٤٢٣ هـ ــ ٢٠٠٢ م جـ٤ ص٢٤، والبغوى فى معالم التنزيل ؛ ينظر: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل للإمام علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى المعروف بالخازن المتوفى ٧٢٥ هـ وبهامشه تفسير البغوى المعروف بمعالم التنزيل لأبى محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوى المتوفى ٥١٦هـ، ط.دار الفكر ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م جـ١ ص ٢٥٣،والجوزى فى زاد المسير جـ٥ ص١٨٤،وأبو حيان فى البحر المحيط جـ٦ ص١٩١ .

[2] – أخرجه الطبرى فى تفسيره جـ١٥ ص ٢٢٨، وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص٢٥٣.

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّــذِينَ أَسْــرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[1] ذكر الخطيب الشربيني في سبب نزولها عدة روايات ؛ فقــال[2]: "روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ــ رضي الله عنهمــا: "أن ناسًــا مــن أهل الشرك كانوا قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا فأتوا النبــي ﷺ وقــالوا: إن الذي تدعو له لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة"[3] فنزلــت هــذه الآيــة. وروى عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس: "أنها نزلت فــي وحــشي قاتــل حمزة ــ رضي الله تعالى عنهما ــ حين بعث إليه النبي يدعوه إلى الإسلام ؛ فأرسل إليه كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلقى آثامًا يضاعف له العذاب يوم القيامة ؟! وأنا قد فعلت ذلك كلــه؛ فــأنزل الله سبحانه ــ وتعالى ــ : ﴿ **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا** ﴾ [مريم: ٦٠] فقال وحشي: هذا شرط شديد على لا أقدر عليه؛ فهل غير ذلك؟ فأنزل الله ــ تعالى ــ: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ فقال وحشي: أراني بعد في شبهه؛ فلا أدري أيغفر لي أم لا ؛ فأنزل الله ــ تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّــهِ** ﴾ الآيــة قال: نعم هذا ماجاء فأسلم ؛ فقال المسلمون: هذا له خاصة قال: بل للمسلمين عامة"[4].

---

1 – سورة الزمر: آية ٥٣.

2 – ينظر: السراج المنير جــ٦ ص٢٧٠، ٢٧١.

3 – أخرجه البخاري في صحيحه ــ كتاب التفسير، باب : سورة الزمر (قوله تعالى: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم...الآية ؛ ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري جــ ١٣ ص ٥٠٨ ح٤٨١٠ ،وأخرجه مسلم ــ في صحيحه كتاب الإيمان ، بــاب : كــون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج جــ١ ص١١٩ ، ١٢٠ح ١٢٢.

4 – أخرجه الطبراني في المعجم الكبير جـــ١١ ص١٥٧ ،١٥٨ ح ١١٤٨٠، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ــ كتاب: التفسير، باب: في سورة الزمــر جــــ٧ ص٢٢٤=

وروى عن ابن عمر قال: "نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا، وكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفًا ولا عدلاً أبدًا قد أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه؛ فأنزل الله هذه الآيات فكتبها عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ بيده، ثم بعثها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا"[1].

وروى عن ابن مسعود أنه دخل المسجد وإذا قاص يقص وهو يذكر النار والأغلال ؛ فقام على رأسه فقال: "يا مذكر لم تقنط الناس ، ثم قرأ: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ**﴾"[2] وعن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى) [3]

=٢٢٥ ح١١٣١٤، وقال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه أبين بن سفيان ضعفه الذهبى.

1 – ذكره الواحدى عن ابن عمر ــ رضى الله عنه ــ ص ٣٠٧ .

2 – أخرجه عبد الرزاق فى المصنف ــ كتاب الجامع ، باب : الرخص والشدائد؛ ينظر :المصنف للحافظ الكبير لأبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى ومعه كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدى رواية الإمام عبد الرزاق الصنعانى ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمى ، ط.المكتب الإسلامى ــ لبنان ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م الثانية جـ١١ ص٢٨٧ ح٢٠٥٥٨ ، وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير جـ٩ ص١٢٧ ح٨٦٣٥ ، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ــ كتاب العلم ، باب : القصص جـ١ ص٤٥٣ ح٩١٧ وعزاه إلى الطبرانى فى الكبير، وقال : رجاله ثقات ، ولكن الأعمش لم يدرك ابن مسعود .

3 –أخرجه الترمذى فى سننه ــ كتاب تفسيرالقرآن ، باب : ومن سورة الزمر جـ٥ ص٢١٠ ح٣٢٣٧، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ثابت عن شهر ابن حوشب ،قال : وشهر بن حوشب يروى عن أم سلمة الأنصارية ، وأم سلمة الأنصارية هى أسماء بنت يزيد.

وروى الطبراني: "أنه ﷺ قال: (ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بها ؛ أي: بهذه الآية ؛ فقال رجل: يا رسول الله ، ومن أشرك ؟ فسكت ساعة ، ثم قال: إلا من أشرك ثلاث مرات) [1]".

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: (كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانًا ثم خرج يسأل، فإذا راهب يسأله فقال: هل لي توبة، فقال: لا فقتله وجعل يسأل ؛ فقال رجل: ائت قرية كذا ، فأدركه الموت ، فنأى بصدره نحوها؛ فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله ـــ تعالى ـــ إلى هذه أن تقربي وإلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر؛ فغفرله) .وفى رواية: (فقال له: إني قتلت تسعة وتسعين نفسًا فهل لي من توبة ؟ فقال: لا؛ فقتله فكمل مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على عالم؛ فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال: نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة؛ انطلق إلى أرض كذا إلى أن قال: فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة) [2].

وعن ابن عمر: "قال كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أو نقول ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة حتى نزلت ﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ** ﴾ [محمد: ٣٣] فلما نزلت هذه الآية قلنا: ما هذا الذى يبطل أعمالنا؛ فقيل لنا: الكبائر والفواحش ؛ فكنا إذا رأينا من أصاب منها

---

1 –أخرجه أحمد في مسنده مسند ثوبان رضي الله عنه جـ١٦ ص٢٨٤، ٢٨٥ ح٢٢٢٦٢ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ـــ كتاب التفسير، باب: سورة الزمر جـ٧ ص٢٢٤ ح١١٣١٣ ونسبه إلى الطبراني في الأوسط ، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف ، وحديثه حسن.

2 – أخرجه البخاري في صحيحه ـــ كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب: رقم ٥١"بدون ترجمة" ح٣٤٧٠ ؛ ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ١٠ ص ٢٩١ـــ٢٩٤، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـــ كتاب :التوبة ، باب :قبول القاتل وإن كثر قتله جـ٤ ص ٤٢٤ ح ٢٧٦٦ .

شيئا خفنا عليه، ومن لم يصب منها شيئًا رجونا له ؛ فأنزل الله ـــ تعالى ـــ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[1].

● وكذلك فعل الخطيب الشربيني عند تفسيره لقوله ـــ تعالى ـــ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾[2] فقال[3]: "واختلف في سبب نزول قوله تعالى: "ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى" فقيل: فى اليهود ، وقيل: فى المنافقين، وقيل في فريق من الكفار، وقيل فى فريق من المسلمين ؛ لما روى أبو سعيد الخدرى قال: "كنا ذات ليلة نتحدث إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال ﷺ: (ما هذه النجوى ؟ فقلنا تبنا إلى الله ـــ تعالى ـــ يا رسول الله ؛ إذ كنا في ذكر المسيح ؛ يعنى: الدجال فرقًا منه؛ فقال رسول الله ﷺ: (ألا أخبركم بما هو أخوف عندى منه ؟ قلنا: بلى يا رسول الله ؛ قال: الشرك الخفى ؛ أن يقوم الرجل يعمل لمكان الرجل) [4] ذكره الماوردى.

وقال ابن عباس: "نزلت فى اليهود والمنافقين، كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم يوهمون المؤمنين أنهم يتناجون

---

1 – ذكره السيوطي في الدر المنثور عند تفسيره للآية ٣٣ من سورة محمد ، مع اختلاف النص عن ابن عمر إذ جعلها سبب نزول الآية "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " [النساء : ٤٨] بدلا من الآية ٥٣ من سورة الزمر؛ ينظر:الدر المنثور للسيوطى جـ٥ ص٥٥ .

2 – سورة المجادلة: جزء من آية ٨.

3 – ينظر: السراج المنير جـ٧ ص٣٤١.

4 –أخرجه أحمد فى مسنده ، مسند أبى سعيد الخدرى ح ١١١٩١ جـ١٠ ص٩٨ ، وقال محققه حمزة أحمد الزين : إسناده حسن ،وأخرجه ابن ماجه بنحوه جـ٣ ص٥٠٢ ح٤٢٠٤ ، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ـــ كتاب : الصلاة ، باب : فى النوم قبلها والحديث بعدها جـ٢ ص٦٢، ٦٣، ح١٧٦٤ ونسبه الهيثمى إلى أحمد عن أبى سعيد ، ورجاله ثقات.

فيما يسوءهم ؛ فيحزنون لذلك ، ويقولون: ما نراهم إلا وقد بلغهم من إخواننا الذين خرجوا فى السرايا قتل أو موت أوهزيمة؛ فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلما طال ذلك عليهم وأثر شكوا إلى رسول الله ﷺ؛ فأمرهم ألا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم؛ فأنزل الله ــ تعالى ــ: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى**﴾[1] ".

● ثم يبين سبب نزول قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ** ﴾ [2]فيقول[3]: " وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ ويقولون: السام عليك. والسام:الموت ، وهم يوهمون أنهم يقولون: السلام عليك ، وكان النبى ﷺ يرد عليهم فيقول: وعليكم ؛ فقالت السيدة عائشة. السام عليكم ولعنة الله وغضبه عليكم، فقال رسول الله ﷺ: مهلا يا عائشة ، عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش ؛ فقالت :أو لم تسمع ما قالوا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: (أولم تسمعي ما قلت، رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيّ) [4] وقال النبى ﷺ عند ذلك: (إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: عليك ما قلت) [5]فأنزل الله ــ تعالى ــ: ﴿**وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ**﴾ ".

---

1 – ذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٣٣٨ .

2 –سورة المجادلة : جـزء من آية ٨.

3 – ينظر: السراج المنير جـ٧ ص٣٤٢.

4 –أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب : الأدب ، باب : لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولامتفحشًا ؛ ينظر: فتح البارى جـ ١٦ ص ٣٢٩ ، ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب: السلام ، باب : النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم جـ٤ ص٨ ،٩ ح٢١٦٥ .

5 –أخرجه الترمذى فى سننه ــ كتاب :التفسير ، باب : ومن سورة المجادلة جـ٥ ص ٢٤٤ ح ٣٣٠١ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الأدب ، باب : رد السلام على أهل الذمة جـ ٣ ص ٣٠٦ ح ٣٦٩٧ ، وأخرجه ابن أبى شيبة بنحوه فى المصنف ــ كتاب : الأدب ، باب : رد السلام على أهل=

● وعند تفسيره لقوله ـــ تعالى ـــ: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾[1] جمع الخطيب الشربيني ما استطاع من أسباب النزول ؛ فقال[2]:" واختلف في سبب نزول سورة "قل أعوذ برب الفلق" فقال ابن عباس وعائشة ــ رضي الله عنهما ــ : كان غلام من اليهود يخدم النبي ﷺ فدنت إليه اليهود فلم يزالوا به؛ حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه وأعطاها اليهود، فسحروه فيها، وتولى ذلك لبيد بن الأعصم رجل من اليهود؛ فنزلت هذه "قل أعوذ برب الفلق" فيه[3].

وعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ : (أن النبي ﷺ طب؛ أي: سحر؛ حتى كأنه يخيل إليه أنه صنع شيئا وما صنعه وأنه دعا ربه، ثم قال: أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، فقالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ : وما ذاك: يا رسول الله ؟ قال: جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل ؟ فقال الآخر: مطبوب، قال: من طبه ؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في ماذا ؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال : في ذروان، وذروان بئر بني زريق، قالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ: فأتاها الرسول ﷺ ثم رجع إلى عائشة؛ فقال: والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين، قالت :

=الذمة؛ ينظر: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي المتوفى ٢٣٥ هـ ضبطه وصححه ورقمه محمد عبد السلام شاهين ، ط. دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ١٤٢٦ هـ ــ ٢٠٠٥م الثانية جـ٥ ص٢٥١ح ٢٥٧٥١ .

1 – سورة الفلق: آية ١.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٤٦٩.

3 –ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٨١ .

فقلت: يا رسول الله ،هل أخرجته ؟ قال أما أنا فقد شفاني الله ، وكرهت أن أثير على الناس منه شرا) [١].

وعن زيد بن أرقم قال: (سحر النبيّ ﷺ رجلٌ من اليهود؛ فاشتكى ذلك أيامًا وأتاه جبريل ــ عليه السلام ــ فقال:إن رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدًا في بئر كذا وكذا. فأرسل رسول الله ﷺ عليًا فاستخرجها فجاء بها، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة ، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، قال: فما ذكر ذلك اليهودي ولا أرى وجهه قط) [٢] وروى: (أنه كان تحت صخرة في البئر، فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة فإذا فيها مشاطة من رأسه ﷺ وأسنان مشطه) [٣]. وعن مقاتل والكلبي[٤]: كان ذلك في وتر عقد عليه إحدى عشرة عقدة، وقيل[٥]: كانت مغروزة بالإبرة ؛ فأنزل الله

---

[1] –أخرجه البخاري في صحيحه ــ ، كتاب: بدء الخلق ، باب: صفة إبليس وجنوده ، وكتاب: الطب، باب :السحر وكتاب: الأدب، باب : قوله ــ تعالى ــ :(إن الله يأمربالعدل والإحسان .. الآية ؛ ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ٩ ص ٥٢٥ ح٣٢٦٨، جـ ١٦ ص ٤٥ ــ ٥٣ح٥٧٦٣ ، جـ١٦ ص ٣٦٢، ٣٦٣ح٦٠٦٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ــ كتاب :السلام ، باب : السحر جـ٤ ص ٢١ ،٢٢ ح٢١٨٩.

[2] – أخرجه النسائي في سننه ــ كتاب: تحريم الدم ، باب: سحرة أهل الكتاب جـ٤ ص ٣١ ح ٤٠٩١ ،وقال محققوه :صحيح ، وأخرجه أحمد في مسنده ، مسند زيد بن أبي أرقم جـ١٤ ص٤٢٥ ــ٤٢٧ ح١٩١٦٣ ، ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ــ كتاب: الحدود ، باب: ما جاء في الساحر جـ٦ ص٤٣٦ ح١٠٦٩١، وقال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح .

[3] –ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٨١ .

[4] –أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ، باب الرقية بكتاب الله ؛ ينظر : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر بن الحسين البيهقي ٣٨٤ ــ ٤٥٨ هـ، تحقيق : عبد العاطي قلعجي ، ط.دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م جـ٧ص٩٤ من رواية عائشة .

[5] –ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٨١ .

فأنزل الله هاتين السورتين، وهما إحدى عشرة آية؛ سورة الفلق خمس آيات، وسورة الناس ست آيات ، كلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها؛ فقام ﷺ كأنما نشط من عقال. وروى: أنه لبث فيه ستة أشهر اشتد عليه بثلاث ليال فنزلت المعوذتان. وروى[1]: أنه كان يخيل له أنه يطأ زوجاته، وليس بواطئ ؛ قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر.

وعن أبي سعيد الخدرى: (أن جبريل ــ عليه السلام ــ أتى النبى ﷺ فقال: يا محمد، اشتكيت؟ قال: نعم ؛ قال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد، والله يشفيك باسم الله أرقيك) [2] ".

وهكذا نجد الشيخ الخطيب الشربينى عند شرحه لكثير من الآيات القرآنية يرصد ما يستطيع جمعه من أسباب النزول فينقلها لنا معزوة إلى قائليها دون ترجيح أحدها أو مناقشتها وتصحيحها.

٢ــ ذكر الأسباب دون عزوها إلي قائليها:

المتتبع لتفسير الخطيب الشربينى يجده يذكر أسبابًا لنزول الآية القرآنية دون عزو هذه الأقوال إلى قائليها؛ ومن أمثلة ذلك:

● ما كتبه عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾ [3] إذ يقول فى سبب نزولها ؛[4]:

---

[1] -أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب : الطب ، باب : هل يستخرج السحر ؟ جزء من رواية عن عائشة ؛ ينظر فتح البارى جــ١٦ ص ٥٦ح ٥٧٦٥ ، وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص٣٨١ .

[2] -أخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : السلام، باب :الطب والمرض والرقى جــ٤ ص ٢٠ ح٢١٨٦ .

[3] -سورة الأنفال : جزء من آية .

[4] – ينظر: السراج المنيرجــ٢ ص ٣٣٣ .

نزلت فى المُطْعِمِينَ يوم بدر ، وكانوا إثنى عشر رجلاً منهم : أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وكلهم من قريش ، وكان يطعم كل واحد منهم أيام بدر عشر جزائر ، أو فى أبى سفيان ؛ استأجر يوم أحد ألفين من العرب سوى من استجاش أى : اتخذه جيشاً، وأنفق عليهم أربعين أوقية ، والأوقية اثنان وأربعون مثقالاً ، أو فى أصحاب العير ؛ فإنه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم : أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثأرنا ففعلوا "[١].

● وحينما تناول بالتفسير قوله ــ تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٢] قال الخطيب الشربينى[٣]: " نزلت هذه الآية فى سعد ابن أبى وقاص الزهرى وأمه حمنة بنت أبى سفيان بن أمية بن عبد شمس: 'روى أنها لما سمعت بإسلامه قالت له: يا سعد بلغنى أنك قد صبأت؛ فوالله لا يظلنى سقف بيت من الضح ــ وهو بكسر الضاد المعجمة وبحاء مهملة ــ : الشمس والريح، وإن الطعام والشراب علىّ حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب أولادها إليها فأبي سعد ولبثت ثلاثة أيام لا تنتقل من الضح ولا تأكل ولا تشرب فلم يطعها سعد ، بل قال: والله لو كانت مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما كفرت بمحمد ﷺ ثم جاء سعد إلى النبى ﷺ وشكا إليه

---

1 –ذكر الواحدى الأسباب الثلاثة فى أسباب النزول ص ١٩٩ ،٢٠٠ ، نسب الأول لمقاتل والكلبى، والثانى لسعيد بن جبير ، والثالث لمحمد بن اسحاق.

2 – سورة العنكبوت: آية ٨.

3 – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص١٨٤، ص١٨٥.

فنزلت هذه الآية، وهي التي في لقمان والتي في الأحقاف ؛ فأمره ﷺ أن يداريها ويترضاها بالإحسان"[1] ".

● وفي تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾[2] قال الخطيب الشربيني[3]: " وقيل نزلت في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة خال الأخنس بن شريق الثقفي 'وذلك أن عديًا أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد حدثني عن القيامة متى تقوم؟ وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبي ﷺ بذلك ؛ فقال[4]: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أؤمن بك، أو يجمع الله العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب ، وبعدما نسفتها الرياح وطيرتها في أباعد الأرض ؟! ولهذا كان النبي ﷺ يقول: اللهم اكفني جارَي السوء عدي بن ربيعة و الأخنس بن شريق'. وقيل نزلت في عدو الله أبي جهل ؛ أنكر البعث بعد الموت وذكر العظام ".

وهكذا في مواضع عديدة يستفيض الخطيب الشربيني في ذكر أسباب النزول دون أن يعزو ما يذكره من آراء إلى قائليها أو يناقشها أو يصححها أو يرجح أحدها.

٣ـ ذكره لمن أخرج أسباب النزول من أصحاب كتب السنة:

وقد يذكر الخطيب الشربيني أحياناً أسباب النزول معزوة إلى من خرّجها من أصحاب كتب السنة؛ ومثال ذلك:

---

1 – أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب : فضائل الصحابة ، باب : في فضل سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ بلفظ آخر في حديث طويل فيه أربع قصص لأربع آيات نزلت في سعد بن أبي وقاص ، جـ٤ ص١٨٢، ١٨٣ ح١٧٤٨ .

2 – سورة القيامة: آية ٣.

3 – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص٦٧، ٦٨.

4 –ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٦٤.

● قوله ــ تعالى ــ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[1] عند ذكره لسبب نزول الآية الكريمة ؛ قال الخطيب الشربينى[2]: "وفى مسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ: (أمره بالتوحيد ؛ فقال : لولا أن تعيرنى قريش ؛ تقول: إنما حمله على ذلك الجزع ــ لأقررت بها عينك؛ فأنزل الله ــ تعالى الآية) [3] "

● وقوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[4] عند ذكره لأسباب النزول ؛ قال [5]: " وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال: "مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال النبى ﷺ: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر ؛ فقال بعضهم: هذه رحمة الله ــ تعالى ــ وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا ؛ قال: فنزلت هذه الآية ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ حتى بلغ ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾)[6] ".

---

1 – سورة القصص: آية ٥٦.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص١٥٧، ص١٥٨.

3 – أخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع فى النزع وهو الغرغرة ، ونسخ جواز الاستغفارللمشركين ، والدليل على أن من مات على الشرك فهو فى أصحاب الجحيم ولا ينقذه من ذلك شىء من الوسائل جـ١ ص٦٢ ح (٢٥).

4 – سورة الواقعة: آية ٨٢.

5 – ينظر: السراج المنير جـ٧ ص٣٠٠.

6 – أخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : الإيمان ، باب :بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء جـ١ ص٩١ ح٧٣ .

● وقوله ــ تعالى ــ: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] ففي ذكر سبب نزولها قال[2]: " روى البخاري عن زيد ابن أرقم قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال: لئن رجعت إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل؛ فذكرت ذلك لعمر، فذكره عمي لرسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي و أصحابه فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبني؛ فأصابني همّ لم يصبني مثله؛ فجلست في بيتي، فأنزل الله ــ عز و جلّ ــ "إذا جاءك المنافقون" إلى قوله تعالى "هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله" و قوله (ليخرجن الأعز منها الأذلّ) فأرسل إليّ رسول الله ﷺ ثم قال: (إنّ الله قد صدقك) [3].

و روى الترمذيّ عن زيد بن أرقم قال: (غزونا مع رسول الله ﷺ، و كان معنا أناس من الأعراب نبتدر الماء ، و كان الأعراب يسبقونا فيسبق الأعرابيّ أصحابه فيملأ الحوض، و يجعل حوله حجارة و يجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه، قال: فأتى رجل من الأنصار أعرابياً فأرخى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه، فانتزع حجراً ففاض الماء؛ فرفع الأعرابيّ خشبة فضرب بها رأس الأنصاريّ فشجّه، فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين و أخبره و كان من أصحابه ؛ فغضب عبد الله بن أبي، ثم قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، يعني: الأعراب و كانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام، فقال عبد الله: إذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمد بالطعام ، فليأكل هو و أنا ردف عمي فسمعت عبد الله بن أبي

---

1 – سورة المنافقون: آية ٢.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٧ ص٤٣٩،٤٤٠.

3 – أخرجه البخاري ــ كتاب : التفسير، باب : قوله: سورة المنافقين جـ ١٤ ص ٣٧ــ٤٠ ح ٤٩٠٠ ، وأخرجه مسلم بنحوه في كتاب:صفات المنافقين وأحكامهم جـ٤ ص٤٤٦ ح٢٧٧٢ .

فأخبرت عمّي فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ فحلف و جحد، قال: ما أردت إلا أن مقتك رسول الله و كذلك المنافقون، قال: فوقـع على من جرائتهم ما لم يقع على أحد، قال: فبينما أنا أسير مع رسـول الله ﷺ في سفر قد خفقت رأسي من الهمّ، إذا أتاني رسول الله ﷺ فعـرك أذنـي، و ضحك في و جهي فكان ما يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا، ثم إن أبا بكـر لحقني فقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قلت: ما قال لي شيئاً إلا أنه عرك في أذني و ضحك في وجهي، فقال: أبشر، ثم لحقني عمر؛ فقلت له مثل قـولي لأبي بكر، فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين)[1] قال الترمـذيّ: هذا حديث حسن صحيح " .

٤- تصحيح سبب النزول:

و أحياناً يذكر الخطيب الشربيني سبب النزول ثم يصححه.

● ومثال ذلك ما كتبه في تفسيره لقوله ــ تعــالى ــ: **وَلاَ تُـسْأَلُ عَـنْ أَصْحَابِ الْجَحِـيمِ** ﴾[2] قال الخطيب الشربيني[3]: " قال عطاء عن ابن عباس: وذلك أن النبي ﷺ قال ذات يوم: (ليت شعري ما فعل أبو أبي)[4] فنزلت هذه الآية؛ فنهى عن السؤال عن أحوال الكفرة و الاهتمام بأعداء الله ــ تعــالى ــ لكن الخبر ضعيف و المختار أنها نزلت في كفار أهل الكتاب " .

---

1 – أخرجه الترمذي في سننه ــ كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سـورة المنـافقين جـ٥ ص ٢٥١ ح٣٣١٢ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صـحيح ، وأخرجـه الحاكم في المستدرك ــ كتاب : التفسير ، باب: تفسير سورة المنافقين جـــ٢ ص٥٣١ ح٣٨١٢، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

2 – سورة البقرة: من آية ١١٩.

3 – ينظر: السراج المنير جـ ١ ص١٤١ص١٤٢.

4 –ذكره الواحدي في أسباب النزول ص٣٣ .

● و أيضاً يصحح سبب نزول قوله ــ تعالى ــ:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُـوَاتِ الـشَّيْطَانِ إِنَّـهُ لَكُـمْ عَـدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾[1]إذ يقول [2]: " واختلف في سبب نزول قوله ــ تعالى ــ: 'يـا أيهـا الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيبا" فقال البيضاوي[3]: نزلت فـي قـوم حرّموا على أنفسهم رفيع الأطعمة و الملابس ؛ أي: لا على وجه التورع كما تفعله الصوفية ؛ وما قاله قول مرجوح ؛ كما قاله شيخنا القاضـي زكريـا، والمشهور أنه نزلت فيهم آية المائدة وهي ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُـواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ**﴾ [المائدة ٨٧] وأما هذه الآية ــ يقصد آية البقـرة ــ فإنها نزلت في الكفار الذين حرّموا البحائر و السوائب و الوصائل و نحوهـا و من ثم عبر هنا ــ أي في آية البقرة ــ بيا أيها الناس و ثَمَّ ــ يقـصد فـي آية المائدة ــ بيا أيها الذين آمنوا "[4].

● وكذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ : ﴿ **وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُـشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـئِكَ يَـدْعُونَ إِلَـى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِـهِ وَيُبَـيِّنُ آيَاتِـهِ لِلنَّـاسِ لَعَلَّهُـمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[5] يذكر سبب نزول هذه الآية فيقـول[6]: " روى أنـه ــ عليـه الصلاة و السلام ــ بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى مكة، ليخرج منهـا ناسًا من المسلمين سراً، فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها(عناق) وكانت خليلته في الجاهلية، فأتته و قالت: يا مرثد ألا تخلو ، فقال لها: نعم ،

---

1 – سورة البقرة: آية ١٦٨ .

2 – ينظر: السراج المنير جــ١ ص١٧٦بتصرف.

3 – ينظر: حاشية زادة على البيضاوي جــ٢ ص٤١٣ .

4 – أورده الواحدي في أسباب النزول ص٣٤ــ٤٤ ح١٦٨ ، من طريق الكلبي .

5 – سورة البقرة: آية ٢٢١.

6 – ينظر : السراج المنير جــ١ ص٢٢٦.

ولكن أستأمر رسول الله ﷺ، فلما رجع إليه ؛ قال: يا رسول الله أيحلّ لي أن أتزوج بها ؟ فأنزلت هذه الآية "[1].

ثم يشير الخطيب الشربيني إلى أن ما ذكره هو الصحيح في سبب نزول الآية ، ويرد ما رواه أبو داود و غيره ؛ فيقول[2]: " هذا ما أورده الواحدى[3] وغيره، ولكن الذى رواه أبو داود وغيره أنه سبب فى نزول آية النور: ﴿**الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً**﴾[النور: ٣] الآية، والآية إن كانت شاملة للكتابيات ، لكنها مخصوصة بغيرهن بقوله : ﴿ **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ** ﴾ [المائدة ٤٥] وقد تزوج عثمان بنصرانية ؛ فأسلمت ، وتزوج حذيفة بيهودية ، وطلحة بن عبيد الله بنصرانية ".

---

[1] –أخرجه أبو داود فى سننه ــ كتاب : النكاح ، باب : قوله تعالى : الزانى لاينكح إلا زانية جــ٢ ص٨٧٦ ح٢٠٥١ ، وأخرجه الترمذى ــ كتاب : تفسير القرآن ،باب:ومن سورة النور جــ٥ ص١٧٢،١٧٣ح ٣١٧٧ وقال أبو عيسى:هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ــ كتاب: النكاح جــ٢ ص١٨٠ ح٢٧٠١، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

[2] – ينظر: السراج المنير جــ١ ص٢٢٦.

[3] – أسباب النزول للواحدى ص ٥٩ ، ٦٠ .

موقفه من الأحكام الفقهية

يتضمن القرآن الكريم الأحكام الفقهية بمصالح العباد في دنياهم وأخراهم، وكان المسلمون على عهد رسول الله ﷺ يرجعون إليه ﷺ لفهم ما أشكل عليهم منها، ولما توفى ﷺ جَدَّت للصحابة حوادث تتطلب أحكامًا شرعية، فكان أول ما يرجعون إليه لاستنباط هذه الأحكام هو القرآن الكريم، ثم إلى سنة رسول الله ﷺ ، فإن لم يجدوا فيها حكمًا اجتهدوا وأعملوا رأيهم في ضوء القواعد الكلية للكتاب والسنة وما سمعوه ونقلوه عن النبي ﷺ، ونَهَج التابعون نَهْجَ الصحابة ؛ فجمعوا أقوالهم وأضافوا إليها استنتاجاتهم التى عالجوا بها ما حدث فى عصرهم من قضايا وأحداث، وظل الأمر على هذا إلى أن ظهر الأئمة الأربعة وغيرهم.

" وقد عُنى المفسرون بالأحكام الفقهية التى تضمنتها الآيات القرآنية ومنهم من أفرد لها مصنفات ذكر فيها الأحكام الفقهية فقط مع بيان أدلتها، وترجيح أدلة مذهبه والانتصار له ، كما فعل أبو بكر الرازى[1] من الحنفية المعروف بالجصّاص فى كتابه (أحكام القرآن)، ومن الشافعية أبو الحسن الطبرى[2] المعروف بالكيا الهراسي فى كتابه (أحكام القرآن)،وأبو بكر بن

---

[1] – هوأحمد بن على الرازىّ أبو بكر الجصّاص ، فاضل من أهل الرَّىّ سكن بغداد ومات فيها انتهت إليه رئاسة الحنفية وخوطب فى أن يلى القضاء فامتنع وألّف كتاب أحكام القرآن وكتاباً فى أصول الفقه ، توفى عام ٣٧٠ هـ ؛ ينظر: الأعلام للزركلى جـ١ص١٧١.

[2] –هو على بن محمد بن على أبو الحسن الطبرى ، الملقب بعماد الدين،المعروف بالكيا الهراسى ، فقيه شافعي ، مفسر ولد فى طبرستان ، وسكن بغداد ، من كتبه : أحكام القرآن، توفى عام ٥٠٤ ؛ ينظر: الأعلام للزركلى جـ٤ ص٣٢٩.

العربى[1] من علماء المالكية فى كتاب (أحكام القرآن)، [2].

وبعض المفسرين يعرضون أقوال الفقهاء أثناء تفسيرهم لآيات الأحكام ويبدءون بأقوال السلف التى تتناسب مع أقوال إمام مذهبهم ، وينتصرون لهذا المذهب ويطيلون بذكر أدلته، والرد على المذاهب الأخرى وإبطـــال أدلـــتهم، كما فعل الألوسى[3] فى تفسيره (روح المعانى) والفخر الرازى فى تفـــسيره (مفاتيح الغيب) والقرطبى[4] فى تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) وغيرهم.

والخطيب الشربينى من المفسرين الذين اهتموا بالأحكام الفقهيـــة فـــى تفسيرهم للقرآن الكريم لكنه لا يتوسع فى عرضها ولا يستفيض فى عـــرض ومناقشة الاختلافات بين المذاهب الفقيهة إلا قليلا، وإنمـــا يتنـــاول المـــسائل الفقهية بما يعين على فهم المراد من الآية الكريمة ؛ فعنـــدما تتبعـــت آيـــات الأحكام في تفسيره وجدته يعرض الآراء الفقهية أحيانًـــا دون عَزْوهـــا إلـــى قائليها، وأحيانًا يناقش الآراء ويرجح أحدها ، وكثيرًا ما يقتصر على الـــرأى

---

1 – هو محمد بن عبد الله بن محمد الأشبيليّ المالكيّ ، أبو بكر بن العربى ، قاضٍ ، من حفاظ الحديث، برع فى الأدب وبلغ رتبة الاجتهاد فى علوم الدين، من مصنفاته أحكام= =القرآن والناسخ والمنسوخ والإنصاف فى مسائل الخلاف ، توفى عام٥٤٣هـــ ؛ ينظر: الأعلام للزركلى جـــ٦ص٢٣٠.

2 – مستقى من مقدمة أحكام القرآن لأبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى ٤٦٨ ـــ٥٤٣هـــ ـــ ط . دار الفكر بيروت لبنان ، الجزء الأول ص/ز،ح بتصرف.

3 –هو محمود بن عبد الله الحسينى الألوسى ، شهاب الدين أبو الثناء ، مفسر، محـــدث، أديب ، من كتبه روح المعانى فى التفسير ومقامات فى التصوف والأخلاق ، توفى سنة ١٢٧ هـــ ؛ ينظر: الأعلام للزركلى جـــ٧ ص ١٧٦ .

4 –هو محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج الأنصارى الخزرجى الأندلسى أبو عبد الله، القرطبى من كبار المفسرين ، من أهم كتبه: الجامع لأحكام القـــرآن ويعـــرف بتفـــسير القرطبى، توفى سنة ٦٧١ هـــ ؛ ينظر: الأعلام للزركلى جـــ٥ ص٣٢٢.

الذى يختاره، وغالبا ما يكون رأى أصحابه ؛ فهو يميل لمذهبه الشافعىّ[1]، وتتبلور رؤيته للأحكام الفقهية فى تفسيره على النحو التالى :

١- يميل لمذهبه الشافعىّ.

٢- لا يتوسع فى عرض المذاهب الفقهية.

٣- يعرض الأقوال ويناقشها.

٤- يعرض الأقوال ويناقشها ويرجح أحدها.

وفيما يلى أتناول هذه الاتجاهات بالأمثلة من تفسيره:

١-يميل لمذهبه الشافعىّ:

الخطيب الشربينى شافعىّ المذهب ، يعتمد فى الفقه والأحكام على المذهب الشافعىّ بصورة رئيسة ؛ فإذا أتى على الآيات التى تتناول أحكامًا اهتم بعرض رأى الشافعىّ ، وقد يقتصر عليه ، وقد يعرض أقوال أهل العلم فى معناها ، وما يتعلق بها من قضايا فقهية ولكنه يقدم رأى الشافعىّ ، وأحيانًا يحقق الأقوال ويرجح ويقارن ، ولكنه فى اختياراته يميل غالبًا للمذهب الشافعىّ ويتضح هذا من الأمثلة الآتية:

أ- القُرْء:

يقول الخطيب الشربينى فى تفسير قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ** ﴾[2][3]: "تمضى من حين الطلاق ، جمع قرء بفتح القاف وضمها ، وهو يطلق للحيض لقوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ

---

[1] – المذهب الشافعى هو أحد المذاهب الفقهية السُّنّية الأربعة الكبرى فى العالم الإسلامى، وسمى بالمذهب الشافعىّ نسبةً إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعىّ رحمه الله؛ ينظر : التعريفات للجرجانى ص ١٢٥ .

[2] – سورة البقرة : جزء من آية ٢٢٨ .

[3] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٣٢٢.

كما رواه أبو داوود وغيره : (دعي الصلاة أيام أقرائك)[1] وللطهر الفاصل بين حيضتين وهو المراد في الآية ؛ لأنه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال العلماء".

فالخطيب الشربيني هنا فسّر القرء في الآية بالطهر كما هو مذهب الإمامين مالك [2]والشافعيّ ، لا بالحيض كما هو مذهب الإمامين أبي حنيفة وأحمد ".

ب- الرشد:

يرى الخطيب الشربيني أن المراد بالرشد في آية النساء صلاح العقل والدين والأموال ، فيقول عند تفسيره قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَإِنْ آنَسْتُم** ﴾[3] أي: "أبصرتم، 'منهم رشدًا' وهو صلاح الدين والمال ؛ أما صلاح الدين فلا يَرتكب محرمًا يسقط العدالة من كبيرة أو إصرار على صغيرة ويعتبر في رشد الكافر في دينه ، وأما صلاح المال فلا يضيعه بإلقائه في بحر أو يصرفه في محرّم أو باحتمال الغَبْن الفاحش في المعاملة ونحوه، وليس صرفه في الخير بتبذير، ولا صرفه في الثياب والأطعمة النفيسة وشراء الجواري والاستمتاع بهن ؛ لأن المال يتخذ لينتفع به"[4].

---

1 – أخرجه مسلم في كتاب : الحيض ، باب : المستحاضة وغسلها وصلاتها جزء من حديث ٣٣٣ جـ ١ ص٢٧٢، ٢٧٣ بلفظ " فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة"، وأبو داود في سننه ــ كتاب: الطهارة ،باب : من قال تغتسل من طهر إلى طهر جـ١ ص١٥٦ ح ٢٩٧ .

2 – هو الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي المدني ، إمام دار الهجرة ، أحد أئمة المذاهب المتبعة ، من تابعي التابعين توفي سنة ١٧٩ هـ ؛ ينظر: سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي شمس الدين ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ،ط. مؤسسة الرسالة ــ بيروت السابعة جـ٦ ص١٥٩ .

3 – سورة النساء: جزء من آية ٦.

4 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٤١.

فالخطيب هنا يميل أيضًا للشافعية في هذه المسألة، وهذا بخـــلاف قـــول الأحناف ؛ فالمقصود بالرشد عندهم العقل.

جـــ- حد الزنا:

يقول الخطيب الشربيني في تفسيره قوله ــ تعالى ــ: ﴿**أَوْ يَجْعَلَ اللَّـــهُ لَهُنَّ سَبِيلاً**﴾[1][2]: "أي طريقًا إلى الخروج منها ، أمروا بذلك أول الإسلام ثم جعل الله لهن سبيلا بجلد البِكْر مائةً وتغريبها عامًا ورجم المحـــصن ، وفـــي الحديث لمّا بيّن الحَدّ قال :(خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن ســـبيلا) [3] رواه مسلم".

وعلى هذا نجده يقتصر على مذهب الشافعيّ ؛ لأنه هو الذي زاد في غير المحصَن تغريب عام للحديث.

د- اشتراط الإيمان في الرقبة:

" ويقول في كفارة الظّهار عند تفسيره لقوله ــ تعـــالى ــ: ﴿ **فَتَحْرِيـــرُ رَقَبَةٍ**﴾[4] [5]:أي فعليهم بسبب هذا الظهار والعود تحرير "رقبة" مؤمنـــة فـــلا تجزئ كافرة، قال ــ تعالى ــ في كفارة القتل: ﴿ **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَـــةٍ** ﴾[6] وألحق بها غيرها قياسًا عليها بجامع حرمة سببيهما من القتـــل والظهـــار، أو حملا للمطلق على المقيد كما في حمل المطلق في قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَشْهِدُواْ**

---

[1] – سورة النساء: جزء من آية ١٥.

[2] – ينظر: السراج المنير جـــ١ ص٤٤٩،٤٥٠.

[3] – أخرجه مسلم في صحيحه ــ كتاب :الحدود ، باب :حـــد الزنـــا جـــــ٣ ص172 ح١٦٩٠.

[4] – سورة المجادلة: جزء من آية ٣.

[5] – ينظر: السراج المنير جـــ٧ ص٣٣٥.

[6] – سورة النساء: جزء من آية ٩٢.

شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ ﴾[1] على المقيد في قوله تعالى: **﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾**[2] ".

وهكذا يشترط فيها الإيمان قياسًا على كفارة القتل على رأى الشافعيّ.

هـ- نصيب قرابة الرسول ﷺ فى الفَيْء:

كما يأخذ الخطيب الشربينى برأى الشافعيّ فى عدم إسقاط حق قرابة رسول الله ﷺ بوفاته ولو كانوا أغنياء ؛ فعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: **﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾**[3] يقول[4]: " ولذى القربى أى: منه وهم مؤمنو بنى هاشم وبنى عبد المطلب ؛ لاقتصاره في القَسْم عليهم مع سؤال غيرهم من بنى عمهم نوفل وعبد شمس له ولقوله ﷺ: (أما بنو هاشم وبنو عبد المطلب فشيء واحد، وشبك بين أصابعه)[5] فيعطون ولو أغنياء لأنه ﷺ أعطى العباس وكان غنيًا ".

وهذا رأىّ الشافعيّ فى قَسْم الفَيْء إذ يرى إعطاء قرابة النبى ﷺ بعد وفاته ولو كانوا أغنياء.

---

1 – سورة البقرة: جزء من آية ٢٨٢.

2 – سورة الطلاق: جزء من آية ٢.

3 – سورة الحشر: جزء من آية ٧.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٧ص٣٦٧ .

5 –أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب : فرض الخمس ، باب : ومن الدليل على أن الخُمس للإمام وأنه يعطى بعض قرابته دون بعض ، ما قسم النبى ﷺ لبنى المطلب وبنى هاشم من خمس خيبر ؛ ينظر : فتح البارى جـ٩ ص٣٢٩ ــ ٣٣٢ ح ٣١٤٠ بلفظ آخر.

٢-لا يتوسع فى عرضه للمذاهب الفقهية:

المتتبع لآيات الأحكام فى تفسير الخطيب الشربينى يجده لا يتوسع فى عرض المذاهب الفقهية ، ولا يكثر من ذكر الفروع ، فكثيرا ما يتناول الحكم الفقهىّ بما يعين على فهم الآية فقط ومن أمثلة ذلك:

● عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ** ﴾[١] يقول[٢]: " أى ولا تزوّجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهذا على عمومه بإجماع .

● وكذلك عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ** ﴾[٣]

يقول[٤]: وبيّنت السنّة[٥] أن دية الخطأ مائة، من الإبل عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون

---

1 – سورة البقرة: جزء من آية ٢٢١.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٢٧.

3 – سورة النساء: جزء من آية ٩٢.

4 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٥٠٦.

5 – أخرج الترمذى فى سننه ـ كتاب : الديات ، باب : ما جاء فى الدية كم هى من الإبل جـ٣ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ ح ١٣٨٦ ، عن عن ابن مسعود ، قال : قضى رسول الله ﷺ فى دية الخطأ عشرين بنت مخاض ، وعشرين بنى مخاض ذكورًا ، وعشرين بنت لبون ، وعشرين جذعة ، وعشرين حقة "وقال أبو عيسى : حديث ابن مسعود لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقد روى عن عبد الله موقوفًا، وأخرجه أبو داوود فى سننه ـ كتاب الديات ، باب : الدية كم هى ؟ جـ٤ ص١٩٤٨ ح ٥٤٥٤ ، وأخرج البخارى فى صحيحه ـ كتاب: الديات ، باب : جنين المرأة ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: اقتتلت امرأتان من هذيل رمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلها وما فى بطنها ، فاختصموا إلى النبى ﷺ فقضى أن دية جنينها غرة عبد أو وليدة ، وقضى أن دية المرأة على عاقلتها ؛ ينظر: فتح البارى جـ١٨ ص٣٥٣ ح٦٩١٠ .

جذعة، وأن عاقلة القاتل تتحملها عنه وهم عصبيته لا أصله وفرعه موزعة عليهم على ثلاث سنين على الغنى منهم نصف دينار والمتوسط ربع دينار كل سنة فإن لم يفوا فبيت المال ".

● وعندما بيّن كفارة اليمين فى قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ** ﴾[1] يقول[2]:" أى: لكل مسكين مُدّ عندنا ونصفُ صاعٍ عند أبى حنيفة[3] رحمه الله ".

● وأيضًا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ** ﴾[4]

يقول[5]:" ويؤخذ من ذلك أن إجابته ﷺ بالقول: لا تقطع الصلاة وهو كذلك، بل ولا بالفعل الكثير كما قال بعض أصحابنا وهو ظاهر الحديث[6] أيضًا".

---

1 – سورة المائدة: جزء من آية ٨٩.

2 – ينظر: السراج المنير جــ٢ ص٣٢٥.

3 –هو النعمان بن ثابت بن زوطىّ بن ماه الفقيه الكوفى ولد سنة ٨٠ هــ،كان إمامًا فى الفقه والقياس ، توفى سنة ١٥٠ هــ ؛ ينظر: شذرات الذهب جــ١ ص٢٢٧ .

4 – سورة الأنفال: جزء من آية ٢٤.

5 – ينظر: السراج المنير جــ٢ ص٣٢٥.

6 – أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب : التفسير، باب : ما جاء فى فاتحة الكتاب عن أبى سعيد بن المعلى قال: كنت أصلى فى المسجد فدعانى رسول الله ﷺ فلم أجبه ، فقلت :يا رسول الله إنى كنت أصلى فقال : ألم يقل الله ــ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ــ ثم قال لى : لأعلمنك سورة هى أعظم السور فى القرآن .قبل أن تخرج من المسجد .ثم أخذ بيدى فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن ؟ قال : الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى . والقرآن الذى أوتيته " وفى كتاب: التفسير أيضًا ، باب : " يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون "=

فهو هنا يقتصر على رأى أصحابه الشافعية.

● وكذلك عند شرحه لحد الزنا فى قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ** ﴾[1] يقول[2]:" أى ضربة ؛ يقال: جلده إذا ضرب جلدة ، ويزاد على ذلك تغريب عام ، والرقيق على النصف مما ذكر، ولا رجم عليه لأنه لا ينتصف " .

وهكذا كثيرًا ما نجد الخطيب الشربينى يذكر الحكم الشرعى باختصار؛ فلا ينسب الأقوال ، ولا يفصل الآراء.

٣-يعرض الأقوال ولا يناقشها:

أحيانًا يعرض الخطيب الشربينى الآيات دون أن يناقشها أو يرجح أحدها، ويكتفى فقط بسرد الأقوال المتعلقة بتلك المسألة الفقهية ، ومن أمثلة ذلك:

● عندما فسّر قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾[3] يقول[4]: " "فمن فرض" على نفسه "فيهن الحج" بالإحرام به عندنا أو بالتلبية أو بسَوْق الهَدْى عند أبى حنيفة ، وفيه دليل على أن مَن أحرم بالحج فى غير أشهُر الحج لا ينعقد إحرامه بالحج ، وهو قول ابن عباس وجماعة من

=الرواية نفسها بتقديم وتأخير ، ينظر : فتح البارى جـ١٢ ص٤٥٥ ــ٤٥٩ ح٤٤٧٤ ، جـ ١٣ ص١١٤ح٤٦٤٧ .

1 – سورة النور: جزء من آية ٢.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص٣٦٥.

3 – سورة البقرة: جزء من آية ١٩٧.

4 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٠٦،٢٠٥.

الصحابة ، وإليه ذهب الأوزاعي[1]والشافعيّ ، وقال : ينعقد إحرامه عُمْـرةً ؛ لأن الله تعالى خص هذه الأشهر بفرض الحج فيها ، فلو انعقد في غيرها لـم يكن لهذا التخصيص فائدة، كما أنه تعالى علق الصلاة بالمواقيت ، ثـم مـن أحرم بفرض الصلاة قبل دخول وقته لم ينعقد إحرامه عن الفـرض ، وإنمـا انعقد عمرة لأن الإحرام شديد التعلق، ، وذهب جماعة إلى أنه ينعقد إحرامـه بالحج وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة ، أما العمرة فجميع السَنَة وقـتٌ لها إلا أن يكون عليه بقية من أعمال الحج كالرمْي ".

● وأيضًا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّـلاَقَ فَـإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2] يعرض الآراء في مسألة وقوع الطلاق بعد انتهاء مـدة الإيلاء[3] فيقول[4]: " "وإن عزموا الطلاق" أي صمّموا عليه بأن لـم يفيئـوا فليوقعوه ، فإن الله سميع لقولهم "عليم" بعزمهم أي: ليس لهم بعد تربص مـا ذكر إلا الفيئة أو الطلاق ، ففيه دليل على أنها لا تطلق بعد مضيّ المدة ما لم يطلقها زوجها؛ لأنه شرط العزم وقال: فإن الله سميع فدل على أنه يقتـضي مسموعًا، والمقول هو الذي يُسمع ، وقال بعض العلماء: إذا مـضت أربعـة أشهر يقع عليه طلقة بائنة ، وهو قول ابن عباس وأصحاب الرأي[5] ، وقـال

---

[1] – هو عبد الرحمن بن عمر بن محمد الأوزاعي الدمشقي ، ولد سنة ٨٨ هـ ببغـداد وهو من فقهاء المحدثين ، أقام بدمشق ثم تحول إلى بيروت فسكنها مرابطًا إلى أن توفي بها ١٥٧ هـ ؛ ينظر : معجم المؤلفين جـ ٥ ص ١٦٣ .

[2] – سورة البقرة: آية ٢٢٧.

[3] –هو اليمين على ترك وطء المنكوحة مدة ؛ مثل والله لا أجامعك أربعـة أشـهر ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص٥٩ ، ٦٠ .

[4] – ينظر: السراج المنير جـ١ص٢٣٢.

[5] – ذكره الطبري في تفسيره للآية نفسها عن ابن عباس وعلي وابن مسعود وقتادة ــ رضي الله عنهم جـ٢ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧، ٢٥٨.

سعيد بن المسيب والزهرى[1]: يقع عليه طلقة واحدة رجعية ، ولو حلف ألا يطأها أقل من أربعة أشهر لا يكون مُوليًا ، بل حالفًا ، إذا وطئها قبل مضى تلك المدة وجبت عليه كفارة يمين إذا كان الحلف بالله ، ولا يختص الإيلاء بالحلف بالله تعالى ، فلو قال لزوجته: إن وطئتك فعبدى حر ، أو ضرتك طالق ، أو لله علىّ عتق رقبة أو صوم أو صلاة ، فهو مولٍ ؛ لأن المولى من يلزمه أمر يمتنع بسببه من الوطء ".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ** ﴾[2] يعرض الآراء الفقهية فى مسألة الشهادة فيقول[3]:" "شهيدين" أى شاهدين "من رجالكم" أى البالغين الأحرار والمسلمين دون الصبيان والعبيد والكفار ، وأجاز أبو حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض "فإن لم يكونا" أى: الشاهدان "رجلين فرجل" أى : فليشهدوا و المستشهد رجل "وامرأتان".

وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال فى الأموال حتى تثبت برجل وامرأتين، واختلفوا فى غير الأموال ؛ فذهب جماعة إلى أنه يجوز شهادتان مع الرجال فى غير العقوبات وهو قول سفيان الثورى[4] وأصحاب الرأى ، وذهب جماعة إلى أن غير المال لا يثبت إلا برجلين عدلين، وذهب الشافعىّ إلى أن ما يطلّع عليه النساء غالبًا كالولادة والرضاع

---

1 – المرجع السابق ص٢٦٠ .

2 – سورة البقرة: جزء من آية ٢٨٢.

3 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٩٦،٢٩٥.

4 – هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، من بنى ثور بنى عبد مناه أمير المؤمنين فى الحديث ، كان رأسا فى التقوى طلبه المنصور ثم المهدى ليلى الحكم فتوارى منهما سنين ، مات بالبصرة مستخفيا ، ولد سنة ٩٧ هـ وتوفى سنة ١٦١ هـ ، من مصنفاته:الجامع الكبير والجامع الصغير فى الحديث ؛ ينظر الأعلام للزركلى جـ٣ ص١٠٤ .

والثيوبة والبكارة ونحوها تثبت بشهادة رجل وامراتين وشهادة أربع نسوة، واتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة في العقوبات ".

● وكذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ** ﴾[1] فيعرض آراء العلماء فيها إذا كان أحد الزوجين رقيقًا فيقول[2]:" تنبيه: اختلف العلماء فيما إذا كان أحد الزوجين رقيقًا؛ فذهب الأكثر ومنهم الشافعيّ ــ رضى الله تعالى عنه ــ إلى أنه يعتبر عدد الطلاق بالزوج ؛ فالحر يملك على زوجته الأمة ثلاث طلقات، والعبد لا يملك على زوجته الحرة إلا طلقتين. وذهب الأقلّ ومنهم أبو حنيفة ــ رضى الله تعالى عنه ــ إلى أن الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق كالعدة، فيملك العبد على زوجته الحرّة ثلاث طلقات ولا يملك الحر على زوجته الأمة إلا طلقتين".

٤- يعرض الآراء ويناقشها ويرجح أحدها:

نادرًا ما يناقش الخطيب الشربيني في تفسيره الآراء المتعلقة بالمسائل الفقهية ويختار أحدها، ومن هذه المواضع النادرة ما يأتي:

● عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ** ﴾[3] يذكر خلاف الشافعي وأبي حنيفة في بلوغ الهَدْى محله ، ويرد على ما ذهب إليه أبو حنيفة من قول الشافعيّ الذى اختاره فيقول[4]:" "ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله" أي: لا تحلقوا حتى تعلموا أن الهدى المبعوث إلى الحرم "يبلغ محله": أي مكانه الذى يجب أن يُذبح فيه،

---

1 – سورة البقرة : جزء من آية ٢٢٩ .

2 – ينظر: السراج المنير جــ١ ص٢٣٤.

3 – سورة البقرة : جزء من آية ١٩٦.

4 – ينظر: السراج المنير جــ١ ص٢٠٤.

وحمل الأولون بلوغ الهَدْى محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حِلاً كان أو حرمًا، لكن يندب إرساله إلى الحرم خروجًا من خلاف أبى حنيفة. واقتصاره تعالى على الهدى دليل عدم القضاء كما قاله الشافعىّ، وذهب أبو حنيفة إلـــى وجوب القضاء، ولا بد من نية التحلل عند الذبح، أو الحَلْق أو التقصير بعـــده مع نية التحلل، وبذلك يحصل التحلـــل . والمحـــل بالكـــسر يطلـــق للمكـــان والزمان".

● وأيضًا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَـــى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾[1] يَرُدُّ على أهل الظاهر القائلين بأنه يجب على المسافر أن يفطر كمـــا يجـــب عليه قصر الصلاة في السفر ويصوم عدة من أيام أُخَـــر، فيقـــول الخطيـــب الشربيني:[2] "واختلفوا هل الفطر فى السفر أفضل أو الصوم؟ والأصح أنـــه إن شق عليه الصوم فالفطر أفضل و إلا فالصوم. وروى عن ابـــن عبـــاس وأبى هريرة وعروة بن الزبير وعليّ بن الحسين أنهم قالوا: لا يجوز الصوم فى السفر، ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقول النبى ﷺ: (ليس من البـــرّ الصيام فى السفر) [3] وأجاب الأول عن الحديث بأنه محمول على مَن يـــشق عليه الصوم فقول جابر بن عبد الله ــ رضى الله ــ تعـــالى ــ عنـــه ــ أن

---

1 – سورة البقرة: جزء من آية ١٨٥.

2 – ينظر السراج المنير: جــ١ ص١٩٠.

3 – أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب : الصوم ، باب : قول النبى صلى الله عليه وسلم لمن ظلل عليه واشتد الحر "ليس من البر الصوم فى السفر" ؛ ينظر فتح البـــارى جــ٦ ص٣٣١ ــ ٣٣٦ ح ١٩٤٦ ،وأخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : الصيام ، باب : جواز الصوم والفطر فى شهر رمضان للمسافر فى غير معصية إذا كان ســـفره مرحلتين فأكثر وأن الأفضل لمن أطاقه بلا ضرر أن يصوم ولمن يشق عليه أن يفطـــر جــ٢ ص٢١٧ ح ١١١٥.

رسول الله ﷺ كان فى سفر فرأى زحامًا ورجلاً قد ظلل عليه فقال: ما هـذا؟ قالوا : هذا صائم فقال ﷺ: (ليس من البرّ الصيام فى السفر) ، والـدليل علـى جواز الصوم فى السفر قول أبى سعيد ــ رضى الله ــ تعالى ــ عنـه ــ: " كنا نسافر مع رسول الله ﷺ فى رمضان فمنّا الصائم ومنا المفطر فلا يعيـب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم"[١].

● ومن المواضع التى يناقش المسألة الفقهية فيها أيـضا ويـدلل علـى الرأى الراجح ما قاله عند تفسيره لقولـه ــ تعـالى ــ: ﴿ **إلاَّ أن يَخَافَـا ألاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَـلاَ جُنَـاحَ عَلَيْهِمَـا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ**﴾[٢] حيث يتناول مسألة الخُلْع[٣] فيقول بعد انتهائه من تفـسير الآية[٤]:" تنبيه: ظاهر الآية يدل على أن الخُلْع لا يجوز مـن غيـر كراهـة وشقاق، ولا بجميع ما ساق الزوج إليها،فضلاعن الزائد، ويؤيد ذلك قولـه ﷺ كما رواه البيهقى:(أيما امرأة سألت زوجها طلاقًا مـن غيـر بـأس – أى: ضررــ فحرام عليها رائحة الجنة)[٥] وما روى أنه ﷺ قال لجميلة: (أتردين

---

[1] – أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ــ كتاب : الصيام ، باب : لم يعب أصـحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعضهم بعضاً فى الصوم و الإفطار ؛ ينظر : فـتح البـارى جـ٦ ص٣٣٧ ح ١٩٤٧و أخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب : الـصوم ، بـاب : جواز الصوم والفطر فى شهر رمضان للمسافر فى غير معصية إذا كـان فـى سـفره مرحلتان فأكثر وأن الأفضل لمن أطاقه بلا ضرر أن يصوم ولمن يشق عليه أن يفطر جـ٢ ص٨١٨ ح١١١٦ .

[2] – سورة البقرة: جزء من آية ٢٢٩.

[3] – هو إزالة ملك النكاح بأخذ المال ، ينظر التعريفات للجرجانى ص١٣٥ .

[4] – ينظر السراج المنير: جـ١ ص٢٣٦.

[5] – أخرجه الترمذى فى سننه ــ كتاب : الطلاق واللعان، باب: ما جاء فى المختلعـات جـ٣ ص٣٢٠ ح ١١٨٧ وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود فـى سننه ــ كتاب : الطلاق ، باب: فى الخلع جـ٢ ص٢٧٥،٢٧٦ ح ٢٢٢٦ ، وأخرجـه

عليه حديقته؟ فقالت: أردّها وأزيد عليها، فقال عليه الصلاة والسلام: أما الزائد فلا) [1] فالجمهور استكرهوا الخلع، ولكن نفذوه فإن المنع عن العقد لا يدل على فساده وإنه يصح بلفظ المفاداة فإنه سماه افتداء ".

ابن ماجه في سننه ـ كتاب: الطلاق ، باب : كراهية الخلع للمرأة جـ١ ص ٦٦٢ ح ٢٠٥٥ ،وأخرجه الدارمي في سننه ـ كتاب : الطلاق ، باب : النهي عن أن تسأل المرأة زوجها طلاقها جـ٢ ص٨ ح٢٢٧٠، وأخرجه الحاكم في المستدرك ـ كتاب: الطلاق جـ٢ ص٢١٨ ح ٢٨٠٩ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

[1] - أخرجه البخاري في ـ كتاب : الطلاق ، باب : الخلع وكيف الطلاق فيه ح٥٢٧٣ ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ١٥ ص٣٨.

موقفه من النسخ

تعريف النسخ:

النسخ فى اللغة:

" النسخ: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه . وفى التنزيل: ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾ [١] والآية الثانية ناسخة والأولى منسوخة.

والنسخ : نقل الشيء من الشيء وهو غيره.

والنسخ : نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو.

ونسخ الشيء بالشيء ينسخه وانتسخه: أزاله به وأداله، والشيء ينسخ الشيء نسخاً ؛ أى : يزيله ويكون مكانه.

والنسخ أن تزايل أمرًا كان من قبل يعمل به ثم تنسخه بحادث غيره ".[٢]

النسخ فى الاصطلاح:

" رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى.

ومعنى رفع الحكم الشرعى: قطع تعلقه بأفعال المكلفين إما على سبيل الطلب أو الكف أو التخيير، وهذا هو الحكم التكليفى . و"رفع جنس من التعريف :خرج عنه ما ليس برفع؛ كالتخصيص"[3] فإنه لا يرفع الحكم، بل يقصره على بعض أفراده.

---

1 –سورة البقرة :جزء من آية ١٠٦ .

2 – لسان العرب لابن منظور جـ٣ ص٦١.

3 – التخصيص: هوقصر العام على بعض منه بدليل مستقل مقترن به، واحترز "بالمستقل" عن الاستثناء والشرط والغاية والصفة فإنها وإن لحقت العام لايسمى مخصوصاً . وبقوله: "مقترن" عن النسخ ؛ نحو:خالق كل= =شيء ؛ إذ يعلم ضرورة أن الله ــ تعالى ــ مخصوص منه ؛ ينظر: التعريفات للجرجانى ص٧٥، ٧٦ .

والحكم الشرعي: قيد أول خرج به ابتداءً إيجاب العبادات في الشرع ، فإنه يرفع العقل ببراءة الذمة ؛ وذلك كإيجاب الصلاة ؛فإنه رافع لبراءة ذمة الإنسان منها قبل ورود الشرع بها ،ومع ذلك لا يقال نسخ.

وبدليل شرعي : قيد ثان ، خرج به رفع حكم شرعي بدليل عقلي؛ وذلك سقوط التكليف عن الإنسان بموته أو جنونه أو غفلته ".[1]

أهمية النسخ:

من رحمة الله ــ تعالى ــ بالأمة الإسلامية أن يتدرج بها فيما يشرع لها من أحكام حتى يصل بالناس إلى الهداية والرخاء شيئًا فشيئًا ، فيتدرج بهم إلى الكمال وفقًا لما يجد من أحداث ، فتنزل الأحكام وفق اختلاف الزمان والمكان والأحوال ، فإذا شرع حكم في وقت وحال معين فمن الحكمة أن ينسخ بحكم آخر يوافق الحال والوقت الآخر؛ فتقوم به المصلحة.

وقد أخبر القرآن الكريم بوجود النسخ في الآية الكريمة : ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[٢] فهذه الآية ومثيلاتها وجهت العلماء إلى البحث في المسائل المختلفة المتعلقة بالنسخ، ومن أهمها بيان الآيات المنسوخة والناسخ لها ؛ فاهتم علماء الصحابة والتابعين ببيانها والحث على معرفتها.

" قال عليّ بن أبي طالب لقاصٍّ : أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال : الله أعلم قال : هلكت وأهلكت "[٣]

" وقال الأئمة : لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ "[٤]

---

1 – ينظر: مناهل العرفان للزرقاني جـ٢ ص ١٧٦، ١٧٧ .

2 – سورة البقرة: آية ١٠٦.

3 – ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي جـ٢ ص٢٩ .

4 – ينظر: الاتقان للسيوطي جـ٢ ص٤٤ والبرهان للزركشي جـ٢ ص٢٩.

وذكره الذهبى فى العلوم التى يحتاج إليها المفسر، فقال[1]: " وبه يعلم المحكوم من غيره ،ومن فقد هذه الناحية (يقصد الناسخ والمنسوخ) ربما أفتى بحكم منسوخ فيقع فى الضلال والإضلال ، وقد أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون ؛ منهم وأبو داوود السجستانى[2]، وأبو جعفر النحّاس[3]،وابن الأنبارى[4]،هبة الله بن سلاّمة[5] ، ومكى[6]، وآخرون ".[7]

---

[1] – ينظر : التفسير والمفسرون للذهبى جـ١ ص٢٧٦ .

[2] – هو سليمان بن الأشعث بن إسحق بن داوود السجستانى ، صاحب السنن توفى ٢٧٥هـ من مؤلفاته: السنن ، الناسخ والمنسوخ ، القدر، المراسيل ؛ ينظر : سير أعلام النبلاء جـ٣ ص٢٠٣.

[3] – هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادى المصرى أبو جعفر، المعروف بالنحّاس ، أحد أئمة العلم واللغة بمصر توفى عام ٣٢٧ هـ ؛ من تصانيفه: معانى القرآن ، إعراب القرآن ، والناسخ والمنسوخ ؛ ينظر: معجم المؤلفين جـ١ ص٢٥١.

[4] – هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان ، أبوبكر،ابن الأنبارى : نحوى ، لغوى ، أديب ،محدّث ، مفسر ،من كتبه: الناسخ والمنسوخ ، والمشكل فى معانى القرآن ن وإنباه الرواة ،توفى سنة ٣٢٨ هـ ؛ ينظر : معجم المفسرين لعادل نويهض جـ٢ ص٦٠٤ .

[5] – هو هبة الله بن سلامة بن أبى القاسم البغدادى ، توفى عام هـ ٤١٠ هـ ، مفسر،ضرير، له كتب ؛ منها: الناسخ والمنسوخ فى القرآن ، والناسخ والمنسوخ من الحديث ، والمسائل المنثورة فى النحو ؛ ينظر:الأعلام للزركلى جـ٨ ص٧٢ .

[6] – هو مكىّ بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسى القيسى المقرىء المتوفى٤٣٧ هـ ؛ من مصنفاته : مشكل إعراب القرآن ، وكتاب الإيجاز فى ناسخ القرآن ومنسوخه ، والكشف عن وجوه القراءات وعللها ؛ ينظر: الأعلام للزركلى جـ٧ ص٢٨٦.

[7] – يراجع : الاتقان للسيوطى جـ٢ ص٤٤، والبرهان للزركشى جـ٢ص٣٨ .

موقف العلماء من النسخ:

اختلف العلماء فى قضية النسخ بين منكــر لــه بالكليــة كــأبى مــسلم الأصفهانىّ وغيره ، ومسرف فيه فيقول بالنسخ فى كل ما ظاهره التعــارض حتى أدخلوا فى النسخ ما ليس منه كأبى جعفر النحّاس فــى كتابــه "الناســخ والمنسوخ" وهبة الله بن سلامة وغيرهما، ومقتصد يقول بالنسخ فيقفون بــه موقف الضرورة التى يقتضيها وجود التعارض الحقيقى بين الأدلة مع معرفة المتقدم فيها والمتأخر.

أما المفسرون:

فقد أكثر بعضهم من الوقوف على الآيات المنسوخة وبيــان ناســخها ؛ كالطبرى والقرطبى والفخر الرازى.

وقد أفردوا مباحث تناولوا فيها الناسخ والمنــسوخ، لــيس محلهــا علــم التفسير، بل محلها علوم أخرى ؛ كالأصول وعلوم القرآن؛ فتنــاولوا حقيقــة النسخ الشرعى وأقسامه وما اتفق عليه منه ، وما اختلف فيه ، وفى جــوازه عقلاً ووقوعه شرعًا، وبماذا ينسخ ، وغير ذلك من أحكام النسخ.

أما الخطيب الشربينى فقد تناول تعريف النسخ لغة واصــطلاحًا وفــرّق بينه وبين التخصيص ، كما أوضح رأيه فى قضية النسخ ، وذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[1] فيقول[2]: " "ما ننسخ من آية" فبيّن وجــه الحكمة فى النسخ بهذه الآية، والنسخ فى اللغــة شــيئان ؛ أحــدهما: بمعنــى التحويل والنقل ؛ ومنه نسخ الكتاب ؛ وهو أن يحوّل من كتاب إلــى كتــاب ؛ فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ ؛ لأنه نسخ من اللوح المحفوظ. والثــانى: بمعنى الرفع ؛ يقال: نسخت الشمس الظل أى: ذهبت عنه وأبطلتــه ؛ فعلــى

---

[1] – سورة البقرة: آية ١٠٦.

[2] – ينظر: السراج المنير جــ١ ص١٣٤، ١٣٥.

هذا يكون بعض القرآن ناسخًا وبعضه منسوخًا وهو المراد من الآية ؛ وهـذا على وجوه: أحدها: أن تثبت التلاوة وينسخ الحكم كآية الوصية للأقارب وآية عدة الوفاة بالحول. والثاني:أن ترفع التلاوة ويبقى الحكم كآية الرجم. والثالث: أن يرفع الحكم والتلاوة كما روى: أن قومًا من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤوا سورة فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ؛ فغدوا إلى النبي ﷺ ؛ فأخبروه ؛ فقال ﷺ: تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها، وقيل: كانت سورة الأحزاب قبل سورة البقرة فرفع أكثرها تلاوة وحكمًا. ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس إلى الكعبة، والوصية للأقارب نسخت الميراث ، وعدة الوفاة نسخت من الحول إلى أربعة أشهر وعشر، ومصابرة الواحد للعشرة بمصابرته للاثنين. قال البغوي[1]: والنسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الإخبار أ.هـ.

والنسخ اصطلاحًا: رفع تعلق حكم شرعيّ ، بدليل شرعيّ ويفارق التخصيص ؛ بأنّ التخصيص لا يرد إلا على متعدد وبأنه غير مشروط بالنص ، بخلاف النسخ فيهما، وبأنه يفيد عدم إرادة المخرج في الأصل والنسخ يفيد إرادة المنسوخ في الأصل لكن غير مستمر.

"أو ننسها" أي: نؤخرها فلا ننزل حكمها ولا نرفع تلاوتها ، أو نؤخرها في اللوح المحفوظ . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح النون الأولى وفتح السين وهمزة ساكنة بعد السين ولم يبدل هذه الهمزة أحد من السبعة ، وقرأ الباقون بضم النون وكسر ولا همزة بعد السين ؛ أي: ننسها؛ أي: نمحها من قلبك، وقال ابن عباس ـ رضي الله ـ تعالى ـ عنه ـ: نتركها لا ننسخها قال ـ تعالى ـ: ﴿ **نَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾ [التوبة: ٦٧] أي: تركوه فتركهم. وجواب الشرط "نأت بخير منها" أي: بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر

---

[1] -ينظر: تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل جـ١ ص٩٤ .

لأجركم ، وإن كان كلام الله كله خيرًا "أو مثلهـا" فـي التكليـف والثـواب والمنفعة ، وتكون الحكمة فى تبديلها بمثلها الاختبار "ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير" فيقدر على النسخ والإتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير. والآيـة دلت على جواز النسخ وتأخير الإنـزال؛ إذ الأصـل اختـصاص أن ومـا يتضمنها بالأمور المحتملة؛ وذلك: لأن الأحكـام شـرعت والآيـات نزلـت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة ، وذلك يختلف باختلاف الأعصار والأشخاص كأسباب المعاش، فإن النافع فى عصر قد يـضر فـي غيره. واحتج بها من منع النسخ بلا بدل أو ببدل أثقل، ومن منع نسخ الكتاب بالسنة ؛ فإن الناسخ هو المأتى بـه بـدلاً ، والـسنة ليـست كـذلك ؛ قـال البيضاوى[1]: والكل ضعيف ؛ إذ قد يكون عدم الحكـم، والأثقـل أصـلح ، والنسخ قد يعرف بغيره ، والسنة ما أتى به الله. واستدل بهذه الآية المعتزلـة على حدوث القرآن؛ فإن التغير والتفاوت من لوازم الحدوث ؛ وأجـاب أهـل السنة بأنهما من عوارض الأمور المتعلق بها المعنى القائم بالذات القـديم لا من عوارض هذا المعنى.،،

وهكذا نجد الخطيب الشربينى يقول بجواز النسخ عقلا ووقوعه شـرعًا، ويردّ على من ينكره.

والخطيب الشربينى من المفسرين الذى اعتدلوا فـي إيـضاح الآيـات المنسوخة وبيان ناسخها، وباطلاعى على ما كتبه فـي تفـسيره وجـدت أن الآيات التى شملها هذا البحث (الناسخ والمنسوخ) فى تفسيره بلغت ما يقـرب من الخمسين آية من بينها الإحدى والعشرون آية التى ذكرها السيوطى فـي الإتقان واعتبرها من قبيل النسخ.

وقد اتجه الخطيب الشربيني في تناوله للنسخ عدة اتجاهات؛ أهمها:

١- يذكر الآية المنسوخة ويبين ناسخها.

---

[1] – ينظر: حاشية زاده على البيضاوى جـ٢ ص٢٢٤، ٢٢٥ .

٢-يذكر آراء العلماء دون التعليق عليها.

٣-يذكر آراء العلماء ويوجهها.

٤-يبيّن الآيات التى تحتمل النسخ باعتبار والإحكام باعتبار آخر.

٥-يرّد القول بالنسخ.

٦-يذكر النسخ فى الآية بصيغ أخرى .

وتفصيل ذلك الآتى:

١- ما يذكر فيه أن الآية منسوخة ويبيّن ناسخها ؛ وله فى ذلك عدة أمثلة أذكر منها:

● وكذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾[1] يقول الخطيب الشربينى[2]: " وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله ــ تعالى ــ: ﴿**فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ**﴾[3] ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ** ﴾[4] يقول[5]: " ولم تحل الغنائم لأحد قبل الإسلام ، بل كانت الأنبياء إذا غنموا مالاً جمعوه؛ فتأتى نار من السماء تأخذه ، ثم

---

1 - سورة البقرة: آية ٢١٧.

2 - ينظر: السراج المنير جــ١ ص٤٥٠.

3 - سورة التوبة: جزء من آية ٥٢.

4 - سورة الأنفال: آية ٤١.

5 - ينظر: السراج المنير جــ٢ ص٣٣٦.

أحلت للنبي ﷺ ، وكانت في صدر الإسلام له خاصة ؛ لأنه كالمقاتلين كلّهم نصرةً وشجاعة بل أعظم، ثم نسخ ذلك واستقل الأمر على أنها تجعل خمسة أقسام متساوية ".

● ومثال ذلك أيضا قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً** ﴾[1] فبعد انتهائه من شرح الآية يقول[2]: "قال البغوي[3]: وهذا منسوخ بآية القتال ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً {٢} نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً {٣} أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً** ﴾[4] يقول[5]: " وأو للتخيير ؛ فكان ﷺ مخيرًا بين هذه المقادير الثلاثة، وكان ﷺ يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب وكذا بعض أصحابه، واشتد ذلك عليهم حتى انتفضت أقدامهم ، وقد تقدم أن ذلك نسخ بإيجاب الصلوات الخمس ؛ فصار قيام الليل تطوعًا ".

٢ – ما يذكر فيه آراء العلماء دون التعليق عليها:

أحيانا يذكر الخطيب الشربيني أقوال العلماء دون أن يعلق عليها بشيء يكشف ما يرتضيه من النسخ أو الإحكام.

● ومثال ذلك قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[6] يقول[1]: " "فاعفوا" أي: اتركوهم

---

1 – سورة الأحزاب: آية ٤٨.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص٣٦٨.

3 –ينظر: تفسير البغوي بهامش تفسير الخازن جـ ٣ ص٢٦٧ ، وذكره هبة الله بن سلامة في الناسخ والمنسوخ ص ٢٥٨ .

4 – سورة المزمل: من آية ٢ إلى آية ٤.

5 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص١٤٤.

6 – سورة البقرة: جزء من آية ١٠٩.

و"اصفحوا" أي: أعرضوا عنهم فلا تجاوزوهم . وكان هذا قبل آية القتال؛ ولهذا قال ــ تعالى ــ "حتى يأتي الله بأمره" فيهم من القتال ، وقد أذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم، وروى عن ابن عباس وابن مسعود أن هذا منسوخ بقوله ــ تعالى ــ: ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[2] [3]، وأبى النسخ جماعة من المفسرين والفقهاء واحتجوا بأن الله تعالى لم يأمر بالعفو والصفح مطلقًا، وإنما أمر به إلى غاية ، وما بعد الغاية يخالف ما قبلها ، وما هذا سبيله لا يكون من باب النسخ بل ، يكون الأول قد انقضت مدته والآخر يحتاج إلى حكم آخر ".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾[4] يقول الخطيب الشربيني[5]: " عطف على "اثنان" ومن فسّر"غيركم" بأهل الذمة جعله منسوخاً؛ فإن شهادته على المسلم لا تسمع إجماعًا، وقد اتفق الأكثرون على أنه لا نسخ في سورة المائدة، وعن مكحول نسخها قوله ــ

1 – ينظر: السراج المنير جــ١ ص١٣٦، ص١٣٧.

2 – سورة التوبة: جزء من آية ٢٩.

3 – أخرجه البغوي في تفسيره جــ١ ص٩٦ ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ؛ ينظر: تفسير القرآن العزيز المسمى تفسير عبد الرزاق للإمام أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني"١٢٦:٢١١هـ" تحقيق د.عبد المعطي أمين قلعجي ، دار المعرفة بيروت، لبنان الأولى ١٤١١هــ ــ١٩٩١ م ، جــ١ ص٧٥ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وأبي العالية وقال : وروى عن قتادة والسدي والربيع بن أنس نحو ذلك جــ١ص٢٠٦.

4 – سورة المائدة: جزء من آية ١٠٦.

5 – ينظر: السراج المنير جــ٢ ص٨٥.

تعالى ــ: ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾[(١)] وانما جازت فــي أول الإســلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم فى حال السفر[(٢)] ".

● وكذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُــواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾[(٣)] بيّن اختلاف العلمــاء فــي نسخ هذه الآية بآية المواريث ، فيقول[(٤)]: " واختلف العلماء فى حكــم هــذه الآية ؛ فقال قوم: هى منسوخة بآية المواريث كالوصية. وعن سعيد بن جبير أن ناسًا يقولون: نسخت؛ والله ما نسخت ، ولكنها مما تهاون به الناس[(٥)] ".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُــلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ﴾[(٦)] بيّن اختلاف العلماء فى نسخها؛ فقال[(٧)]: " واختلفــوا ؛ هل هذه الآية منسوخة أو لا ؟ فقال مجاهد وعكرمــة[(٨)]: هــى منــسوخة

---

1 – سورة الطلاق: جزء من آية ٢.

2 – ينظر :الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة ١٥٦ ، ١٥٧ ، وزاد المسير فى علــم التفسير للإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى، المتوفى سنة ٥٩٧ هــ ، تحقيق أحمد شمس الدين،ط. دار الكتب العلمية ــ بيــروت ــ لبنــان جــ٢ ص٢٧١ وقال :"هو قول زيد بن أسلم ،وإليه يميل أبو حنيفة ،ومالك ،والشافعي".

3 – سورة النساء: جزء من آية ٨.

4 – ينظر: السراج المنير جــ١ ص٢٤٢، ص٢٤٣.

5 – أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب :التفسير،باب: "وإذا حضر القــسمة أولــوا القربى واليتامى والمساكين " الآية ،عن ابن عباس قال: هى محكمة وليــست منــسوخة تابعه سعيد بن جبير "؛ ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى جــ١٢ ص٥٩٨ .

6 – سورة الأنفال: جزء من آية ١.

7 – ينظر: السراج المنير جــ٢ ص٣٠٨.

8 – أخرجه البغوى فى تفسيره معالم التنزيل(على هامش تفسير الخازن المسمى لبــاب التأويل فى معانى التنزيل) جــ٣ ص٣،٤ ، وذكره هبة الله بن ســلامة فــى الناســخ والمنسوخ؛ ينظر: أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ تأليف : الــشيخ الإمــام=

بقوله- تعالى -: ﴿ **وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ**﴾[1] فكانت الغنائم يومئذ للنبي ﷺ فنسخها الله ــ تعالى ــ بالخمس. وقال بعضهم: هي ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه ؛ وذلك أن الغنائم كانت حرامًا على الأمم الذين من قبلنا في شرائع أنبيائهم، وأباحها الله ــ تعالى ــ بهذه الآية لهذه الأمة ، وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا، ثم نسخت بآية الخمس. وقال عبد الله بن زيد بن أسلم[2]: هي ثابتة غير منسوخة، ومعنى الآية: قل الأنفال لله وللرسول يضعها حيث أمره الله ــ تعالى ــ وقد بيّن الله ــ تعالى ــ مصارفها في ــ قوله : ﴿ **وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ**﴾[3] الآية".

٣- يذكر أقوال العلماء ويوجهها:

ونادرًا ما يناقش الخطيب الشربيني أقوال العلماء في النسخ ويوجهها أو يرجح الأظهر منها؛ ومن هذه المواضع النادرة ما يأتي:

● قال عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **إلا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ**﴾[4] إذ يبيّن أنه استثناء من النساء ؛ لأنه يتناول الأزواج والإماء؛ فقد ملك بعدهن مارية وولدت له إبراهيم ومات ، ثم يشير إلى اختلاف الأقوال في النسخ ؛ فيقول[5]: " واختلفوا ؛ هل أبيح له النساء من بعد؟ قالت عائشة: (ما مات

=المحقق أبي القاسم هبة الله بن سلامة أبي النصر، مكتبة الدعوة ــ القاهرة ــ ص١٧٥،١٧٦ .

1 – سورة الأنفال: آية ٤١.

2 – ذكره الطبري في تفسيره جــ٩ ص١١٤ .

3 – سورة الأنفال: جزء آية ٤١.

4 – سورة الأحزاب: جزء من آية ٥٢.

5 – ينظر: السراج المنير جــ٥ ص٣٧٩.

رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء) [1] أى: فنسخ ذلك وأبيح له أن ينكح أكثر منهن بآية ﴿ **إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ** ﴾[2] فإن قيل : هذه الآية متقدمة وشرط الناسخ أن يكون متأخرًا؟ أجيب بأنها مؤخرة فى النزول مقدمة فى التلاوة، وهذا أصح الأقوال ".

● ما قاله عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** ﴾[3] فبعد إنتهائه من تفسيرها يقول[4]: " وهذا منسوخ بآية المواريث وبقوله ﷺ: (إن الله أعطى كل ذى حق حقه، ألا لا وصية لوارث) [5] بناء على الأصح من أن الكتاب ينسخ بالسنة وإن لم تتواتر وبذلك ظهر ما فى قول بعضهم أن الكتاب ينسخ بالسنة وأن الحديث من الآحاد ".

---

1 – أخرجه الترمذى فى صحيحه ـ كتاب : تفسير القرآن ، باب: ومن سورة الأحزاب ح٣٢١٦ جـ٥ ص١٩٧وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح ،وأخرجه أحمد فى مسنده جـ١٧ ص٢٤٠، ٦٠٥ ح٢٤٠١٩، ٢٥٣٤٣ وقال محققه: صحيح ، والنسائى فى سننه ـ كتاب : النكاح، باب: ما افترض الله ـ عز وجل ـ على رسوله عليه السلام وحرّمه على خلقه ليزيده إن شاء الله قربة إليه ح٣٢٠٤ جـ٣ ص ٣٦٥، والدارمى فى سننه ـ كتاب : النكاح، باب : قول الله ـ تعالى ـ: (لايحل لك النساء من بعد) جـ١ ص٦٤١ ح٢٢٤١.

2 – سورة الأحزاب: جزء من آية ٥٠.

3 – سورة البقرة: آية ١٨٠.

4 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص١٨٦.

5 –أخرجه الترمذى فى سننه ـ كتاب : الوصايا ، باب : ما جاء لا وصية لوارث جـ٤ ص١٨٧،١٨٨ ح٢١٢٠ وقال أبو عيسى: وهو حديث حسن صحيح ،وأخرجه أبو داوود فى سننه ـ كتاب : الوصايا، باب : ما جاء فى الوصية للوارث برقم (٢٨٧٠) جـ٣ ص١٢٥٣ ، وابن ماجة فى سننه ـ كتاب : الوصايا، باب : لا وصية لوارث برقم (٢٧١٣ ـ٢٧١٤) جـ٢ ص٤٧٥ ،وقال محققه :(قال البوصيرى فى الزوائد: إسناده صحيح ومحمد بن شعيب وثقّه رحيم وأبو داود وباقى رجال الإسناد على شرط البخارىّ).

وهذه من المواضع النادرة التي يناقش فيها الخطيب الشربيني أقوال العلماء في النسخ ، ويوجهها ، ويختار الأظهر منها.

٤- يبين الآيات التي تحتمل النسخ باعتبار والإحكام باعتبار آخر:

● فعند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[١] يبين اختلاف العلماء في نسخها؛ فيقول[٢]: " واختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها؛ فذهب أكثرهم إلى أنها منسوخة ؛ وهو قول ابن عمر وسلمة ابن الأكوع[٣] وغيرهما؛ وذلك أنهم كانوا في صدر الإسلام مخيرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفدوا، وإنما خيرهم الله ـ تعالى ـ لأنهم كانوا لم يتعوّدوا الصيام ، ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ قال ابن عباس[٤]: إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفًا على الولد، فإنها باقية بلا نسخ في حقهما، وذهب جماعة منهم إلى أن لفظة "لا" مقدّرة في الآية ؛ أي: وعلى

---

[1] – سورة البقرة: آية ١٨٤.

[2] – ينظر السراج المنير: جـ١ ص١٨٨.

[3] – أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب: الصوم، باب :"وعلى الذن يطيقونه فدية طعام مسكين" ح ١٩٤٨ ؛ ينظر: فتح الباري جـ٦ ص٣٣٩ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب : الصيام ، باب : بيان نسخ ـ تعالى ـ : (وعلى الذين يطيقونه فدية) بقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) جـ٢ ص٢٣٥ .

[4] – ذكره الطبري في تفسيره جـ ١ ص١١٤ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره جـ١ ص٣٠٧ .

الذين لا يطيقونه لكبر أو مرض لا يرجى برؤه ــ فدية ؛ وهو قول سعيد بن جبير[1] وجعل الآية محكمة ".

• وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا** ﴾[2] يقول[3]:" وكان ذلك ثابتًا في ابتداء الإسلام؛ فذلك قوله -تعالى-: ﴿**فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ**﴾ [النساء: ٣٣] أي: أعطوهم حظهم من الميراث، ثم نسخ ذلك بقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ** ﴾[الأنفال:٧٥، الأحزاب: ٦]

وقال مجاهد[4]: أراد: فآتوهم نصيبهم من النصر والرفد ولا ميراث ؛ وعلى هذا الآية غير منسوخة ؛ لقوله ــ تعالى ــ: ﴿**أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ** ﴾ [المائدة: ١] وقوله ﷺ في خطبته يوم فتح مكة: (لا تحدثوا حلفًا في الإسلام ، وما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به؛ فإنه لم يزده الإسلام إلا شدة)[5].

قال الزمخشري[6]: وعند أبي حنيفة ــ رحمه الله ــ تعالى ــ لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة ، خلافًا للشافعيّ ــ رحمه الله ــ تعالى ــ أ.هــ.

---

1 – ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد جـ١ ص٣٠٧ .

2 – سورة النساء: آية ٣٣.

3 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٦٧، ٤٦٨.

4 – ذكره الطبري في تفسيره جـ٥ ص٣٥ .

5 – أخرجه مسلم في صحيحه ــ كتاب : فضائل الصحابة ، باب: مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه ــ رضي الله عنهم ــ جـ٤ ص٢٦٦ ح٢٥٣٠ بلفظ "لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة ".

6 –ينظر: الكشاف جـ١ ص٥٢٣ .

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1] يقول الخطيب الشربيني[2]: ""يبتغون فضلا من ربهم" وهو الثواب "ورضوانا" أي: وأن يرضى عنهم ، والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين ؛ أي: لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم ؛ تعظيما لهم واستنكارًا أن يتعرض لمثلهم، وقيل: معناه يبتغون من الله رزقًا بالتجارة ورضوانًا بزعمهم ؛ لأنهم كانوا يظنون ذلك ؛ فوصفوا به بناء على ظنهم ، ولأنّ الكافر لا نصيب له في الرضوان ؛ كقوله ــ تعالى ــ: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩] قال ابن عباس ــ رضي الله ــ تعالى ــ عنهما ــ[3]: كان المسلمون والمشركون يحجون جميعًا ؛ فنهى الله تعالى المسلمين أن يمنعوا أحدًا عن حج البيت بقوله تعالى "لا تحلوا شعائر الله" فعلى الأول الآية محكمة ؛ قال الحسن[4]: ليس في المائدة منسوخ. وعلى الثاني ؛ قال البيضاوي[5]: " فالآية منسوخة ؛ أي: لما فيها من حرمة القتال في الشهر الحرام، ومن حرمة منع المشركين عن المسجد الحرام ، والأول منسوخ بقوله ــ تعالى ــ: ﴿ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة:٥] والثاني بقوله ــ تعالى ــ: ﴿ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨] فقوله: منسوخ منزل

---

1 – سورة المائدة: آية ٢.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص٧.

3 – ذكره الطبري في تفسيره جـ٥ ص٣٦ .

4 – لم أقف عليه في كتب الحديث التي اطلعت عليها وكذا التفاسير.

5 – هذا قول البيضاوي ، وقد أضاف إليه قول شيخ زاده في حاشيته؛ ينظر: حاشية زاده على البيضاوي جـ٣ ص٤٦٨،٤٦٩.

على هذا، لكن إذا قلنا بشمول " آمّين" للمسلمين والمشركين ــ إنما يكون النسخ في حق المشركين خاصة ، وهو في الحقيقة تخصيص لا نسخ ؛ ففي تسميته نسخًا تسمح ".

وهذه من المواضع القليلة التي يذكر فيها الخطيب الشربيني وجهين لتفسير الآية ؛ فيجعل الآية محكمة على أحدهما ومنسوخة على الآخر.

٥- يرد القول بالنسخ:

ردّ الخطيب الشربيني القول بالنسخ في مواضع قليلة في تفسيره:

● ومثال ذلك عند انتهائه من تفسيره لقوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[1] يقول[2]: "تنبيه: ليس في الآية ما ينافي فرض الزكاة لينسخ به كما قيل؛ لأن الزكاة لا تعطى للوالدين ولا للأقربين من الأولاد وأولاد الأولاد ؛ فالآية محمولة على الإنفاق على من ذكر تطوّعًا ، أو على الإنفاق على الفقراء من الوالدين والأولاد وأولاد الأولاد. وذلك ليس بمنسوخ ".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ** ﴾[3] يقول[4]: " أي: أردتم القيام إليها كقوله ــ تعالى ــ: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ** ﴾ [النحل: ٩٨] عبّر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها ؛ للإيجاز والتنبيه على أن من أراد العبادة ينبغي أن يبادر إليها بحيث لا ينفك الفعل عن الإرادة، وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة وإن لم يكن محدثًا، لكن صدّ عنه الإجماع ؛ لما روى

---

1 – سورة البقرة: آية ٢١٥.

2 – ينظر السراج المنير: جـ١ ص٢٢١.

3 – سورة المائدة: جزء من آية ٦.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص١٤، ١٥.

أنه" ﷺ صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح ؛ فقال له عمر: صنعت شيئًا لم تكن تصنعه ؛ فقال: عمدًا فعلته ؛[1]، فقيل هو مطلق أريد به التقييد ؛ والمعنى: إذا قمتم إلى الصلاة محدثين. وقيل : الأمر فيه للندب وقيل: كان ذلك أول الأمر ثم نسخ ؛ قال البيضاوى[2]: وهو ضعيف ؛ لقوله ﷺ: (المائدة آخر القرآن نزولاً؛ فأحلوا حلالها وحرموا حرامها) [3] ".

● وكذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ** ﴾[4] يقول[5]: " قال بعضهم: إن قوله ــ تعالى ــ: "وإن عاقبتم" إلى "لهو خير للصابرين" منسوخ بآية السيف ؛ قال الرازى[6]: وهذا في غاية البعد ؛ لأن المقصود من هذه الآية تعليم حسن الأدب في كيفية الدعوى إلى الله ــ تعالى ــ وترك التعدى وطلب الزيادة ، ولا تعلق لهذه الأشياء بآية السيف ".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾[7]

---

1 – أخرجه مسلم في صحيحه ــ كتاب: الطهارة ،باب : جواز الصلوات كلها بوضوء واحد ،ح ٢٧٧ جــ١ ص٢٤٢ ..

2 – ينظر: حاشية زادة على البيضاوى جــ٣ ص٤٨٢ .

3 – أخرجه الترمذى فى سننه ــ كتاب : الطهارة، باب : ما جاء أنه يصلى الصلاة بوضوء واحد برقم (٦١) جــ ١ ص٤٣ ، ط . دار الحديث. والنسائى ــ كتاب : الطهارة ، باب : الوضوء لكل صلاة برقم (١٥٣) جــ١ ص١٠٧، ١٠٨ ، ط . دار الفكر.

4 – سورة النحل: آية ١٢٦.

5 – ينظر: السراج المنير جــ٣ ٣٩٢، ٣٩٣.

6 – ينظر: التفسير الكبير للرازى جــ٢٠ ص١١٥ .

7 – سورة الفرقان: جزء من آية ٦٣.

ردّ ما ذهب إليه أبو العالية[1] من نسخها بآية القتال ؛ فقال الخطيب الشربينى[2]: " ولا حاجة إلى ادعاء النسخ بآية القتال ولا غيرها؛ لأن الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن فى الأدب والمروءة والشريعة، أسلم للعرض والورع. "

وهذه بعض من المواضع النادرة التى ردّ فيها الخطيب الشربينى القول بالنسخ.

٦- يذكر النسخ فى الآية بصيَغ أخرى:

وأحيانا ينبه على النسخ فى الآية بصيغ أخرى مختلفة ؛ مثل: قبل الإباحة ، أو قبل الأمر ، ومثال ذلك:

● قوله تعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ** ﴾[3] أوضح أنه ــ تعالى ــ كنى عن الجماع ؛ استهجانًا لما وجد منهم قبل الإباحة ؛ فيقول[4]: " وكنى عن الجماع هنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله: ﴿ **وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ** ﴾ [النساء: ٢١] استهجانًا لما وجد منهم قبل الإباحة، ولذلك سماه فيما يأتى خيانة ؛ قال ابن عباس ــ رضى الله ــ تعالى ــ عنهما[5]: إن الله ــ تعالى ــ حيىٌ كريم يكنى كل ما

---

[1] -هو رفيع بن مهران الرياضى مولاهم، أبو العالية، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبى ﷺ بسنتين ، وهو من ثقات التابعين المشهورين بالتفسير ، روى عن على وابن مسعود وابن عباس وغيرهم ، وكانت وفاته سنة ٩٠ هـ وقيل سنة ٩٦ هـ ؛ ينظر طبقات القراء لابن الجزرى جـ١ ص٢٨٤ هـ .

[2] - ينظر: السراج المنير جـ٤ ص٤٧٥.

[3] - سورة البقرة: جزء من آية ١٨٧.

[4] - ينظر: السراج المنير جـ١ ص١٩٤.

[5] -ذكره الطبرى فى تفسيره جـ٢ ص١٠٥ ، وذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره جـ١ ص٣١٧ .

ذكر في القرآن من المباشرة والملامسة والإفضاء والدخول. فالرفث إنما عنى به الجماع. وقال الزجاج[1]: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجال من النساء؛ قال أهل التفسير: كان في ابتداء الأمر إذا أفطر الرجل حلّ له الطعام والشراب والنساء إلى أوان العشاء الآخرة، أو يرقد قبلها؛ فإذا صلى العشاء أو رقد قبلها حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى الليلة القابلة "

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً** ﴾[2] يقول[3]: " أي: لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافأتهم ؛ فإنّ ذلك ترك للدعاء إلى الله ــ تعالى وكان هذا قبل الأمر بالقتال، فإنه ﷺ منع في أول الاسلام من قتال الكفار، وأمر هو وأصحابه بالصبر على أذاهم بقوله ــ تعالى ــ: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٨٦] الآية، ثم أمر به ؛ ابتدؤوا بقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ** ﴾ [البقرة: ١٩٠] ثم أبيح له ابتداؤه في غير الأشهر الحرم، ثم أمر به مطلقا من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله ــ تعالى ــ: ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ** ﴾ [البقرة: ١٩١] "

وهكذا نجد الخطيب الشربيني لم يستخدم تعبير المنسوخ أو الناسخ في بيان النسخ في الآيات الكريمة السابقة ؛ ففي الآية الأولى عبّر عن النسخ بالإباحة ، وفي الآية الثانية والثالثة أشار إلى المنسوخ بـ "قبل الأمر" والناسخ "بالأمر" "ثم أمروا" وبالإباحة "ثم أبيح لهم".

وهذه مواضع قليلة استخدم فيها الخطيب الشربيني تعبيرات مغايرة للإشارة إلى الناسخ والمنسوخ في الآيات الكريمة.

---

1 – ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج جـ١ ص٢١٢ .

2 – سورة المزمل: آية ١٠.

3 –ينظر :السراج المنير جـ٨ ص١٥١ .

منهجه فى التفسير العلمى

تضمن القرآن الكريم كثيراً من الآيات الكونية التى تناولها المفسرون بالشرح والبيان، وتوضيح أسرارها ودقائقها ، وإبراز ما تنطوي عليه من مظاهر قدرة الخالق ــ عز وجل ــ والإقرار بواحدنيته.

وقد اختلفت اتجاهات المفسرين فى بيان هذه الآيات من خلال التفسير، تبعاً لثقافة المفسر؛ فمنهم من اكتفى بنقل المأثور من أقوال النبى ﷺ والصحابة والتابعين فى المعنى المراد من هذه الآيات ؛ كالطبرى والقرطبى وابن كثير، ومنهم من أضاف إلى ذلك عرض مذاهب الفلاسفة والحكماء والطبيعيين وعلماء الفلك ، مع ذكر حججهم ومناقشتها والرد عليها ؛ كما فعل الفخر الرازى والنيسابورى والألوسى.

أما الخطيب الشربينى فقد اتخذ اتجاها وسطا ؛ فذكر ما ورد فى الأثر فيها، واعتمد على الدلالات اللغوية فى بيان المراد منها ، وكان يذكر أقوال العلماء ولكن بقلة ؛ ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية:

● فمثلا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً**﴾[1] وجدته يتناول مسألة كروية الأرض ؛ فيقول: " ومعنى جعلها فراشاً: أن جعل بعض جوانبها بارزًا عن الماء مع ما فى طبع الماء من الإحاطة بها ، وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأةً لأن يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط ، وذلك لا يستدعي كونها مسطحة ؛ لأنَّ كُرِّية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الفراش عليها؛ فليس فى ذلك إلا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفاريش ، وسواء كانت على شكل السطح أو على شكل الكرة "[2]

---

1 – سورة البقرة: جزء من آية ٢٢.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٦٢.

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾[1] يقول الخطيب الشربيني[2]: " قال العلماء: الغذاء يصير جزءًا من جوهر المتغذى ، ولابد أن يحصل للمتغذى أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلاً في الغذاء ، والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة في المنهيات ، فحرم أكله على الإنسان ؛ لئلا يتكيّف بتلك الكيفية ، ولذلك إن الفرنج لما واظبوا على أكل لحم الخنزير أورثهم الحرص العظيم والرغبة الشديدة في المنهيات ، وأورثهم عدم الغيرة ؛ فإنّ الخنزير يرى الذكر من الخنازير ينزو على الأنثى التي له ولا يتعرّض له ؛ لعدم الغيرة "

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾[3] يبيّن منازل القمر؛ فيقول[4]: " فائدة: منازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً، وأسماؤها: السرطان، والبطين ، والثريا ، والدبران ، والهقعة ، والهنعة ، والذراع ، والنثرة ، والطرف، والجبهة ، والزبرة ، والصرفة ، والعوّا ، والسماك ، والغفر ، والزباني ، والإكليل، والقلب، والشولة ، والنعائم ، والبلدة ، وسعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد السعود ، وسعد الأخبية ، وفرغ الدلو المقدّم، وفرغ الدلو المؤخر، وبطن الحوت. وهذه المنازل مقسومة على البروج، وهي اثنا عشر برجًا: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس والجدي، والدلو، والحوت؛ فلكل برج منزلان وثلث، فينزل القمر في كل ليلة منها منزلاً، فيستقر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين، وإن كان تسعًا وعشرين؛ فليلة واحدة، فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل، ويكون مقام الشمس في كل منزلة ثلاثة عشر

---

1 – سورة المائدة: جزء من آية ٣.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص٨.

3 – سورة يونس: جزء من آية٥.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص ٨ ، ٩.

يومًا، فيكون انقضاء السنة مع انقضائها . وانتفاع الخلق بضوء الشمس، وبنور القمر عظيم ؛ فالشمس سلطان النهار، والقمر سلطان الليل، وبحركة الشمس تنفصل السنة إلى هذه الفصول الأربعة، وبالفصول الأربعة تنتظم مصالح هذا العالم، وبسبب الحركة اليومية يحصل النهار والليل، والنهار يكون زمانا للتكسب والطلب، والليل يكون زمانا للراحة "

● ومن الآيات الكونية التي شرحها بالأثر ـ الرعد؛ فعند تفسيره لقوله- تعالى-: ﴿ **وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ** ﴾[1] يقول[2]: " قال ابن عباس: (أقبلت يهود على النبي ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: ملك من الملائكة، موكل بالسحاب ، معه مخاريق[3] من نار يسوق بها السحاب) [4] "

● وكذلك تناول آيات الله ــ عز وجل ــ في خلق التين والزيتون عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ** ﴾[5] يقول[6]: " أقسم بهما؛ لأنهما عجيبتان من بين أصناف الأشجار المثمرة ؛ روى أنه: (أهدى للنبي ﷺ طبق من تين؛ فأكل منه، وقال لأصحابه: كلوا ، فلو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم ، فكلوها؛ فإنها تقطع

---

1 – سورة الرعد: جزء من آية ١٣.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٢٢٠، ٢٢١.

3 – مخاريق: آلة تضرب بها الملائكة السحاب وتسوقه ، جمع مخراق ، وهو في الأصل عند العرب ثوب يلف به الصبيان بعضهم بعضاً ؛ ينظر: لسان العرب لابن منظور جـ١٠ ص٧٦ .

4 – أخرجه الترمذي في سننه ــ كتاب : "التفسير باب" ومن سورة الرعد" برقم ٣١١٧ جـ٥ ص١٨٣ ، وقال: هذا حديث حسن غريب ، وأخرجه أحمد في مسنده "مسند عبد الله بن عباس ــ رضى الله عنهما"جـ٣ ص١٢٨، ١٢٩ ح ٢٤٨٣ بتقديم وتأخير، وفيه زيادة وقال محققه أحمدشاكر :إسناده صحيح .

5 – سورة التين: آية ١.

6 – ينظر: تفسير السراج المنير جـ٨ ص٣٧٦.

البواسير، وتنفع من النقرس) [1] ومرّ معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبًا واستاك به ، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة ؛ يطيب الفم ، يذهب بالحفرة) وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي) [2]. وعن ابن عباس-رضي الله تعالى عنهما- : هو تينكم هذا الذي تأكلون ، وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت. وقال عكرمة: هما جبلان من الأرض المقدسة ، يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا؛ لأنهما منبتا التين والزيتون"

---

1 -أورده الإمام السيوطي في الجامع الصغير "فيض القدير" جـ٥ ص٤٣ ح٦٣٩٣ ونسبه إلى ابن السني وأبي نعيم والديلمي، وأشار إليه بالضعف. وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة جـ١ ص١٩٨ ح١٦٥ وأشار إليه بالضعف ، وقال: يغلب عليّ الظن أن هذا الحديث موضوع فإنه ليس عليه نور النبوة ، وقال : الشيخ العجلوني في كشف الخفاء : جميع ما ورد في الفاكهة من الأحاديث موضوعة ؛ ينظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للمفسر المحدث الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي المتوفى ١٠٦٢ هـ ط. مؤسسة الرسالة بيروت لبنان جـ١ ص٤٢٣ .

2 -أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط باب من اسمه أحمد بن علي ؛ ينظر: المعجم الأوسط للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٢٦٠ ت ٣٦٠ هـ ، تحقيق : صالح شعبان وسيد أحمد إسماعيل ، ط. دار الحديث القاهرة ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م جـ١ ص٢٨٨ ح ٦٨٢ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ـ كتاب :الصلاة، باب : بأي شيء يستاك جـ٢ ص١٠٠ وعزاه إلى الطبراني في الأوسط ، وأورده العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس جـ٢ ص٤٢٣ ونسبه إلى الطبراني في الأوسط عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه .

الفصل الثانى : الجانب العقائدى فى تفسيره

جاء النبى ﷺ وسلم بالعقيدة الصحيحة ، وظلت هى السائدة بين المسلمين حتى ظهرت الفرق و نشأت المذاهب المتعددة ، وافترقت الأمة فرق عديدة ، يدافع علماء كل فرقة عن مذهبهم و عقائدهم، و يؤيدونها بتفسير النصوص الشرعية (قرآن – سنة) وكلما ظهرت فرقة سميت باسم خاص ، وبقى أصحاب العقيدة الصحيحة هم أهل السنة و الجماعة

" وأهل السنة و الجماعة هم الذين على هدى الرسول ﷺ أصحابه علماً، واعتقاداً ، وقولاً ، عملاً ، وأدباً ، وسلوكاً ،وهم سلف الأمة من الصحابة و التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، الذين اجتمعوا على الكتاب والسنة . وعلى أئمتهم و أئمة الهدى المتبعين لهم و كل من سلك سبيلهم فى الإعتقاد و القول والعمل والسلوك إلى يوم الدين ؛ مثل الأئمة الأربعة ، وسفيان الثورى ، والأوزاعى ،وابن المبارك [(١)]، وابن تيمية ، وابن القيم [(٢)] ،ومن سار على دربهم ، وهم الذين استقاموا على الاتباع و جانبوا الإبتداع فى كل زمان ومكان ؛ فهم باقون ظاهرون منتصرون إلى يوم القيامة ؛ قال ابن حزم[(٣)] فى الفصَل : " وأهل السنة الذين نذكرهم أهل

---

[1] – هو عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلى ، التميمى ، المروزى ، أبو عبد الرحمن: الحافظ ، شيخ الإسلام ، جمع الحديث والفقه والأدب والنحو واللغة والشعر وفصاحة العرب وأيام الناس والشجاعة والسخاء ، من كتبه :تفسير القرآن ؛ ينظر: معجم المفسرين جـ١ ص٣٢٠ .

[2] – هو محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد الزرعى الدمشقى ، أبو عبد الله ، شمس الدين ،المعروف بابن قيم الجوزية : من كبار فقهاء الحنابلة ، محدث ، مفسر ، متكلم جدلى ،ولد بدمشق ولازم ابن تيمية ونشرعلمه ،توفى سنة ٧٥١ هـ ،من كتبه : تفسير المعوذتين ، وتفسير الفاتحة والتفسير القيم ؛ ينظر : معجم الممفسرين جـ٢ ص٥٠٣ .

[3] –هو أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أبو محمد الأندلسى القرطبى، الإمام الأوحدى البحر ذو الفنون والمعارف، الفقيه ،الحافظ ،المتكلم ،الأديب ،الوزير، الظاهرى، ناثب=

الحق، ومن عداهم فأهل البدعة . فأهل الحق هم الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين ــ رحمة الله عليهم ــ ثم أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا ،ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها ــ رحمة الله عليهم ــ كما يطلق عليهم السلف الصالح ، وأهل الحديث، والفرقة الناجية ، والطائفة المنصورة ، وأهل الاتباع ، وأهل الجماعة ، وبهذا المعنى الخاص فإن مصطلح السلفية الذى نشأ عندما تنازعت الفرق الكلامية وأهل الأهواء مصطلح أهل السنة وتسموا به " الخلفية " فبرز مصطلح السلفية للتمييز و الدلالة على المتمسكين بالأمر الأول " [1].

" ويسمون بأهل الكتاب والسنة ؛ لأنهم يعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد وبهذا سموا أهل الكتاب و السنة "[2].

وقد علل ابن تيمية – رحمه الله – هذه التسمية بقوله: " وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هى الاجتماع وضدها الفرقة ــ وإن كان لفظ

=أمير المؤمنين عمر على دمشق، ولد سنة ٣٨٤ هـ وتوفى ٤٦٥ هـ، من كتبه:الإيصال إلى فهم الخصال ، المحلى ، الفِصَل فى الملل والنحل ، الرد على من اعترض على الفِصَل ؛ ينظر: سير أعلام النبلاء جـ١٨ ص١٨٤ –٢١٢ .

1 – ينظر: الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ،إشراف وتخطيط ومراجعة : د.مانع بن حماد الجهنى ــ ط . دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ــ الرياض ، الثالثة ١٤١٨ هـ ، جـ ٢ ص ١١٣ .

2 – ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم القاسمى النجدى الحنبلي وابنه محمد ،الطبعة الثانية ١٢٩٩ هـ ص ١٥٧ .

الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين "و الإجماع "هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين "[1].

ويقول أيضاً : " فمن قال بالكتاب و السنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة "[2].

وقد اهتم المفسرون ببيان مسائل العقيدة التي لها علاقة بالآيات القرآنية، و توسع بعضهم في عرض آراء الفرق والرد عليهم و إبطال حججهم و دفع شبههم ؛ كما فعل الفخر الرازي ، والنيسابوري ، والآلوسي ، وغيرهم ممن عنوا بمباحث العقيدة .

والمطالع لتفسير السراج المنير يلحظ حرص الخطيب الشربيني على بيان العقيدة التي يلزم أن يعقد المؤمن قلبه عليها حتى يكون مؤمناً حقًّا ، بعيداً عن الزيغ و البدع المضلة في الاعتقاد ؛ فيتناول العقيدة بمباحثها المختلفة: الإلهيات ، النبوات ، والغيبيات ، وينهج منهج أهل السنة والجماعة، و يتصدى عند تفسيره لبعض الآيات لتفنيد آراء الفرق الأخرى خاصة المعتزلة،[3] مقرًا لمذهب أهل السنة والجماعة في نقاط النزاع بينهم، لكنه لا يستفيض كغيره من المفسرين في المباحث العقلية ؛ وإنما يكتفي

---

[1] – ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ، جـ ٣ ص١٥٧.

[2] – ينظر: المرجع السابق جـ ٣ ص ٣٤٦ .

[3] – المعتزلة هم أصحاب واصل بن عطاء الغزالي ؛ اعتزل عن مجلس حسن البصري، وهم فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في أواخر العصر العباسي ، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى إنحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها المعتزلة ، والقدرية ، والعدلية ، وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة ، والوعيدية ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص٢٨٢، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب جـ ١ ص٦٩ .

بعرض آراء الفرق و بيان أن الآية لا تصلح دليلاً لهم ، مستدلاً بما ظهر من الآية ، وقد ينقل مناقشة غيره ؛ ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية :

١ ــ الإلاهيات

- **صفات الله :**

تعرض الخطيب الشربينى للآيات التى تتحدث عن صفات الله والتى توهم التشبيه ؛ كاليد ، والوجه ، والاستواء ، وتناول ما تعرض له العلماء من تأويل لها أو نفى لمعناها أو تفسير أو شرح ، فالمطالع لتفسيره يجده يثبت الصفات لله ــ عز وجل ــ ويعرض آراء السلف و الخلف على النحو التالى :

- **اليد :**

فى تفسيره لقوله ــ تعالى ــ : ﴿ **يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ [1] يقول[2]: "يحفظهم على البيعة كما يحفظ المتوسط أيدى المتابيعين ؛ قال البقاعى [3]: فلعنة الله على من حمله على الظاهر من أهل العناد ببدعة الاتحاد ،وعلى من تبعهم على ذلك من الذين شاقوا الله ورسوله ﷺ وسائر الأئمة الأعلام ، ورضوا لأنفسهم بأن يكونوا أتباع فرعون اللعين ، وناهيك به من ضلال مبين أ.هـ وقد مر أن التأويل فى الآيات المتشابهات مذهب الخلف، ومذهب السلف السكوت عن التأويل و إمرار الصفات على ما جاءت و تفسيرها وقراءتها والإيمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل" .

---

1 – سورة الفتح : جزء من آية ١٠.

2 – ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص٦٧ .

3 – ينظر:نظم الدرر للبقاعى جـ ٧ ص ١٩٤ .

- **العين:**

وعند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [1] يقول [2] : " أى : محفوظة من أن تدخل بحر الظلمات ، أو يأتى عليها غير ذلك من الآفات بحفظنا على ما لنا من العظمة ـ حفظ من ينظر الشىء بأعين كثيرة ولا يغيب عنه أصل ، وجوزوا أن يكون جمع تكسير لعين الماء ".

- **الوجه :**

يرى الخطيب الشربينى إثبات الوجه لله ـ عز وجل ـ ففى تفسيره لقوله ـ تعالى:ـ ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ** ﴾ [3] يقول[4]: " أى: ذاته ؛ فإن الوجه يعبر عن الذات ؛ قال أبو العالية : إلا ما أريد به وجهه . و قيل إلا ملكه ".

وعند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ**﴾[5]يقول[6]: " لوجه الله؛ أى: لذات الملك الذى استجمع الجلال والإكرام لكونه أمرنا بذلك،و عبر بالوجه ؛لأن الوجه يستحى منه و يرجى و يخشى عند رؤيته ".

- **العلم :**

أثبت الخطيب الشربينى لله ـ عز وجل ـ العلم ، فعند انتهائه من تفسيره لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ**

---

1 – سورة القمر :جزء من آية ١٤ .

2 – ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٢٢٢ .

3 – سورة القصص: جزء من آية ٨٨ .

4 – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص ١٧٩ .

5 – سورة الإنسان : جزء من آية ٩ .

6 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص ٢٠٦ .

منْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ [1]

يقول [2]: " فإن قيل: الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى ؟ أجيب بأن الله يفهمه و يلهمه فيخشى بإلهامه، قال البغوى[3]: ومذهب أهل السنة أن لله ــ تعالى ــ علماً في الجمادات و سائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره؛ فلها صلاة و تسبيح ؛ كما قال ــ جل ذكره ــ :"و إن من شيء إلا يسبح بحمده "[الإسراء،٤٤] وقال ــ تعالى ــ :" و الطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه "[الإسراء ٤٤][النور ٤١] وقال ــ تعالى ــ : "ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض و الشمس و القمر "[الحج ١٨] الآية فيجب على المرء الإيمان به و بكل علمه إلى الله ــ سبحانه وتعالى ــ" .

- **قضية الجبر و الاختيار :**

عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ : **﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ اللهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلآ ءَابَآؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا ﴾** [4] يقول الخطيب الشربيني[5] : "أرادوا أن يجعلوا قولهم: "لو شاء الله ما أشركنا "حجة لهم على إقامتهم على الشرك ، و قالوا:إن الله قادر على أن يحول بيننا و بين ما نحن فيه حتى لا نفعله فلو أنه رضي ما نحن فيه و أراده منا و أمرنا به لحال بيننا وبين ذلك؛ فقال الله تعالى تكذيباً لهم :"كذلك كذب الذين من قبلهم "أي :كفار الأمم الماضية "حتى

---

1 – سورة البقرة : جزء من آية ٧٥ .

2 – ينظر: السراج المنير جـ ١ ص١١٤، ١١٥ .

3 – ينظر: تفسير البغوى على هامش الخازن جـ ١ ص ٧٤ .

4 – سورة الأنعام : جزء من آية148 .

5 – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص ١٦٧ .

ذاقوا بأسنا "أي :عذابنا. و يستدل أهل القدر[1] بهذه الآية يقولون :إنهم لما قالوا :"لو شاء الله ما أشركنا " كذبهم الله ورد عليهم ؛ فقال :"كذلك كذب الذين من قبلهم "و أجاب أهل السنة :"بأن التكذيب ليس في قولهم :إن الله أمرنا بها و رضي ما نحن عليه كما أخبر ـ تعالى ـ عنهم في سورة الأعراف "وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا و الله أمرنا بها "[الأعراف ٢٨]فالرد عليهم في هذا كما قال ـ تعالى ـ :"قل إن الله لا يأمر بالفحشاء"[الأعراف ٢٨] و الدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لا في قولهم:"لو شاء الله ما أشركنا " قوله ـ تعالى ـ:"كذب الذين من قبلهم" بالتشديد ولو كان (كذلك) خبراً من الله عن كذبهم في قولهم :"لو شاء الله ما أشركنا "لقال : "كذب الذين من قبلهم" بالتخفيف ، وكان ينسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب . وقال الحسين بن الفضل : لو ذكروا هذه المقالة تعظيماً و إجلالاً لله ـ تعالى ـ ومعرفة منهم لما عابهم بذلك ؛ لأن الله ـ تعالى ـ قال :" و لو شاء الله ما أشركوا "[الأنعام ١٠٧] و قال ـ تعالى ـ :"وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله "[الأنعام ١١١] والمؤمنون يقولون ذلك و لكن المشركين قالوا تكذيباً و تحريضاً و جدلاً من غير معرفة بالله وبما يقولون . نظيره قوله ـ تعالى ـ "وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم "[الزخرف ٢٠] وقد علم من ذلك أن أمر الله ـ تعالى ـ بمعزل عن مشيئته و إرادته فإنه مريد لجميع الكائنات غير آمر بجميع ما يريد وعلى العبد أن يتبع أمره و ليس له أن يتعلق بمشيئته ؛ فإن مشيئته لا تكون عذراً لأحد ".

---

[1] – أهل القدر : هم إحدى الفرق الكلامية المنتسبة إلى الإسلام ، ذات المفاهيم والآراء الإعتقادية الخاطئة في مفهوم القدر حيث قالوا :بإسناد أفعال العباد إلى قدرتهم وأنه ليس لله تعالى عن قولهم دخل في ذلك ولاقدرة ولا مشيئة ولا قضاء كما أنكروا علم الله تعالى السابق، وقد وجدت طائفة منهم تثبت العلم والكتاب وتنكر المشيئة ؛ ينظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب للجهني جـ٢ ص١١٢٤، ١١٢٥ .

وعند تفسيره لقوله ــ تعــالى ــ: " ﴿ كَــذَلِكَ نَطْبَــعُ عَلَــى قُلُــوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ [1] يقول [2] : نطبع ؛ أى : نختم "على قلوب المعتدين " فى كــل زمان لكل من تعمد العدول فيما لا يحل له ؛ فلا يقبل الإيمان لانهماكهم فــى الضلال واتباعهم المألوف ، وفى أمثال ذلك دليل على أن الأفعال واقعة بقدر الله ــ تعالى ــ وكسب العبد ".

- رؤية الله:

يقول الخطيب الشربينى بحصول رؤية الله عز وجل فــى الآخــرة ؛ فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3] يقول[4]: " "إلى ربهــا" أى: المحسن إليها خاصة؛ باعتبار أن عد النظر إلى غيره كلا نظر، "ناظرة" أى: دائما هم محدقون أبصارهم لا غفلة لهم عن ذلك، فإذا رفع الحجــاب عــنهم أبصروه بأعينهم ؛ بدليل التعدّى بإلى، وذلك النظر جهة من غير اكتتــام ولا تضامّ ولا زحام ؛ كما قال ابن عباس رضــى الله تعــالى عنهمــا، وأكثــر المفسرين، وجميع أهل السنة، وروى عن النبى ﷺ فى الأحاديث الــصحيحة من وجوه كثيرة بحيث اشتهر غاية الشهرة، وتكون الرؤية كمــا مثلــت فــى الأحاديث كما يرى القمر ليلة البدر؛ أى: كل من يريد رؤيته من بيتــه يــراه مجليا له، هذه وجه الشبه، إلا أنه في جهة ولا فى حالة لها شبيه ــ تعالى ــ الله الكريم عن التشبيه.

فمن تلك الأحاديث ما روى عن جرير بن عبد الله قال: خــرج علينــا رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليله البدر، فقال ﷺ:(إنكم سترون ربكم عيانــا كما ترون القمر لا تضامون فى رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة

---

1 – سورة يونس : جزء من آية٧٤ .

2 – ينظر: السراج المنير جــ٣ ص٤٧ .

3 – سورة القيامة: آية ٢٣.

4 – ينظر: السراج المنير جــ ٨ ص ١٩٠.

قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا)، ثم قرأ ﴿ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ**﴾[1] [طه: ١٣٠].

وفى كتاب النسائى عن وهب قال: "ينكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر ولا أقر لأعينهم"[2].

وردّ الخطيب الشربينى على المعتزلة فى إنكارهم الرؤية ؛ فقال عند تفسيره الآية نفسها السابقة[3][4]: "وأنكر الرؤية المعتزلة واحتجوا بقوله ــ تعالى ــ : ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام: ١٠٣] ويقولون: النظر المقرون بإلى ليس إسمًا للرؤية بل لمقدمة الرؤية ؛ وهى تقليب الحدقة نحو المرئى التماسا لرؤيته ، ونظر العين بالنسبة إلى الرؤية كنظر القلب بالنسبة إلى المعرفة وكالإصغاء بالنسبة إلى السمع، ويدل على ذلك قوله ــ تعالى ــ: ﴿**وتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**﴾ [الأعراف: ١٩٨] فأثبت النظر حال عدم الرؤية، فتكون الرؤية غاية النظر، وأن النظر يحصل والرؤية غير حاصلة. قالوا: ويمكن أن يكون معنى قوله ــ تعالى ــ: "ناظرة" فتنظره ؛ كقولك أنا أنظر إليك فى حاجتى"

---

1 – أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب: التفسير ، باب :قوله تعالى "فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب"ح ٤٨٥١، والترمذى فى سننه ــ كتاب :صفة الجنة ،باب :ما جاء فى رؤية الرب تبارك وتعالى جــ٤ ص٣٩٨ وقال أبو عيسى :هذا حديث حسن صحيح .

2 – أخرجه مسلم فى صحيحه ــ كتاب :الإيمان ، باب: إثبات رؤية المؤمنين فى الأخرة ربهم سبحانه وتعالى ح ١٨١ جــ١ ص١٧١ .

3 – " إلى ربها ناظرة " القيامة " آية ٢٣ .

4 – ينظر: السراج المنير جــ ٨ ص ١٩٠، ١٩١.

وأجيب عن استدلالهم: " بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ بأنه لا تدركه بالإحاطة والجهة ؛ فلا يكون ذلك مانعا للرؤية على هذا الوجه . وعن بقية استدلالهم بما ذكروه بجوابين:

أحدهما: أن نقول: النظر هو الرؤية لقول موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣] فلو كان المراد تقليب الحدقة نحو المرئي لاقتضت الآية إثبات الجهة والمكان، ولأنه أخر النظر عن الإرادة فلا يكون تقليب الحدقة.

الجواب الثاني: إذا سلمنا ما ذكرتموه من أن النظر تقليب الحدقة ؛ تعذر حمله على الحقيقة ؛ فيجب حمله على الرؤية إطلاقا لاسم السبب على المسبب وهو أولى من حمله على الانتظار لعدم الملازمة؛ لأن تقليب الحدقة كالسبب للرؤية، ولا تعلق بينه وبين الانتظار.

وأما قولهم بحمله على الانتظار فأجيب عنه: بأن الذى هو بمعنى الانتظار فى القرآن غير مقرون بإلى، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن ﴾ [الأنعام: ١٥٨] والذى ندعيه أن النظر المقرون بإلى ليس إلا بمعنى الرؤية؛ لأن وروده بمعنى الرؤية ظاهر؛ فلا يكون بمعنى الانتظار؛ دفعا للاشتراك".

كلام الله:

يثبت الخطيب الشربينى صفة الكلام لله ـ عز وجل ـ ويرى أنها صفة أزلية قديمة، وأن كلام الله ـ عز وجل ـ ليس بمخلوق؛ فيقول عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[1] [2] : "هو منتهى مراتب الوحى ؛ أى: كلمه على التدريج شيئا فشيئا بحسب المصالح بغير واسطة

---

1 – سورة النساء: جزء من آية ١٦٤.

2 – ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٥٤٣ ، ٥٤٤.

مَلَك، فلا فرق في الوحي بين ما كان بواسطة ، وما كان بلا واسطة ، وخص به موسى من بين سائر الأنبياء غير نبينا، وأما نبينا ﷺ فقد فضله الله بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم".

وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾[1] يقول الخطيب الشربيني[2]: " دلت الآية الكريمة على أنه ــ تعالى ــ كلم موسى ــ عليه السلام ــ والناس مختلفون في كلام الله ؛ قال الزمخشري في كشافه[3]: "وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم المَلَك . وهذا مذهب المعتزلة ، ولا شك في بطلانه وفساده لأن ذلك الجرم كالشجرة لا يقول: أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ؛ فثبت بذلك بطلان ما قالوه . وذهب بعض الحنابلة والحشوية [4]إلى أن كلام الله ــ تعالى ــ

---

1 – سورة الأعراف: جزء من آية ١٤٣.

2 – ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٢٥٠.

3 – ينظر: الكشاف للزمخشري جـ٢ ص١١١ .

4 –هذا اللفظ ليس له مسمى معروف لا في الشرع ولا في اللغة و لا في العرف العام ولكن يذكر أن أول من تكلم بهذا اللفظ عمر بن عبيد حين ذُكِرَ له عن ابن عمر رضي الله عنه ما يخالف مقولته فقال: كان ابن عمر حَشَوِيًا ، و أصل ذلك أن كل طائفة قالت قولا تخالف به الجمهور والعامة ينسب الى أنه قول الحشوية ، أي الذين هم حشو في الناس ليسوا من المتأهلين عندهم ،فالمعتزلة تسمي من أثبت القدر حشوية ،والجهمية يسمون مثبت الصفات حشوية والرافضة يسمون قول أهل السنة والجماعة قول الجمهور وكذلك الفلاسفة تسمي ذلك قول الجمهور فقول الجمهور وقول العامة من جنس واحد،وأخرج الذهبي في سير أعلام النبلاء"لما استأذن ابن أبي داود على الجاحظ قال:من أنى؟ قال رجل من أصحاب الحديث فقال: أوما علمت أني لا أقول بالحشوية، والجاحظ متكلم معتزلي يرى أن أهل الحديث والأثر حشوية؛ينظر: فتاوى ابن تيمية جـ١٢ ص ١٧٦ ،منهاج السنة النبوية لابن تيمية العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم،تحقيق د.محمد رشاد سلم ط.مكتبة بن تيمية_القاهرة ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م الثانية ج٢ ص٥٢٠ ،وسير أعلام النبلاء جـ١١ ص٣٥٠ .

حروف وأصوات متقطعة وأنه قديم، قال الإمام الرازى:[1] "وهذا القول أخس من أن يلتفت إليه العقل. والذى عليه أكثر أهل السنة والجماعة أن كلام الله ــ تعالى ــ صفة مغايرة لهذه الحروف والأصوات، وأن موسى سمع تلك الصفة الحقيقية الأزلية ؛ قالوا: كما أنه لا يبعد رؤية ذاته مع أن ذاته ليست جسما ولا عرضا؛ كذلك لا يبعد سماعه كلامه مع أن كلامه لا يكون حرفا ولا صوتا. وفيما يروى أن موسى ــ عليه السلام ــ كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة ــ تنبيه على أن سماع كلامه ــ تعالى ــ القديم ليس من جنس كلام المحدثين".

ويرد الخطيب الشربينى القول بأن القرآن مخلوق عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[2] إذ يقول[3]: " تنبيه: احتجت المعتزلة بما جاء فى القرآن بلفظ الماضى ؛ نحو: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ٦] ، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩] ،﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [نوح: ١] على حدوث القرآن لاستدعاء ما جاء فيه بلفظ الماضى سابقية المخبر عنه ، والقديم يستحيل أن يكون مسبوقا بغيره؛ فأجاب أهل السنة: بأن ما جاء فيه بلفظ الماضى مقتضى تعلق الحكم بالخبر عنه ، وحدوث مقتضى التعلق لا يستلزم حدوث المخبر عنه ؛ فلا يستلزم حدوث كلام الله ؛ كما فى عمله ــ تعالى ــ فإنه قديم ومقتضى تعلقه بغيره حادث ؛ والحاصل أنه لا يلزم من حدوث مقتضى التعلق ــ وهو الكلام اللفظى ــ حدوث الكلام النفسى.

---

1 – ينظر: مفاتيح الغيب للرازى جـ١٤ ص١٨٦ .

2 – سورة البقرة: آية ٦.

3 – ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٤٥، ٤٦.

٢ ــ النبوات

النبوات من المسائل الرئيسة في العقيــدة ؛ وذلــك لأن اتــصال الــسماء بالأرض بتبليغ رسالة من رسالات الله ــ عز وجل ــ لا يمكن أن يكــون إلا بواسطة، وهذه الواسطة هى الرسول أو النبى؛ لذا نرى أن مباحث البنــوات تلى مباحث الإلهيات.

ومن هنا جاء اهتمام المفسرين ببيان ما يتعلق بــالنبوات مــن مــسائل، والقارىء لتفسير " السراج المنير" الذى نحن بصدده يلحــظ أيــضا عنايــة المفسر بمسائل النبوات ؛ ومن أهم المسائل التى تناولها الخطيــب الــشربينى فى تفسيره الآية:

١ ــ الشفاعة:

يقول الخطيب الشربيني بالشفاعة لعصاة المسلمين يوم القيامــة ، ويــرد على من ينكرها عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْــزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ**﴾[١] يقول[٢]: " تنبيه: قول البيضاوى[٣] وإيراده أى: شيئا منكرًا مع تنكير النفسين للتعميم والإقناط الكلى ــ تبع فيه "صاحب الكشاف"[٤] وهو جارى على مذهب المعتزلة من أنهم ينكرون الــشفاعة للعــصاة ، وســيأتى الجواب على مذهبهم "ولاتقبل" بالتاء على التأنيث كما قرأ به ابن كثير وأبــو عمرو، و بالياء على التذكير كما قرأ به الباقون "منها شفاعة" أى: من النفس الثانية ؛ لقوله ــ تعالى ــ :"ولا يؤخذ منهــا عــدل" أى: فــداء " ولا هــم ينصرون" أى: يمنعون من عذاب الله ؛ إذ الضمير فــى الجملتــين للنفــوس

---

[1] – سورة البقرة آية ٤٨.

[2] – ينظر: السراج المنير جـــ ١ ص ٩٤.

[3] – ينظر: حاشية زاده على البيضاوى جـــ ٢ ص٣٩ .

[4] – ينظر: الكشاف للزمخشرى جـــ ١ ص٢٧٩ .

العاصية ، ويصح رجوعه للنفس الأولى ؛ لأنها المحدث عنها في قوله ــ تعالى ــ: "لا تجزى نفس عن نفس" والثانية مذكورة على سبيل الفضلة لا العمدة وتذكير ضمير "ولا هم ينصرون" مع أن الضمير راجع للنفوس، وكان المناسب هنّ بالتأنيث ــ لأنه بمعنى العباد أو الإناث ؛ كما تقول ثلاثة أنفس "بالتاء" مع تأنيث النفس ؛ بتأويل النفوس بالأشخاص أو الرجال. والنصرة أخص من المعونة ؛ لاختصاصه بدفع الضرر. وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لأهل الكبائر؛ وأجاب أهل السنة عن ذلك بأجوبة ؛ منها: أن الآية مخصوصة بالكفار للآيات والأحاديث الواردة فى الشفاعة ، ويؤيد هذا أن الخطاب معهم ؛ وعلى هذا يتمشى قول البيضاوى المار؛ ويكون المراد حينئذ أنه ليس لها شفاعة فتقبل ؛ كما قال ــ تعالى ــ حاكيا عنهم: ﴿ **مَا لَنَا مِن شَافِعِينَ** ﴾ [الشعراء: ١٠٠].

ومنها: أن الآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم أنّ آباءهم تشفع لهم.

ومنها: أنها لا تشفع إلا بإذن الله.

٢ ــ المعجزة:

قرّ الخطيب الشربينى ما جاء به القرآن الكريم من معجزات الأنبياء عند تفسيره للآيات القرآنية التى تشملها ، واعترض على من ينكر هذه المعجزات .

● فعند انتهائه من تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾[1] يقول[2]: " من أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله ــ تعالى ــ وقلة تدبره فى عجائب صنعه ، فإنه لما أمكن أن يكون من الأحجار ما يحلق

---

1 – سورة البقرة: آية ٦٠.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص١٠٤.

الشعر؛ كالنورة ، ويجذب الحديد ؛ كالمغناطيس ، وينفر الخل ؛ كالهربـــان ؛ فإنه إذا وضع فى إناء لا يحصل الخل فى ذلك الإناء ــ لم يمتنع أن يخلق الله حجرًا يسخره لجذب الماء من تحت الأرض أو لجذب الهواء مـــن الجوانـــب الأربعة ويصيره ماء بقوّة التدبير، ونحو ذلك ".

● وأيضا يؤكد أن المعجزة من دلائل النبوة التى تصدق النبى و تـشهد له عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَـالَ يَـا قَـوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾[1] فيقـول[2]: " فإن قيل: ما كانت معجزته إذ لم تذكر له معجزة؟ أجيب: بأنه قد وقع العلـم بأنه كان له معجزة لقوله: "قد جاءتكم بينة من ربكم" ولأنه لابدّ لمدّعى النبوّة من معجزة تشهد له وتصدقه ؛ وإلا لم تصح دعواه ، وكان متنبئًـا لا نبيًّـا، غير أن معجزته لم تذكر فى القرآن ؛ كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا محمد ﷺ ".

وقد تعرّض الخطيب الشربينى بالشرح والبيان لكل ما ورد فى القـرآن الكريم من معجزات للأنبياء .

● فعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **هَـذِهِ نَاقَـةُ اللّـهِ لَكُـمْ آيَـةً** ﴾[3] يقول[4]: " أى علامة على صدقى ، أو "آية" نصبت على الحال ؛ عاملها مـا دلّ عليه اسم الإشارة من معنى الفعل ؛ كأنه قال: أشير إليها آيـة . و"لكـم" بيان لــ"من" هى له آية موجبة عليه الإيمان خاصـة وهـم ثمـود ؛ لأنهـم عاينوها ؛ وسائر الناس أخبروا ؛ وليس الخبر كالمعاين ؛ كأنـه قـال لكـم خصوصا ؛ وإنما أضيفت إلى الله ــ تعالى ــ تعظيمًا لها وتفخيمًـا لـشأنها ؛

---

1 – سورة الأعراف: جزء من آية ٨٥.

2 – ينظر: السراج المنير جــ٢ ص٢٢٢.

3 – سورة الأعراف: جزء من آية ٧٣.

4 – ينظر: السراج المنير جــ٢ ص٢١٦ .

كما يقال: بيت الله ؛ ولأنها جاءت من عند الله ــ تعالى ــ بلا وسائط وأسباب معهودة ؛ ولذلك كانت آية ﴿ **فَذَرُوهَا**﴾ أي: اتركوها ﴿ **تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ** ﴾ أي: العشب ؛ فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات إنباتكم ﴿ **وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ**﴾ أي: بشيء من أنواع الأذى ؛ لا بعقر ولا بغيره . وقوله ﴿**فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ أي: بسبب أذاها جواب النهى ".

● كما أشار إلى معجزات عيسى ــ عليه السلام ــ عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿**وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾[1] فيقول[2]: " "قد جئتكم بآية" أي: علامة "من ربكم" تصدق قولي، وإنما قال بآية وقد أتى بآيات؛ لأن الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة ... "أخلق" أي: أصور "لكم من الطين كهيئة الطير" أي: مثل صورته فيصير طيرًا كسائر الطيور، وحيًّا طيَّارًا "فأنفخ فيه" الضمير للكاف أي: في ذلك المماثل للطير؛ أي: في فيه "فيكون طيرًا بإذن الله" أي: بإرادته، نبه بذلك على أن إحياءه من الله ــ تعالى ــ لا منه ... "وأبرىء" أي: أشفي "الأكمه" وهو الذي ولد أعمى أو ممسوح العينين، ... "والأبرص" وهو الذي به برص وهو بياض شديد يبقع الجلد ويذهب دمويته ، وإنما خص هذين المرضين بالذكر؛ لأنهما أعييا الأطباء ، وكان الغالب في زمن عيسى الطب ؛ فأراهم المعجزة من جنس ذلك ... وإنما قال ، ثانيًا "وأحي الموتى بإذن الله" وكررّ "بإذن الله" دفعًا لتوهم الألوهية، فإنّ الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية ... "وأنبئكم" أي: أخبركم "بما تأكلون" بما لم أعاينه "وما تدخرون" أي: تخبئون للعشاء حتى

---

[1] – سورة آل عمران: آية ٤٩.

[2] – السراج المنير: جـ١ ص٣٣٩،٣٤٠ باختصار.

تأكلوه ؛ فكان يخبر الرجل بما أكل البارحة ، وبما أكل اليوم ، وبما ادخـــره للعشاء ".

وهذه بعض من أمثلة كثيرة تتبع فيها الخطيب الــشربينى معجــزات الأنبياء[1].

٣ ـــ العصمة:

يقول الخطيب الشربينى بعصمة الأنبياء بعد النبوة ، ويرد علـــى مـــن ينكرها، لكنه لا ينكر صدور المعصية عنهم قبل النبوة:

● فعند انتهائه من تفسيره لقوله ـــ تعالى ـــ: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَـــذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـــئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾[2] يقول[3]: " واستدل بعـــض الخوارج كالحَشَوِيَّة ـــ وهم قوم جوّزوا الخطاب بما لا يفهم بها علـــى عـــدم عصمة الأنبياء بوجوه: الأول: أن آدم ـــ عليه السلام ـــ كان نبيًّـــا وارتكـــب المنهى ، والمرتكب له عاص. والثانى: أنه جعله بارتكابـــه مـــن الظـــالمين، والظالم ملعون ؛ لقوله ـــ تعالى ـــ: ﴿**أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّـــالِمِينَ**﴾ [هـــود: ١٨] والثالث: أنه أسند إليه العصيان والغىّ ؛ وقـــال: ﴿ **وَعَـــصَى آدَمُ رَبَّـــهُ فَغَوَى**﴾ [طه: ١٢١] والرابع: أنه ـــ تعالى ـــ لقّنه التوبة ؛ وهى الرجوع عن الذنب والندم عليه. والخامس: اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة الله له؛ بقولـــه: ﴿ **وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُـــونَنَّ مِـــنَ الْخَاسِـــرِينَ** ﴾ [الأعـــراف: ٢٣] والخاسر من يكون ذا كبيرة. والسادس: أنه لو لم يذنب ما جرى عليـــه مـــا جرى.

---

[1] – ينظر السراج المنير: جـــ٢ ص١٢٧، ٢٣٢،٢٣٣ ، جـــ٣ ص٣٩٤،٣٩٥، جـــ٥ ص٤٣، ٤٤، جـــ٧ ص٢٢٠، ٢٣٢.

[2] – سورة البقرة: آية ٣٩.

[3] – ينظر: السراج المنير جـــ١ ص٨٨ .

وأجيب عن ذلك بوجوه:

الأول: أنه لم يكن نبيا حينئذ ، والمدّعي مطالب بالدليل ولا دليل.

الثاني: أن النهي للتنزيه، وإنما سمي ظالمًا وخاسرًا ؛ لأنه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الأولى ، وإنما أجرى الله ــ تعالى ــ ما جرى ؛ معاتبة على ترك الأولى ووفاء بما قاله ــ تعالى ــ للملائكة قبل خلق آدم: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [البقرة: ٣٠] ولا يكون خليفة في الأرض إلا بالإهباط إليها. وأمر بالتوبة تلافيًا لما فاته.

الثالث: أنه فعله ناسيا ؛ لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا** ﴾ [طه:١١٥] ولكن عوقب بترك التحفظ عن أسباب النسيان ؛ إذ رفع الإثم بالنسيان من خصائص هذه الأمّة ؛ كما ثبت في الأخبار الصحيحة ؛ كخبر الشيخين: (رفع عن أمّتي الخطأ والنسيان) [1]

وروى الترمذي وصححه: (أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) رواه الحاكم بلفظ (أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون) [2].

الرابع: أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه فإنّه ظنّ أن النهي للتنزيه أو الإشارة إلى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها، وكان المراد بالاشارة الإشارة إلى النوع لا إلى شجرة معينة كما

---

1 –سبق تخريجه ص٧٦ .

2 – أخرجه الترمذي في سننه ــ كتاب : الزهد، باب : ما جاء في الصبر على البلاء جـ٤ ص٣٢٨ ح٢٣٩٨ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه في ــ كتاب: الفتن ، باب : الصبر على البلاء جـ٣ ص٤٢٧ ح٤٠٢٣ برقم (٢٣٩٨)والدارمي في الرقاق، باب: في أشد الناس بلاءً جـ٢ ص٢٠٦ ح٢٧٨٣ . وأحمد في مسنده جـ٢ ص٢٢٧ ح١٤٨١ .والحاكم في المستدرك ــ في كتاب :معرفة الصحابة ، باب : محبة أبي ذر رضي الله عنه ــجـ ٣ ص٣٨٦ ح٥٤٦٣ وسكت عنه الحاكم.

روى أبو داوود وغيره، أنه عليه الصلاة والسلام أخذ حريـــرًا وذهبًـــا بيـــده وقال: (هذان حرام على ذكور أمتي حلّ لإناثها) [1].

فإن قيل: المجتهد إن أخطأ لا يؤاخذ ؛ أجيب: بأنه إنما عوتب على ذلك؛ تعظيمًا لشأن الخطيئة ليجتنبها أولاده "

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِـرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[2] يقول[3]: " وقد استدل من يرى صدور الذنب من الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ بهذه الآية، وردّ بأن درجـــة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله ــ تعالى ــ فـــي أعلـــى الـــدرجات، ولكن يؤاخذون بما لم يؤاخذ به غيرهم ، وأنهم ربما عوتبوا بأمور صـــدرت منهم على سبيل التأويل ؛ فهم بسبب ذلك خائفون وجلـــون . وهـــي ذنـــوب بالإضافة إلى علو منصبهم ومعاصي بالنسبة إلى كمـــال طـــاعتهم ، لا أنهـــا ذنوب كذنوب غيرهم؛ ومعاص كمعاصي غيرهم فكان ما صدر مـــنهم مـــع طهارتهم ونزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحي السماوي والذكر القدسي وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله ــ تعالى ــ ذنوب بالنسبة إلى أحوالهم؛ فقالا ذلك على عادة المقرّبين في استعظام الصغير مـــن الـــسيئات وتحقيـــر العظيم من الحسنات . وقد تقدّم الكلام على ذلك في سورة "البقرة "ومن جملة ذلك إنما أكل الشجرة قبل النبوة ".

---

[1] – أخرجه النسائي في سننه ــ كتاب: الزينة جـ4 ص512 ح ٥١٥٩ . وابن ماجه في سننه ــ كتاب: اللباس ،باب :لبس الحرير والذهب للنساء جـــ ٣ص٢٧١ ح ٣٥٩٥ من طريق أبي أفلح بلفظ (إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم). وأبـــو داوود فـــي سننه ــ كتاب: اللباس، باب :في الحرير للنساء جـــ٤ ص١٧٤١ برقم (٤٠٥٧) بلفـــظ (إن هذين حرام على ذكور أمتي)وقال محققوه: صحيح .

[2] – سورة الأعراف: آية ٢٣.

[3] – ينظر: السراج المنير جـــ٢ ص١٨٦، ١٨٧.

● وأيضًا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ** ﴾[1] يقــول الخطيــب الشربيني[2]: "أي: أولاده ؛ وهذا يقتضي حصول تمام النعمــة لآل يعقــوب، وتمام النعمة هو النبوة والرسالة كما مرّ ؛ فلــزم حــصولها لآل يعقــوب ، وأيضًا أن يوسف ــ عليه السلام ــ قال:' إني رأيت أحــد عــشر كوكبًــا ' وكان تأويله : أحد عشر نفسًا لهم فضل وكمال ــ ويستضيء بعلمهم ودينهم أهل الأرض ؛ لأنه لا شيء أضوأ من الكواكب وبها يهتدى، وذلك يقتــضي أن تكون جملة أولاد يعقوب أنبياء ورسلاً.

فإن قيل: كيف يجوز أن يكونوا أنبياء وقد أقدموا على ما أقــدموا عليــه في حق يوسف ــ عليه السلام ــ؟ أجيب: بأن ذلك وقع مــنهم قبــل النبــوّة، والعصمة من المعاصي إنما تعتبر بعد النبوّة لا قبلها على خلاف فيه "

وهكذا نجد منهج الخطيب الشربيني في تفسيره تقرير عصمة الأنبيــاء بعد النبوة والرد على من ينكرها.[3]

---

1 – سورة يوسف: جزء من آية ٦.

2 – ينظر: السراج المنير جــ٣ ص١٣٢، ١٣٣.

3 – ينظــر الــسراج المنيــر: جــــ٢ ص٢٧٨،٢٠٢، جـــــ٣ ص٤٩٤،٩٠، جــ٤ص٢٠٧، جــ٥ ص٢٩، جــ٧ ص٦٠.

٣ ــ الغيبيات

عَدّ أهل السلف ورجال الحديث الإيمان بالغيب جزءًا من أصول الــدين يستوى مع الإيمان بالله وكتبه ورسله، ولا أستطيع ذكر كل الامور الــسمعية التى يجب على المسلم الإيمان بها؛ لأن المقام يضيق عن ذكرهــا، ولكننـــى سأتناول أظهرها باختصار.

فقد حرص الخطيب الشربينى على إقرار الغيب:

فعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** ﴾[١] يقــول[٢]: "أى يصدقون بما غاب عنهم من البعث ، والجــزاء ، والجنــة ، والنــار ، والصراط ، والميزان"

ومن أهم المسائل السمعية التى نبّه عليها الخطيب الشربينى فى تفسيره:

البعث:

فعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيــدُهُ** ﴾[٣] يقول[٤]: "أى: على سبيل التجديد كما تشاهدون: وأشار إلى تعظــيم الإعــادة بأداة التراخى ؛ فقال "ثم يعيده" أى: بعد الموت للبعث"

ويرد على منكرى البعث عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَــادِرٍ عَلَــى أَنْ يُحْيِــيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[٥] فيقول[٦]: " "على أن يحيى" أى: على

---

1 – سورة البقرة: جزء من آية ٣.

2 – ينظر السراج المنير: جــ١ ص42 .

3 – سورة الروم: جزء من آية ٢٧.

4 – ينظر السراج المنير: جــ٥ ص ٢٣٩.

5 – سورة الأحقاف: آية ٣٣.

6 – ينظر السراج المنير: جــ٧ ص ٣١.

سبيل التجديد مستمرًا "الموتى" وأسهل صنعًا ، وأجــاب بقولـــه ــ تعـــالى ــ "بلى" لأن هذا الاستفهام الإنكارى فى معنى النفى؛ أى: قد علموا أنـــه قـــادر على ذلك علما هو فى إيقانه كالبصر؛ لأنهم يعلمون أنه المخترع لـــذلك، وأن الإعادة أهون من الابتداء فى مجارى عاداتهم، ولكنهم عن ذلـــك غـــافلون ؛ لأنهم عنه معرضون. وقوله ــ تعالى ــ : "إنه على كل شيء قـــدير" تقـــدير للقدرة على وجه عام ، يكون كالبرهان على المقصود ؛ كأنـــه لمـــا صـــدّر بتحقيق المبدأ أراد ختمها بإثبات المعاد".

الحشر:

يشير الخطيب الشربينى إلى الحشر عند تفـسيره لقولـــه ــ تعـــالى ــ: ﴿**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَـدًا**﴾ [١] فيقول[٢]: ""وحشرناهم" أى: الخلائق قهرًا إلى الوقت الذى تتـشكف فيـــه المخبآت، وتظهر القبائح والمغيبات ، ويقع الحساب فيه على النقير والقطمير، والناقد فيه بصير "فلم نغادر" أى: نترك "منهم" أى: الأولين والآخرين "أحـــدا" لأنـــه لا ذهـــول ولا عجـــز. ونظيـــره ﴿ **قُـلْ إِنَّ الْـأَوَّلِينَ وَالْـآخِرِينَ {49}لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ**﴾ [الواقعة:٤٩، ٥٠] فإن قيـــل: لـــم جيء فحشرناهم ماضيا بعد" نسير" و"ترى" ؟ أجيب: بأن ذلك يقـــال للدلالـــة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال العظائم ؛ كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك ".

---

[1] – سورة الكهف: آية ٤٧.

[2] – ينظر: السراج المنير جـــ٥ ص٥١.

الحساب:

فعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ {7} فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [1] يقول [2]: " "فأما من أوتي كتابه" أى: كتاب عمله الذى كتبته الملائكة. "بيمينه" أى: من أمامه وهو المؤمن المطيع، "فسوف يحاسب" أى: يقع حسابه بوعد لا خلف فيه، وإن طال الأمد لإظهار الجبروت والكبرياء والقهر "حسابا يسيرا" هو عرض عمله عليه كما فسر فى حديث الصحيحين [3] وفيه (من نوقش هلك: وفى رواية: "من حوسب عذب". وقالت عائشة: "أليس يقول الله ــ تعالى ــ: "فسوف يحاسب حسابًا يسيرا" فقال: إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب عذب) وإنما حوسب حسابًا سهلاً؛ لأنه كان يحاسب نفسه فلا تقع له المخالفة إلا ذهولاً؛ فلأجل ذلك تعرض أعماله فيقبل حسنها ويعفى عن سيئها ".

الصراط:

عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾[4] يقول[5]: " نقتبس: أى: نستضيء "من نوركم" أى: هذا الذى نراه لكم ولا يلحقنا منه شيء ؛ كما كنا فى الدنيا نرى إيمانكم بما نرى من ظواهركم ولا نتعلق من ذلك بشيء ﴿جَزَاء وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦] وذلك ؛ لأن الله ــ تعالى ــ يضيء للمؤمنين نورًا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، ويعطى المنافقين أيضا نورًا خديعة لهم وهو قوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] فبينما

---

1 – سورة الانشقاق: الآيتان ٧، ٨.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٢٩٤.

3 – سبق تخريجه ص ٥٦ .

4 – سورة الحديد: جزء من آية ١٣.

5 – ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص٣١٣، ٣١٤.

هم يمشون ؛ إذ بعث الله ريحًا وظلمة فأطفأت نور المنافقين ؛ فذلك قولــه ــ تعالى ــ :﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحــريم: ٨] الآية، مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين. والقبس : الشعلة مــن النار، أو السراج ".

الميزان:

فعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ هُـمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] يقول[2]: " "فمن ثقلت موازينه" أي: بالأعمال المقبولــة ؛ قــال البقاعي[3]: ولعل الجمع ؛ لأن لكل عمل ميزانًا يعرف أنه لا يصلح له غيره، وذلك أدل دليل على القدرة "فأولئك" أي: خاصة . قال أيــضًا: ولعلــه جمــع للبشارة بكثرة الناجي بعد أن أفرد ؛ للدلالة على كثــرة الأعمــال ، أو علــى عموم الوزن لكل فرد "هم المفلحون" أي: الفائزون بالنجاة والدرجات العلى "

الحوض:

عند تفسير الخطيب الشربيني لسورة الكوثر يقــول [4]: " "الكــوثر" أي: نهرًا في الجنة هو حوضه ﷺ ترد عليه أمته (كما روى عن أنس أنــه قــال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ غفا إغفــاءة ، ثــم رفــع رأســه مبتسما؛ فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال: أنزل على آنفا سورة ؛ فقــرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ إلى آخرها، ثــم قــال : أتدرون ما الكوثر؟ قلنا : " الله ورسوله أعلم ؛ قال: فإنه نهر وعدنيه ربــي ،

---

1 – سورة المؤمنون: آية ١٠٢.

2 – ينظر: السراج المنير جـ ٤ ص ٣٥٩.

3 – ينظر: تفسير نظم الدرر جـ ٥ ص٢٢٢ .

4 – ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٤٤٢.

خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول ربي إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك) (١)

الملائكة:

عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾(٢) يقول الخطيب الشربيني(٣): " والملائكة جمع ملَك ، أصله ملاك ، والتاء لتأنيث الجمع ، وهو مقلوب مألك من الألوكة ؛ وهي الرسالة؛ لأنهم وسائط بين الله ــ تعالى ــ وبين الناس ؛ فهم رسل الله أو كالرسل إليهم لتوسط الأنبياء بينهم وبين الناس ، واختلف العلماء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة عنها بأنفسها ؛ فذهب أكثر المسلمين إلى أنها أجسام لطيفة شفافة ، ويعبرون عنها بنورانية ، قادرة على التشكيل بأشكال مختلفة. والجنّ قادرة على ذلك ؛ واستدلوا على ذلك بأن الرسل كانوا يرونهم أجسامًا لطيفة متشكلة بأشكال مختلفة. وزعم الحكماء –يعني الفلاسفة– أنهم جواهر مجرّدة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة. وقالت طائفة من النصارى: هي النفوس الفاضلة ؛أي: المتصفة بفضائل العلم والعمل، بخلاف الشريرة فإنها عندهم: الشياطين البشرية الناطقة. قوله: البشرية وما بعده: صفة للنفوس المفارقة للأبدان ؛ يعني: ما دامت في الأبدان تسمى النفوس، فإذا فارقتها كانت الملائكة، والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص، وقيل ملائكة الأرض ؛ وذلك أنّ الله ــ تعالى ــ خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجنّ ؛ فأسكن الملائكة السماء ، وأسكن الجنّ الأرض فمكثوا فيها دهرًا طويلاً ، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا فيها ؛ فبعث الله ــ تعالى ــ إليهم جندًا من الملائكة يقال له: الجنّ ؛

---

[1] – سبق تخريجه ص ٥٦ .

[2] – سورة البقرة: جزء من آية ٣٠.

وهم خزان الجنان ، اشتق لهم اسم من الجنة، رأسهم إبليس ؛ فكان رئيسهم ومن أشدهم وأكثرهم علما؛ فهبطوا إلى الأرض ، وطردوا الجن إلى شعوب الجبال وبطون الأودية وجزائر البحور، وسكنوا الأرض وخفف الله – تعالى– عنهم العبادة ، وأعطى الله تعالى إبليس ملك الأرض ، وملك السماء الدنيا ، وخزانة الجنة ، وكان يعبد الله تارة فى الأرض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة ؛ فدخله العجب ، وقال :ما أعطانى الله – تعالى – هذا الملك إلا لأنى أكرم الملائكةعليه؛ فقال – تعالى – له ولجنده: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ ".

وهذه بعض الأمثلة التى ذكر الخطيب الشربينى الكثير غيرها فى تفسيره؛ مما يظهر اهتمامه بمسائل العقيدة[1] ؛ فقد جاء تفسيره للآيات التى تضمنت مسائل العقيدة مصحوبًا بتعليق يوضح مذهبه العقدى وهو مذهب أهل السنة والجماعة، ولم يكتف بالأدلة النصية من القرآن والسنة ، بل تعرض للأدلة العقلية وأقوال الآخرين من العلماء والمفسرين ، مفندًا المذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، ويتضح بذلك أن للخطيب الشربينى فكره المتميز فى علوم العقيدة.

ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ١٣ ،٤٣، ٧١، ٧٢، ٧٦، ١٢٥، ١١٨، ١٣٠ ، ٩٠ ، ١٣٤، ٢٣٠، ٣١٠، ٣١١ ، ٣١٢،٤٨٢ ، ٥٠٧ ، ٥٣٣ جـ٢ ص ٦،٤٣ ، ٦٣ ، ١٢٥، ٢٥٠، ٣٠٢، ٤٧٠ ، ٤٨٢ ، ٥٤٣، جـ٣ص٨ ، ٩، ١٠ ، ٤٠ ، ٤٤، ٤٩، ٤٧، ١٢٥، ٢١١، ٢١٤، ٢٥٧ ، ٤١٢، ٤١٤ ، ٤٤١ جـ٤ ص٣١ ، ٩٣، ١٦٨، ١٩٠،جـ٥ ص٤٣ ، ٤٤، ١٧٩، جـ٦ص ٢٢٧، ٣٢٠، ٣٢١، ٢٣٢ ، ٣٣٩، ٤٠٨، جـ٧ ١٨٩ص ، ٢٠١، ٢٤٥، ٣٠٦ ، ٣٥٦، ٤٥٣، جـ٨ ص٦٥ ، ١٣٩، ١٩٠ ، ٢٣٠ .

الفصل الثالث : توظيفه علوم اللغة في التفسير

" أجمع علماء الشريعة وفقهاؤها على أهمية الدراسة اللغوية للنص؛ للوصول إلى مراد الله ـ عز وجل ـ فاشترط أهل العلم فى أى مجتهد أن يكون إلمامه عميقًا بأسرار العربية ؛ لذلك لجأ أئمة الاستنباط إلى قواعد اللغة يستعينون بها على بيان أحكام الله ، بل جعلوها أحيانًا حكمًا بين الآراء ومرجحًا لبعض الأحكام ؛ فكانت مباحث الألفاظ العربية بابا رئيسا فى علم أصول الفقه".[1]

" واشترط العلماء فى المفسر للقرآن الكريم أن يكون متبحرًا فى علوم اللغة؛ ليستطيع دراسة النص من جوانبه اللغوية المتعددة ؛ لما لها من أثر فى فهم النص القرآنى ؛ ومن أهم هذه العلوم: علم اللغة، وعلم النحو، وعلم الصرف ، وعلوم البلاغة (المعانى والبيان والبديع) ".[2]

وقد عني المفسرون بفروع اللغة فجاءت مقولاتهم في مقدمات تفاسيرهم تنبيهًا على أهمية التعمق فى العربية بعلومها المختلفة ؛ لفهم اللغة.

" يقول الزمخشرى فى مقدمة كشافه: " ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل برع فى علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعانى وعلم البيان، وتمهل فى ارتيادهما آونة ، وتعب فى التنقير عنهما أزمنة ... فارسًا فى علم الإعراب ... متصرفًا ذا دراية بأساليب النظم والنثر ... ولقد رأيت

---

1 – النحو والصرف فى خدمة النص القرآنى، أبحاث وقضايا لغوية، أ.د/ محمد المختار محمد المهدى، الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالأزهر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م، ص١٠،٦ بتصرف.

2 – يراجع الإتقان للسيوطى جـ١ ص٣٩٧: ص٤٠٠ ، والبرهان جـ١ ص١٧٣، ص١٧٤ للزركشى والتفسير والمفسرون للذهبى جـ١ ص٢٧٥، ص٢٧٦ والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور جـ١ ص١٨،ص١٩.

إخواننا فى الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية كلما رجعوا إلىّ فى تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب ؛ أفاضوا فى الاستحسان والتعجب ".[1]

ويقول أبو حيان فى مقدمة بحره المحيط[2]: " فجدير لمن تاقت نفسه إلى علم التفسير، وترقت إلى التحقيق فيه والتحرير، أن يعتكف على كتاب "سيبويه"، فهو فى هذا الفن المعوّل عليه، والمستند فى حل المشكلات إليه ".

" وأفرد الطاهر بن عاشور المقدمة الثانية من بين عشر مقدمات لتفسيره "فى استمداد علم التفسير" أكد فيها على أهمية علوم اللغة للتفسير والمفسّر ".[3]

ومن العلماء من أفرد مصنفات تناولت النصوص القرآنية من الناحية اللغوية، منها ما اختص بإعراب القرآن ؛ مثل : "معانى القرآن وإعرابه" للزجّاج ، "إملاء ما منّ به الرحمن" للعكبرىّ، و "إعراب القراءات الشاذة" للعكبرىّ، و"تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ، ومنها ما تناول الناحية البلاغية؛ مثل : "أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز" للإمام عبد القاهر الجرجانى.

" وفى كتب التفسير عناية كبيرة بهذه المباحث، وإن كان بعضها يركز على المباحث النحوية كما فى "البحر المحيط" لأبى حيان، ومنها ما يعنى بالمعانى البلاغية ؛ مثل تفسير "الكشاف" للزمخشرى، ومنها ما يعنى بالأحكام واستنباطاتها من النص ؛ مثل "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبى ، وهكذا ".[4]

---

1 – الكشاف للزمخشرى جـ١ ص١٦ـ١٨ باختصار.

2 – ينظر : البحر المحيط لأبى حيان" جـ١ ص١٠١.

3 – ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور جـ١ ص١٨ ـ ٢٣.

4 – النحو والصرف فى خدمة النص القرآنى للدكتور/ محمد المختار ص١٤ بتصرف.

والخطيب الشربينى الذى نحن بصدد تفسيره أيضا عنـى عنايـة فائقـة بمباحث اللغة ؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ حرصه على توظيف الدلالات اللغوية بكل ألوانها فى استنباط المعنى المراد من الآية ؛ الدلالة المعجمية ، والدلالـة النحوية ، والدلالة الصرفية ، والدلالة الـصوتية ، والدلالـة الإجتماعيـة ، والمقاصد البلاغية ؛ ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية:

المبحث الأول: توظيف الدلالة المعجمية فى التفسير:

يعتمد الخطيب الشربينى على التحليل اللغوى المعجمـى للكلمـة فـى استنباط المعنى المراد بها فى سياق الآية، وقد أخذ فى تحليله عدة اتجاهـات؛ فنجده يذكر المعنى المرادف للكلمة، ويبين التضاد فى الألفـاظ ، والمـشترك اللفظى ، أو يرجع بالكلمة عند تفسيرها إلى أصلها المادى قبل أن يعرج على استعمالها فى العرف الشائع بعد نقلها إلى أصلها، أو يفسرها بحسب المشهور من لغة العرب ويراعى عرفهم فى استعمالها قبل أن يـشيع فيهـا اللحـن ؛ مستعينًا فى ذلك بالشعر والنثر والعرف، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية:

● عند تفسيره "افتح" من قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **رَبَّنَا افْـتَحْ بَيْنَنَـا وَبَـيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ** ﴾[1] يقول[2]:" "ربنا افتح" أى: اقض وافصل واحكم ".

● وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ لاَ يُحِـبُّ مَـن كَـانَ مُخْتَـالاً فَخُورًا** ﴾[3] يبيّن معنى "مختالاً" فيقول[4]: " أى: متكبـرًا علـى النـاس مـن أقاربه، وأصحابه، وجيرانه، وغيرهم ، ولا يلتفت إليهم ".

---

[1] – سورة الأعراف: جزء من آية ٨٩.

[2] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٢٥.

[3] – سورة النساء: جزء من آية ٣٦.

[4] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٧٢.

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ﴾[1] يبيّن معنى"خزى" فيقول[2]: " أى: ذل وإهانة ".

● كما يبيّن التضاد فى كلمة "القرء" عند تفسيره لقولــه ــ تعــالى ــ: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[3] فيقول[4]: "جمع قــرء بفــتح القاف وضمها، وهو يطلق للحيض ؛ لقوله ــ عليه الصلاة والــسلام ــ كمــا رواه أبو داوود وغيره: (دعى الصلاة أيام أقرائك) وللطهــر الفاصــل بــين حيضتين ، وهو المراد فى الآية".

● وأيضا يبيّن التضاد فى كلمة "أسرّوا" فى قوله ــ تعالى ــ: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ﴾[5] فيقول[6]: " وقيل: معنى الإســرار: الإظهــار ، وهو من الأضداد ؛ أى : أظهروا الندامة ".

● كما يوضح المشترك اللفظى ؛ فعند تفسيره لكلمة "يملل" فى قوله ــ تعالى ــ: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾[7] يقول[8]: " أى: وليكن المُملل علــى الكاتب من عليه الحق ؛ لأنه المقرّ المشهود عليه. والإملال والإملاء لغتــان فصيحتان معناهما واحد جاء بهما القرآن ، فالإملال ها هنا وهو لغة الحجاز، والإملاء قوله تعالى: ﴿ فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقــان:٥] وهــى لغة تميم ".

---

1 – سورة المائدة: جزء من آية ٣٣.

2 – ينظر: السراج المنير جــ٢ ص٣٩.

3 – سورة البقرة: جزء من آية ٢٢٨.

4 – ينظر: السراج المنير جــ١ ص٢٣٢.

5 – سورة سبأ: جزء من آية ٣٣.

6 – ينظر: السراج المنير جــ٦ ص٣٩.

7 – سورة البقرة: جزء من آية ٢٨٢.

8 – ينظر : السراج المنير جــ١ ص٢٩٥.

● وكذلك يوضح المشترك اللفظي في كلمة "الـضالين" عنـد تفـسيره لقوله- تعالى-: ﴿ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الـضَّالِّينَ ﴾[1] فيقـول[2]: " أي: مـن الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله، والمخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمـد للقتل. قال ابن جرير: والعرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضـع الضلال ".

● ويتتبع الخطيب الشربيني التطور الدلالي للكلمـة فيـأتي بـالمعنى الأصلي الذي وضعت له ، ثم ينقلها من المعنى المادي إلى المعنى الحـسي، ويبين المراد بها على المعنى القرآني في الآية؛ كما فعل عند تفسيره لكلمـة "الكتاب"في قوله ــ تعالى ــ: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْـبَ فِيـهِ ﴾[3] فيقـول[4]: "والكتاب مصدر سمي به المفعول للمبالغة ، أو فعال بني للمفعول كاللبـاس ، ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب ؛ لأنه مما يكتب، وأصل الكتـب الضمّ والجمع . سمي الكتاب كتابًا لأنه جمع حرف إلى حرف . والكتاب جاء في القرآن على وجوه؛ أحدها: الفرض قال ــ تعـالى ــ: ﴿ كُتِـبَ عَلَـيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ [البقرة:١٨٧] ﴿ كُتِـبَ عَلَـيْكُمُ الـصِّيَامُ ﴾ [البقـرة:١٨٣] ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء:١٠٣] وثانيهـا: الحجـة والبرهان قال تعالى: ﴿ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الصافات:١٥٧] أي: برهانكم، وثالثها: الأجل : قال ــ تعالى ــ: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الحجر:٤] أي أجل،ورابعها:بمعنى مكاتبة السيد رقيقه؛ قال- تعالى ــ: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ [النور:٣٣]".

---

1 - سورة الشعراء: آية ٢٠.

2 - ينظر: السراج المنير جـ٥ ص١٢.

3 - سورة البقرة: جزء من آية ٢.

4 - ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٠.

● وأيضا عند تفسيره لكلمة فتنة في قوله ــ تعالى ــ: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[1] يبين أصل الكلمة وما آلت إليه، فيقول[2]:"أي: ابتلاء من الله ــ تعالى ــ للناس ليمتحنهم بتعليمه . وأصل الفتنة : الاختبار والامتحان؛ من قولهم: فتنت الذهب والفضة ؛ إذا أذبتها بالنار؛ لتميز الجيد من الرديء".

● وكذلك عند تفسيره لكلمة "فاقرة" في قوله ــ تعالى ــ: ﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾[3] يقول[4]: " وهي الداهية العظيمة ؛ قال أبو عبيدة: سميت بذلك؛ لأنها تكسر فقار الظهر؛ يقال: فقرته الفاقرة ؛ أي: كسرت فقار ظهره، ومنه سمي الفقير لانكسار فقاره من القل ".

● وعني الخطيب الشربيني عند بيانه المعاني المعجمية للكلمات بالعرف السائد عند العرب في استعمال الكلمة؛ فالمطالع لتفسيره يجده كثيرًا ما يرجع إلى كلام العرب للاستشهاد على المعنى المراد بالكلمة في الآية الكريمة ؛ كما فعل عند تفسيره لمعنى (المعاقدة) في قوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾[5] فيقول[6]: " والمعاقدة : المعاهدة والمحالفة. والأيمان : جمع يمين: بمعنى القسم أو اليد ؛ وذلك أنهم كانوا عند المحالفة يأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد، ومحالفتهم أن الرجل كان في الجاهلية يعاقد الرجل؛ فيقول: دمي دمك ،وثأري ثأرك ، وحربي حربك ، وسلمي سلمك، وترثني وأرثك ، وتطلب مني وأطلب منك ، وتعقل عني وأعقل عنك؛ فيكون للحليف السدس من مال الحليف . وكان ذلك ثابتًا في ابتداء

---

[1] – سورة البقرة: جزء من آية ١٠٢.

[2] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص١٣١.

[3] – سورة القيامة: آية ٢٥.

[4] – ينظر : السراج المنيرجـ٨ ص١٩٢.

[5] – سورة النساء: جزء من آية ٣٣.

[6] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٦٧.

الاسلام فذلك قوله تعالى: ﴿ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ [النساء:٣٣] أى : أعطـوهم حظهم من الميراث ".

● وأيضا عند تفسيره لكلمة (الأزلام) فى قولـه ــ تعـالى ــ: ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ﴾[1] يقول[2]: " والأزلام : جمع زلم بفتح الزاى وضـمها مع فتح اللام: قدح ــ بكسر القاف ــ صغير، وهو سـهم لا ريـش لـه ولا نصل؛ وذلك أنهم كانوا إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقـداح مكتـوب علـى أحدها : أمرنى ربى، وعلى الآخر: نهانى ربى، والثالث : غفل أى: لا سـمة عليه فإن خرج الأمر مضوا على ذلك ، وإن خرج الناهى تجنبوا عنه ، وإن خرج الغفل أداروها ثانيا؛ فمعنى الاستقسام : طلب معرفة ما قسم لهـم دون ما لم يقسم بالأزلام ".

● ويشير الخطيب إلـى اسـتعمال الفعـل الماضـى بمعنـى الإرادة ، ويضرب أمثلة من استعمالات الناس ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله – تعالى-: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ ﴾[3] فيقول[4]: " والذى ذهب إليه الأكثرون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء الأمصار ، أن الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا : ومعنى الآية : إذا أردت أن تقرأ القـرآن فاسـتعذ بالله وتبعتهم على ذلك فلهنا قدّرت ذلك فى الآية الكريمة.ومثل ذلك قولـه ــ تعالى ــ: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ [المائـدة:٦] ومثلـه من الكلام: إذا أكلت فسمّ ؛ أى: إذا أردت أن تأكل فقـل: بـسم الله الـرحمن الرحيم، وإذا سافرت فتأهب ؛ أى: إذا أردت السفر فتأهب ".

---

1 – سورة المائدة: جزء من آية ٣.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص١٠.

3 – سورة النحل: جزء من آية ٩٨.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٣٧٦.

● ويرجع الخطيب الشربيني إلى كلام العرب لترجيح المعنى المراد في الآية ؛ كما فعل عند تفسيره لكلمة "تخوّف" في قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ** ﴾[1] فيقول[2]: " وفي تفسير التخوّف قولان ؛ الأول: التخوّف : تفعّل من الخوف يقال: خفت الشيء وتخوفته؛ والمعنى: أنه ــ تعالى ــ لا يأخذهم بالعذاب أولاً، بل يخيفهم أولاً ثم يعذبهم بعده، وتلك الإضافة هو أنه ــ تعالى ــ يهلك قرية فتخاف التي تليها فيأتيهم العذاب. والثاني: التخوف بمعنى التنقص؛ أي: أنه تعالى ينقص شيئًا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفه إذا تنقصه. وروى أن عمر ــ رضي الله تعالى عنه ــ قال على المنبر: ما تقولون في هذه الآية؟ فسكتوا؛ فقال شيخ من هذيل: هذه لغتنا ؛ التخوّف : التنقص؛ فقال عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير:

تخوّف الرحْل منها تامكا قَرِدًا … كما تخوّف عودَ النَّبعة السَفَن"[3]

تخوّف ؛ أي: تنقص – الرحل – أي: رحل ناقته – منها – تامكا ؛ أي: سنامًا – قردًا ؛ أي: متراكمًا أو مرتفعا وهو بسكون الراء – كما تخوّف عود النبعة السفن.

والنبعة : بالضم واحدة النبع ؛ وهو شجر يتخذ منه السفن ، والسفن بفتح السين والفاء ما ينحت به الشيء ، وهو فاعل (تخوّف) ومفعول (عود). فقال

---

[1] – سورة النحل: جزء من آية ٤٧.

[2] – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٣٣٨،ص٣٣٩.

[3] –البيت في شرح شواهد الكشاف جـ٤ ص٤٩٥ ، نسبه الزمخشري لزهير عند تفسيره للآية ٤٧ من سورة النحل ، ونسبه الألوسي لأبي كبير الهذلي عند تفسيره للآية نفسها في روح المعاني جـ ٧ ص ٣٩٠ ، ونسبه القرطبي أيضاًلأبي كبير الهذلي في الجامع لأحكام القرآن جـ ١٠ ص١١٦ ، ونسبه ابن منظور في لسان العرب جـ ٢ ص١٢٩٢ مادة :(خ ، و ، ف) لابن مقبل ، ونسبه في موضع آخر إلى ذي الرمة جـ ٣ ص٢٠٣٢ مادة (س ، ف ، ن) ، ولم أجده في دواوين من نسبوه إليهم .

عمر: عليكم بديوانكم. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية ؛ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم. ومعنى البيت : أن رحل ناقته ينقص سنامها المتراكم أو المرتفع كما ينقص السفن عود النبعة ".

● ومن ترجيحه للمعنى بحكم اللغة أيضا تفسيره ــ لقوله ــ: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ {٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾[1] فيقول[2]: " وأما قولهم بحمله على الانتظار فأجيب عنه أيضا بأن الذى هو بمعنى الانتظار فى القرآن غير مقرون بإلى ؛ كقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ** ﴾ [الحديد:١٣] والذى ندعيه أن النظر المقرون بإلى ليس إلا بمعنى الرؤية؛ لأن وروده بمعنى الرؤية ظاهر؛ فلا يكون بمعنى الانتظار دفعًا للاشتراك ".

هذه بعض أمثلة لتوظيف الخطيب الشربينى للدلالة اللغوية المعجمية فى استنباط المعنى المراد من الآية الكريمة. والمطالع لتفسيره يجد الكثير منها.

---

1 – سورة القيامة : الآيتين ٢٢،٢٣.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص ١٩١.

المبحث الثاني: توظيف الدلالة الصرفية فى التفسير:

عنى الخطيب الشربينى بالأثر المعنوى لمعرفة الصيغ ؛ فالقارئ لتفسيره يلحظ توظيفه للدلالة الصرفية فى استنباط المعانى القرآنية؛ فيبين اختلاف الصيغ وينزلها على المعانى القرآنية ، ويبيّن اختلاف المعنى باختلاف الصيغة ومثال ذلك ما فعله عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾[1] يقول[2]: " وآدم اسم أعجمى كسائر الأنبياء إلا صالحًا وشعيباً ولوطاً ومحمدًا بل قيل إن (آدم) أيضا عربى ؛ وعلى هذا فاشتقاقه[3] من الأُدْمة بضم الهمزة وسكون الدال بمعنى السمرة ، أو الأَدَمة بفتح الهمزة والدال بمعنى الأسوة ؛ أى: القدوة ، أو من أديم الأرض ؛ أى: ظاهر وجهها".

● وكذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ**﴾[4] يفسر معنى كلمة "اقترب" أى : قرب . ثم يبيّن الأثر المعنوى لاختيار صيغة هذا الفعل ؛ فيقول[5]: " وأشار بصيغة الافتعال إلى مزيد القرب ".

● وأيضا عند تفسيره كلمة "جمع" فى قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ** ﴾[6] يستدل بالدلالة الصرفية على المعنى ؛ فيقول[7]: " وقرأ ابن

---

1 – سورة البقرة : جزء من آية ٣١.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص ٧٩.

3 –الاشتقاق : هو نزع لفظ من آخر ، بشرط مناسبتهما معنىً وتركيباً ، ومغايرتهما فى الصيغة ينظر التعريفات للجرجانى ص٤٣ .

4 – سورة الأنبياء: جزء من آية ١.

5 – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص ٢١٥.

6 – سورة الهمزة: آية ٢.

7 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص ٤٢٥.

عامر وحمزة والكسائي بتشديد الميم على المبالغة والتكثير؛ ولأنه يوافق قوله- تعالى ــ "وعدّه" والباقون بتخفيفها ، وهى محتملة للتكثير وعدمه".

● ويحتكم للدلالة الصرفية فى بيان المعنى عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾[1] فعند انتهائه من تفسيرها يقول[2]: " تنبيه: أحصى فعل ماضٍ أى : أيهم ضبط أمر أوقات لبثهم ، وأما من جعله أفعل تفضيل ؛ فقال فى الكشاف[3]: ليس بالوجه السديد ؛ وذلك أن بناءه من غير الثلاثى المجرّد ليس بقياس ؛ ونحو: أعدى من الحرب، وأفلس من ابن المذلق ــ شاذ ؛ والقياس على الشاذ فى غير القرآن ممتنع ؛ فكيف به ؟! ".

● كذلك يشير الخطيب الشربينى إلى المعانى البلاغية لأبنية المشتقات كما فعل عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[4] إذ يقول[5]: "فإن قيل: لم جمع جمع قلة [6]مع أنّ المقام يستدعى الإتيان بجمع الكثرة (يقصد: لِمَ لَمْ يقل رب العوالم) أجيب: بأنّ فيه تنبيهًا على أنهم وإن كثروا قليلون فى جنب عظمته وكبريائه ــ تعالى ــ".

● كما عنى الخطيب بإبراز المعانى البلاغية ؛ لصيغ المشتقات كاستعمال القرآن لصيغ المبالغة ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ:

---

1 – سورة الكهف: آية ١٢.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص ١٤.

3 – ينظر: الكشاف للزمخشرى جـ١ ص٤٧٤ .

4 – سورة الفاتحة: جزء من آية ٢.

5 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص ٣٠.

6 –جمع القلة : هوالذى يطلق على عشرة فما دونها من غير قرينة وعلى ما فوقها بقرينة؛ ينظر التعريفات للجرجانى ص١٠٥ .

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾[1] فيقول[2]: " فإن قيل: لم قال "خوّانًا أثيما" على المبالغة؟ أجيب: بأن الله ــ تعالى ــ كان عالمًا من "طعمة"[3] بالإفراط في الخيانة وركوب المأثم، ومن كانت تلك خلقه أمره لم يشك في حاله، وقيل: إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات. وعن عمرــ رضي الله تعالى عنه ــ أنه أمر بقطع يد سارق؛ فجاءت أمّه تبكي وتقول: هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه ؛ فقال: كذبت ؛ إنّ الله لا يؤاخذ عبده في أوّل مرّة ".

● وأيضا يبين المعنى البلاغي لصيغة الفعل المضارع "تخرج" عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾[4] فيقول[5]: " أي: لم يكفهم خطورها في أنفسهم وتردّدها في صدورهم حتى تلفظوا بها وكان صدورهم بها على وجه التكرير كما يشير إليه التعبير بالمضارع ".

● وكذلك يبيّن السر البلاغي للصيغة عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾[6] فيقول[7]: "و في التعبير هنا بالماضي وفي الأول[8] بالمضارع بشارة بدخول كثير في هذا الدين ، وأنهم لا يرتدون بعد

---

1 – سورة النساء: جزء من آية ١٠٧.

2 – ينظر: السراج المنير جــ١ ص ٥١٩.

3 – طعمة بفتح الطاء وكسرها ، هو رجل من الأنصار نزلت فيه الآية ؛ينظر السراج المنير جــ١ ص٥١٨ .

4 – سورة الكهف: جزء من آية ٥.

5 – ينظر : السراج المنير جــ٤ ص ٧.

6 – سورة لقمان: جزء من آية ٢٣.

7 – ينظر : السراج المنير جــ٥ ص ٢٧٨.

8 – يقصد الآية ٢٢ من سورة لقمان ، وهي قوله ــ تعالى ــ : "ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ".

إسلامهم ـــ وترغيب في الإسلام لكل من كان خارجًا عنه؛ فالآية من الاحتباك".

● وقد يتطرق الخطيب الشربيني لشرح القاعدة الصرفية ؛ كما فعل عند تفسيره لمعنى (الحمد) في قوله ـــ تعالى ـــ: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾[1] إذ يقول[2]: "وظاهر قول الزمخشري[3]: الحمد والمدح أخوان ـــ أنهما مترادفان ، وبه صرّح في "الفائق" [4] لكن الأوفق ما عليه الأكثر أنهما غير مترادفين بل متشابهان معنى أو اشتقاقًا كبيرًا ؛ والاشتقاق ثلاثة أقسام: كبير[5]، وأكبر[6]، وأصغر[7]، وقد يعبر عنه بالصغير، فالكبير أن يشتركا في أكثر الحروف الأصول ؛ كالفلق، والفلج ، والفلذ ـــ مع اتحاد في المعنى أو تناسب. والأصغر أن يشتركا في الحروف الأصول المترتبة ؛ كضرب والضرب ".

---

1 – سورة الفاتحة: جزء من آية ٢.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص ٢٨.

3 – ينظر: الكشاف للزمخشري جـ١ص٤٦.

4 – ينظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين– ط. دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الأولى١٤١٧ هـ ـ١٩٩٦ م ، جـ١ ص ٢٧٣ .

5 – الاشتقاق الكبير:هو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب ؛ نحو : جبذ من الجذب ؛ ينظر: التعرفات للجرجاني ص ٤٤ .

6 –الاشتقاق الأكبر:هو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج ؛ نحو نعق من النّهق؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص٤٤ .

7 –الاشتقاق الصغير: هو أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف و التركيب ؛نحو: ضرب من:الضرب ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص٤٤ .

المبحث الثالث: توظيفه القاعدة النحوية فى استنباط المعنى:

" الدارس والقارىء للنص الشرعى لابد له بعد أن يدرك المعنى اللغوى للمفردات الواردة فى النص ، وبعد أن يدرك الصيغة التى وردت عليها الكلمات... لابد له أن يعرف موقع كل كلمة فى هذا النص؛ من حيث الإسناد والعلاقات التركيبية ؛ حتى لا ينسب حدث إلى من لم يقم به؛ فيختلف المعنى المراد للشرع ؛ والذى يتكفل بهذه المعرفة هو علم النحو الذى يحدد الموقع الإعرابى للكلمات من خلال قواعده واحتمالاته ".[١]

وقد عنى الخطيب الشربينى بالصناعة النحوية ؛ فالمطالع لتفسيره يجده قد اهتم بتوظيف القاعدة النحوية فى استنباط المعانى المرادة من الآيات القرآنية؛ فيذكر وجوه الإعراب التى تحتلمها الآية ، وينزل الآية على اختلاف الأعاريب ، وقد يرجح واحدًا منها ويدلل على رجحانه، وقد يشرح القاعدة النحوية دون إنزالها على المعانى القرآنية، ولكنه التزم بما اشترطه على نفسه فى مقدمة تفسيره ؛ فلم يقحم نفسه فيما لا يعنى المفسر من ذكر الأعاريب التى لا تمت إلى التفسير بسبب . وسأعرض فيما يلى اتجاهه فى توظيفه الدلالة النحوية بالأمثلة:

- يبين الخطيب الشربينى المعنى استنادًا إلى الإعراب ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ** ﴾[٢] إذ يقول[٣]: " خبر مبتدأ محذوف ؛ أى: هم سماعون والضمير فى (سماعون) للفريقين ، أو للذين يسارعون ، ويجوز أن يكون مبتدأ (ومن الذين) خبره ؛ أى: ومن اليهود قوم سماعون للكذب الذى افترته أحبارهم سماع قبول ".

---

[1] – النحو والصرف فى خدمة النص القرآنى للدكتور محمد المختار محمد المهدى ، ص٣٠ بتصرف.

[2] – سورة المائدة: جزء من آية ٤٢.

[3] – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص٤١.

• وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ أَنَّــهُ لَــا إِلَــهَ إِلَّــا أَنَــا فَاعْبُــدُونِ﴾[1] يعتمد على الأثر المعنوى للقاعدة النحوية فى استنباط المعنــى المراد من الآية ؛ فيقول[2]: " قال ــ تعالى ــ: (إلا أنا)ولم يقل (نحن) لئلا يجعلوا ذلك وسيلة إلى ما ادّعوه من تعدد الآلهة ؛ ولذلك قــال: (فاعبــدون) بالإفراد ".

• وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[3] يقول[4]: "تنبيه: في انتصاب (سرا وعلانية) وجوه: أحدها: أن يكون على الحــال؛ أي: ذوي سر وعلانية ؛ بمعنى : مسرين ومعلنين. والثاني: على الظرف؛ أي: وقــت سر وعلانية. وثالثها: على المصدر؛ أي: إنفاق سر وإنفاق علانية ".

• وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ والله جعل لكم من بيــوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقــامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين ﴾[5] يعتمــد علــى القاعدة النحوية فى استنباط المعنى المراد ؛ فيقول[6]: " تنبيــه: فــي نــصب (أثاثاً) وجهان : أحدهما : أنه منصوب عطفاً على بيوتاً ؛ أي : وجعــل لكــم من أصوافها أثاثاً . والثاني : أنه منصوب على الحال .".

• وكذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَــا بَيْنَهُمَا الرحْمَنِ﴾[7] يبين وجوه القراءات ، ثم يبين أوجه إعرابها بنــاء علــى

---

[1] – سورة الأنبياء: جزء من آية ٢٥.

[2] – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص ٢٢٦.

[3] – سورة ابراهيم: جزء من آية ٣١.

[4] – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٢٦٥.

[5] – سورة النحل : آية٨٠.

[6] – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٣٦٦ .

[7] – سورة النبأ: جزء من آية ٣٧.

هذه القراءات فيقول[1]: " وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو "رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن" برفع (رب) و (الرحمن) وابن عامر وعاصم بخفضهما والآخران[2] بخفض الأول ورفع الثانى.

أما رفعهما فمن أوجه: أحدها: أن يكون رب خبر مبتدأ مضمر؛ أى: هو رب ، والرحمن كذلك، أو مبتدأ خبره لا يملكون. ثانيها: أن يجعل رب مبتدأ والرحمن خبره، ولا يملكون خبرًا ثانيا أو مستأنفًا. ثالثها: أن يكون رب مبتدأ والرحمن نعته، ولا يملكون خبر رب. رابعها: أن يكون رب مبتدأ والرحمن مبتدأ ثانيا، ولا يملكون خبره، والجملة خبر الأول، وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمعناه ، وهو رأى الأخفش، ويجوز أن يكون (لا يملكون) حالاً وتكون لازمة.

وأما جرّهما فعلى البيان والنعت ، أو يجعل (رب السموات) تابعًا للأول، و(الرحمن) تابعًا للثانى، وأما جرّ الأول فعلى التبعية للأول ، ورفع الثانى فعلى الابتداء والخبر الجملة الفعلية وهى (لا يملكون) أى: الخلق ".

● ويتعرض الخطيب الشربينى لاختلاف الآراء فى الإعراب كما فعل عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** ﴾[3] يقول[4]: "وقوله تعالى: "حقا" مصدر؛ قال البيضاوى[5] تبعا للزمخشرى[6] وغيره : مؤكد لمضمون الجملة قبله ؛ أى: حق ذلك حقًا ؛ وردّه أبو حيان [7]بأن

---

1 – ينظر : السراج المنير جـ٨ ص٢٣٩، ٢٤٠.

2 – أى : الكسائى وحمزة .

3 – سورة البقرة: آية ١٨٠.

4 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص١٨٥.

5 – ينظر: حاشية زادة على البيضاوى جـ٢ ص٤٤٢ .

6 – ينظر: الكشاف للزمخشرى جـ١ ص٣٣٤ .

7 – ينظر: البحر المحيط لأبى حيان جـ٦ ص١٠١ .

قولـه- تعالى-: "على المتقين" متعلق بحقا ، أو صفة لـه ، وكـل منهمـا يخرجه عن التأكيد ؛ أما الأول فلأن المصدر المؤكد لا يعمل ، إنمـا يعمـل المصدر الذى ينحل إلى حرف مصدرى، والفعل أو المصدر الذى هـو بـدل من اللفظ بالفعل، وأمّا الثانى فلأن "حقًّا" مصدر مخصص بالصفة فلا يكـون مؤكدًا. وقيل: حقًّا نعت لمصدر (كُتب) أو أوصى؛ أى: كتبًا أو إيصاء حقًـا، وقيل حال من مصدر أحدهما معرّفًا. وقيل: نصب على المفعولية؛ أى: جعل الوصية حقًّا على المتقين ".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿**هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَـابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْـغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَـهُ إِلاَّ اللّـهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَـا يَـذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُـواْ الألْبَابِ** ﴾[1] يتناول الآراء فى قضية العلم بتأويل المتشابه ويعتمد فى مناقشة الآراء والترجيح بينها على شرح معنى (الواو) ووجوه الإعراب فـى الآيـة الكريمة ؛ فيقول[2]: " تنبيه: اختلف العلماء فى نظم هذه الآية ؛ فقـال قـوم: الواو فى قوله: "والراسخون" واو العطف؛ أى: أن تأويل المتشابه يعلمـه الله ويعلمه الراسخون فى العلم ، وهم مع علمهم "يقولون آمنا به" وهـذا قـول مجاهد والربيع ؛ وعلى هذا يكون قوله "يقولون" حالاً معناه والراسخون فـى العلم قائلين: آمنا به. وذهب الأكثرون إلى أن الواو فـى "والراسـخون" واو الاستئناف وتم الكلام عند قوله "وما يعلم تأويلـه إلا الله" ويجـوز أن يكـون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه لم يطلع عليه أحدًا من خلقه ؛ كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، وعـدد الزبانيـة، ونزول عيسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ ونحوها. والخلـق متعبـدون فـى المتشابه بالإيمان به، وفى المحكم بالإيمان به والعمل. وقال عمر ابـن عبـد

---

1 – سورة آل عمران: آية ٧.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٣١٠، ٣١١.

العزيز في هذه: " انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قـالوا: آمنا به . قال في "الكشاف": والأول أوجه"[1] أ. هـ.

ووجهه شيخنا القاضي زكريا[2] بقوله: " لأن المتـشابه علـى الثـاني يصير الخطاب به كالخطاب بالمهملات " أ.هـ.

ومع هذا فالوجه هو الثاني ؛ لأنه أشبه بظاهر الآية ، ويدل له وجـوه: أحدها: أنه ذمّ طالب المتشابه بقوله ــ تعالى ــ: "فأما الذين في قلوبهم زيـغ" الآية، وثانيها: أنه مدح الراسخين في العلم بأنهم يقولون: "آمنا به" وقال فـي أوّل البقرة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِـن رَّبِّهِـمْ﴾ [البقـرة:٢٦] فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الإيمان به مدح؛ لأن كل من عرف شيئًا على سبيل التفـصيل فلابـد أن يؤمن به، وثالثها: لو كان قوله والراسخون معطوفًا لصار قوله: "يقولون آمنا به" ابتداء وهو بعيد عن الفصاحة، وكان الأولى أن يقال "وهـم يقولـون" أو يقال "ويقولون".

فإن قيل: في تصحيحه وجهـان: الأوّل: أنّ "يقولـون "خبـر مبتـدأ ، والتقدير: هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنّا. والثاني: أن يكون "يقولـون" حالا من "الراسخون": أجيب: بأنّ الأول مرفـوع بـأنّ تفـسير كـلام الله – تعالى– بما لا يحتاج معه إلى إضمار أولى، والثاني أنّ ذا الحال هـو الـذي تقدم ذكره وهم "الراسخون" ؛ فوجب أن يكون قوله: "آمنّـا بـه" حـالاً مـن "الراسخون" لا من الله. وذلك ترك للظاهر".

---

[1] – ينظر: الكشاف للزمخشري جـ ١ص٤١٣.

[2] – هو زكريا بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي شيخ الإسلام ، قـاض مفسر ، من حفاظ الحديث ، من كتبه: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن تعليـق على تفسير البيضاوي ، وتحفة الباري على صحيح البخاري ، ولب الأصـول ، ولـد سنة٨٢٣ هـ ومات سنة ٩٢٦هـ ؛ ينظر: الأعلام للزركلي جـ٣ ص٨٠،٨١.

● وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾[1] يقول[2]: "واختلف النحويون في نصب قوله ــ تعالى ــ: "قيّما" على أوجه؛ الأول: قال في "الكشاف"[3]: لا يجوز حمله حالاً من الكتاب ؛ لأن قوله ــ تعالى ــ: "ولم يجعل له عوجا" معطوف على قوله ــ تعالى ــ: "أنزل" فهو داخل في حيز الصلة وأنه لا يجوز. قال: ولما بطل هذا وجب أن ينتصب بمضمر والتقدير "ولم يجعل له عوجا" جعله "قيما" لأنه ــ تعالى ــ إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة. قال: فإن قلت : فما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر؟ قلت: فائدته التأكيد ، ورب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح.

الوجه الثاني: أنه حال ثانية والجملة المنفية قبله حال أيضا كما مرّ، وتعدّد الحال الذي هو حال واحد جائز؛ والتقدير: أنزله غير جاعل له عوجًا قيما. الوجه الثالث: أنه حال أيضا، ولكنه بدل من الجملة قبله؛ لأنها حال ، وإبدال المفرد من الجملة إذا كانت بتقدير مفرد ــ جائز ".

● وأيضا يبين الاستثناء[4] ودلالته على المعنى عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾[5] فيقول[6]: " استثناء متصل؛ أي: إلا ما أدركتم ذكاته وصار فيه حياة مستقرة من ذلك . فهو حلال ؛ وقيل: الاستثناء

---

1 – سورة الكهف: جزء من آية ٢.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص٦.

3 – ينظر :الكشاف للزمخشري جـ٢ ص٤٧١،٤٧٢.

4 –الإستثناء :هو إخراج الشيء من الشيء لولا الإخراج لوجب دخوله فيه ، وهذا يتناول المتصل حقيقة وحكما ، ويتناول المنفصل حكما فقط ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص١٧.

5 – سورة المائدة: جزء من آية ٣.

6 – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص ٩.

مخصوص بما أكل السبع . وقيل: الاستثناء منقطع؛ أى: ولكن ما ذكيتم من غيرها فحلال أو فكلوه؛ وكأنّ هذا القائل رأى أنها وصلت بهذه الأسباب إلى الموت أو إلى حالة قريبة منه ؛ فلم تفد تذكيتها عنده شيئًا. وقيل الاستثناء من التحريم لا من المحرّمات؛ أى: حرّم عليكم ما مضى إلا ما ذكيتم فإنه لكم حلال ؛ فيكون الاستثناء منقطعًا أيضا ".

وهذه بعض أمثلة من مواضع كثيرة اتخذ فيها الخطيب الشربينى وجوه الاعراب وسيلة للتفسير، يتوصل بها إلى ترجيح بعض الأقوال على بعض، ويحاول أن يوفق بين ما صح عن السلف وبين المعارف اللغوية.

● وقد يذكر المذاهب النحوية عند الإعراب كما فعل عند تفسيره لقوله– تعالى-: ﴿ **أَن تَبَرُّواْ** ﴾[1] يقول[2]: " أى: مخافة ألا تبروا ؛فهو فى موضع نصب مفعول من أجله. وعند الكوفيين لئلا تبَروا ؛ كقوله – تعالى-: ﴿ **يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ**﴾[النساء: ١٧٦] أى: لئلا تضلوا. وقال أبو اسحاق[3][4]:فى موضع رفع بالابتداء ، والخبر محذوف؛ أى: أن تبرّوا وتتقوا خير لكم. وقيل: التقدير: فى أن تبرّوا؛ فلما حذف حرف الجرّ نصب . وقيل: هو فى موضع جرّ بالحرف المحذوف ".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا** ﴾[5] ينبه على المذاهب النحوية ؛

---

1 – سورة البقرة: جزء من آية ٢٢٤.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢٢٩.

3 – هو الزجاج وتقدم التعريف به ص٢٥.

4 – ينظر:معانى القرآن للزجاج جـ١ ص٢٥٧ ، وهذا معنى كلام الزجاج ، ونصه "ويجوز أن يكون موضع "أن" رفعاً فيكون المعنى أولى ؛ أى : البر والتقوى أولى ، ويكون أولى محذوفاً كما جاء حذف أشياء فى القرآن ؛لأن فى الكلام دليلاً عليها ".

5 – سورة النساء: جزء من آية ١٤.

فيقول[1]: ""خالدًا فيها" حال كما مرّ . ولا يجوز أن يكون "خالدين" و"خالـــدا" صفتين لجنات ونار؛ لأنهما جريا على غير من هما له ، فلابد من الـضمير وهو قولك: خالدين هم فيها، وخالدًا هو فيهاــ هذا على مذهب البـصريين ، أما على مذهب الكوفيين فهو جائز عندهم عند أمن اللبس كما هـو ، وهـو الراجح كما جرى عليه ابن مالك وغيره ".

● وقد تناول الخطيب الشربيني الحروف بأنواعها، وعنـى بمـا كثـر استعماله في القرآن الكريم ؛ فبيّن معانيها، وذكر خلاف العلماء فيهـا؛ ومـن ذلك ما ذكره عند الكلام على "الباء" في قولــه ــ تعـالى ــ: ﴿ **بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ**﴾[2] فقال[3]: " والباء في "باسم الله" متعلقة بمحذوف تقديره: باسم الله أقرأ ؛لأنّ الذي يتلوه مقروء ؛ إذ كل فاعل يبدأ في فعلــه باســم الله يضمر ما يجعل التسمية مبدأ له ؛ كما أنّ المسافر إذا حلّ أو ارتحـل فقـال: بسم الله الرحمن الرحيم ــ كان المعنى باسم الله أحل باسم الله أرتحل ، وذلك أولى من أن يضمر(أبدأ) لعدم ما يطابقه وما يدل عليه ، ومـن أن يـضمر (ابتدائي) لما ذكرنا.

فإن قيل: المصدر لا يعمل محذوفًا ؛ أجيب: بأنه يتوسع في الظـرف والجار والمجرور ما لا يتوسع في غيرهما، وتقديره مـؤخرًا ــ كمـا قـال الإمام الرازي ــ أولى كما في "إياك نعبد وإياك نستعين" لأنه أهمّ وأدلّ علـى الاختصاص ،وأدخل في التعظيم ، وأوفق للوجود ؛ فإن اسـمه ــ تعـالى ــ مقدّم ذاتًا ؛ لأنه قديم واجب الوجود لذاته فقدم ذكرًا.

فإن قيل: قال الله ــ تعالى ــ: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّـكَ**﴾ [العلـق:١] فقـدّم الفعل؛ أجيب: بأنه في مقام ابتداء القراءة وتعليمها؛ لأنها أوّل سورة نزلت ،و

---

1 – ينظر: السراج المنير جــ١ ص٤٤٩.

2 – سورة الفاتحة: آية ٢.

3 – ينظر: السراج المنير جــ١ ص٢٥.

كان الأمر بالقراءة أهم باعتبار هذا العارض ، وإن كان ذكر الله ــ تعالى ــ أهمّ فى نفسه، وذكرت أجوبة غير ذلك فى مقدمتى على البسملة والحمدلــة. والباء للاستعانة أو للمصاحبة والملابسة على جهة التبرك؛ والمعنى : متبركًا باسم الله اقرأ، والثانى أولى لما فيه من التحاشى عن جعل اسمه تعالى آلــة، والأحسن أن تكون لهما إعمالا للفــظ فــى معنييــه الحقيقيــين أو الحقيقــى والمجازى عند من يجوّزه ؛ كإمامنا الشافعىّ . والبسملة وما بعدها إلى آخــر السورة مقول على ألسنة العباد ؛ ليعلموا كيف يتبرك باسمه ، ويحمــد علــى نعمه ، ويسئل من فضله . ويقدر فى أول الفاتحة : قولوا كما قــال الجــلال المحلى ؛ ليكون ما قبل (إياك نعبد) مناسبًا له بكونه من مقول العباد ".

● كذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَمَــا مِــنْ إِلَــهٍ إِلاَّ إِلَــهٌ وَاحِدٌ**﴾[1] يقول[2]: " و"من" مزيدة للاستغراق ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **ثُمَّ قِيلَ لِلَّــذِينَ ظَلَمُــواْ ذُوقُــواْ عَذَابَ الْخُلْدِ**﴾[3] يقول[4]: " أى: الذين يخلدون فيه، والإتيان بثم إشــارة إلــى تراخى ذلك عن الإهلاك فى الدنيا بالمكث فى البرزخ ، أو إلــى أن عذابــه أدنى من عذاب يوم الدين ".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **تجرى من تحتهــا الْأَنْهَــارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ**﴾[5] يقول[6]: " وقيل : من زائده. وقيــل:

---

1 – سورة المائدة: آية ٧٣.

2 – ينظر: السراج المنير جــ٢ ص ٦٣.

3 – سورة يونس: جزء من آية ٥٢.

4 – ينظر: السراج المنير جــ٣ ص ٣٧.

5 – سورة الكهف: جزء من آية ٣١.

6 – ينظر: السراج المنير جــ٤ ص ٤١.

للابتداء . ومن فى قوله ــ تعالى ــ: "من ذهــب" للبيــان صــفة لأســاور، وتنكيرها لتعظيم جنسها عن الإحاطة به. وقيل : للتبعيض ".

● وكذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **إِذَا السَّماء انشقت** ﴾[1] يقول[2]: "وفى إذا هذه احتمالان؛ أحدهما: أن تكون شرطية، والثانى أن تكون غير شرطية؛ فعلى الأول فى جوابها أوجه: أحدها: أنه محــذوف ؛ ليــذهب المقدر كل مذهب، أو اكتفاء بما علم فى مثلها من سورتى التكوير والانفطار، وهو قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **علِمَتْ نَفْسٌ**﴾[الانفطار:٥، ســورة التكــوير:١٤] والثانى: جوابها ما دل عليه "فملاقيه". الثالث: أنه " يا أيها الانــسان" علــى حذف الفاء، وعلى كونها غير شرطية ؛ فهى مبتدأ، وخبرهــا (إذا) الثانيــة والواو مزيدة؛ تقديره: وقت انشقاق الــسماء وقــت مــدّ الأرض؛ أى: يقــع الأمران فى وقت؛ قاله الأخفش. وقيل: إنه منصوب مفعــولا بــه بإضــمار (اذكر) انشقاقها بالغمام، وهو من علامات القيامة ؛ كقوله ــ تعالى ــ: ﴿**يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَام**﴾[الفرقان: ٢٥] ".

وهذه بعض أمثلة من نماذج كثيرة اعتنــى فيهــا الخطيــب الــشربينى بتوظيف إعراب الحروف ومعانيها فى التفسير؛ كحروف الجــر، والعطــف، ونواصب الأسماء، وأدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة ، وغيرها.

---

[1] – سورة الإنشقاق: آية ١.

[2] – ينظر: السراج المنير جـــ٨ ص٢٩٢.

المبحث الرابع: توظيفه دلالة السياق فى استنباط المعنى:

حتى يتم البيان والوضوح للأسلوب القرآنى لابد من معرفة سياق النص، وما لحقه من أسباب النزول "السياق الاجتماعي" وألوان البلاغة التى تبرز أسرار التركيب؛ والخطيب الشربينى كثير العناية بالسياق الاجتماعى (أسباب النزول) وقد تناولته فى مبحث خاص به، كما أنه كثير العناية أيضا بالناحية البلاغية للقرآن الكريم؛ فالمطالع لتفسيره يجده مهتمًا بأن يكشف عن النواحى البلاغية للقرآن وأسرار إعجازه فى نظمه وأسلوبه، فيكاد ينبه على كافة أساليب البلاغة من بيان وبديع ومعانٍ، ويهتم بإبراز المعانى الدقيقة التى تحملها التراكيب القرآنية بين طياتها مما لا يكاد يظهر إلا لمن أوتى حظًا وافرًا من المعرفة بدقائق اللغة العربية؛ فالقارىء لتفسيره يجده بارزًا فى هذه الناحية؛ ويتضح ذلك من الأمثلة:

- فعند تفسيره للآيات الكريمة يؤكد على إعجاز القرآن الكريم فى نظمه ومعناه ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**﴾[1] فيقول[2]: " أى: المحكم بعظيم النظم وبديع المعانى ".

- وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[3] يقول الخطيب الشربينى[4]: " "الحكيم" الذى يضع الأشياء فى مواضعها ، ولا يضع شيئًا إلا كذلك ، كما أحكم أمره ونهيه وجمع شرعه، وأحكم نظم هذا القرآن جملاً وآيات وفواصل وغايات بعد أن حرر معانيه وتنزيله ؛ فصار معجزًا فى نظمه ومعناه ".

---

1 – سورة يس: آية ٢.

2 – ينظر: السراج المنيرجـ٦ ص ٩٢.

3 – سورة الجاثية: جزء من آية ٣٧.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٦ ص ٤٨٧.

واهتم الخطيب الشربيني ببيان فنون البلاغة الثلاثة: البيان والبديع والمعاني وذكر الأغراض البلاغية ؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ اهتمامه ببيان صور "البيان"[1] وأثرها في تأدية المعنى، فيوضح صور التشبيه والاستعارة[2]والمجاز[3] والكناية [4] ودلالتها على المعنى المراد:

● فعند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ﴾[5] يبين أن الكلام على المجاز؛ فيقول[6]:

" مجاز باعتبار المآل؛ أي: لا تفعلوا ما يؤدي إلى الفساد ، وليس معنى الإفساد هنا الإتيان بالفساد ليصح حمل الكلام على الحقيقة؛ نبه على ذلك السعد التفتازاني ".

---

1 – علم البيان ، هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص٢٠٠ .

2 – الإستعارة:هي ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٣٥.

3 – المجاز:هوالعدول عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد ، بحيث يأتي المتكلم لاسم موضوع لمعنى فيختصره إما بأن يجعله مفردا بعد أن كان مركبا ، أوغير ذلك من وجوه الاختصار ، أو يذكر ما هو متعلق به ، أو كان من سببه لفائدة ؛ ينظر : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع المصري٥٨٥ـ٦٥٤ هـ تحقيق د/حنفي محمد شرف ـ ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة،١٤١٦ هـ ـ١٩٩٥ م ص٣٣٥ .

4 – الكناية :هي أن يعبر عن شيء لفظا كان أو معنى بلفظ غير صريح من الدلالة عليه لغرض من الأغراض كالإبهام على السامع ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٤٠ .

5 – سورة البقرة: جزء من آية ١١.

6 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص ٥١.

● وكذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾[1] يقول[2]: " وهذا من باب التمثيل ؛ مثل حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق جبلٍ فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمونٍ انقطاعُه ".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾[3] يبين الاستعارة فى هذا التعبير القرآنى ؛ فيقول[4]: " تنبيه: استعير الذوق لإدراك أثر الضرر، واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف ، وأوقع الإذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له؛ كقول كثير عزة:

غَمْرُ الرداءِ إذا تبسّم ضاحكــًا غلقتْ لِضحكتهِ رقاب المــالِ[5]

فإنه استعار الرداء للمعروف ؛ لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ، وأضاف إليه (الغمر) الذى هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرًا إلى المستعار له : ولو نظر إلى المستعار لقال: ضافي الرداء؛ أي: سابغه ومعنى البيت ،إذا ضحك المسئول ضحكة أيقن السائل بذلك التبسم استرقاق رقاب ماله وأنه يعطى بلا خوف .وقد ينظر إلى المستعار له كقوله:

يُنـــازعُنى ردائى عَبْدُ عَمْـــرٍو رويدك أخا عمــرِو بنِ بكــرِ

---

[1] – سورة لقمان: جزء من آية ٢٢.

[2] – ينظر: السراج المينر جــ٥ ص ٢٧٨.

[3] – سورة النحل: جزء من آية ١١٢.

[4] – ينظر: السراج المنير جــ٣ ص ٣٨٢.

[5] – البيت من الكامل ، وهو لكثير عزة فى ديوانه ،شرح عدنان زكى درويش ، ط. دار صادر ــ بيروت ،الأولى ١٩٩٤ ص٢٦٨.

لِيَ الشَّطرُ الـذى ملَكتْ يمينـي ودونك فاعتَجِرْ منـهُ بشطـرِ[1]

استعار الرداء للسيف ، ثم قال: فاعتجر؛ نظرًا إلى المستعار، ولو نظـر إلى المستعار منه لقال ــ تعالى ــ فى الآية: وكساهم لباس الجوع والخوف ، ولقال كثير: ضافى الرداء إذا تبسم ضاحكا . وهـذا نهايـة مـا يقـال فـى الاستعارة ".

● كما يبين الخطيب الشربينى "علم المعانى"[2] عنـد تفسيره الآيـات القرآنية ويوضح أسرارها البلاغية وأثرها فى المعنى المراد فى الآية ؛ كمـا فعل عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنـدَهُمُ التَّـوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ**﴾[3] فيقول[4]: " استفهام تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنـون به والحال أن الحكم منصوص عليه فى كتابهم الذى هو عندهم، وتنبيه علـى أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع ، وإنما طلبوا منـه مـا يكون أهون عليهم وإن لم يكن حكم الله ــ تعالى ــ فى زعمهم ".

● وأيضا يشير إلى القصر فى قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَـيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْـطُرَّ غَيْـرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[5] فعند انتهائه من تفسير هذه الآيـة يقول[6]: "فإن قيل : (إنما) تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من محرّم لم ؛ يذكر أجيب: بأن المراد قصر الحرمة على ما ذكر ممـا اسـتحله الكفـار لا

---

[1] – البيتان من الوافر، وهما بلا نسبة فى لسان العرب(ر د ى) جـ١٤ ص٣١٧،وقال" رويداً يا أخا سعد بن بكر "وفى شرح شواهد الكشاف جـ٤ ص٤٩٣ .

[2] – علم المعانى : هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربى الذى يطابق مقتضى الحـال؛ ينظر: التعريفات للجرجانى ص٢٠١ .

[3] – سورة المائدة: جزء من آية ٤٣.

[4] – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص ٤٤، ٤٥.

[5] – سورة البقرة: آية ١٧٣.

[6] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص ١٨٠.

مطلقًا وقصر ما ذكره على حال الاختيار؛ كأنه قيل: إنما حرّم عليكم هذه الأشياء ما لم تضطروا إليها".

كما عنى الخطيب الشربيني ببيان المحسنات البديعية في النظم القرآني بمختلف صورها المعروفة في "علم البديع"[1] من: جناس،[2]وسجع،[3]وطباق،[4]ومقابلة،[5]وغيرها.

● فعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ** ﴾[6] يبيّن الصورة البلاغية ؛ فيقول[7]:"ومعنى فأرسل إلى هارون: أرسل إليه جبريل واجعله نبيًا، وآزرني به ، واشدد به عضدي، وهذا الكلام مختصر، وقد بسطه في غير هذا الموضع[8] وقد أحسن في الاختصار؛ إذ قال: "فأرسل إلى هارون" فجاء بما يتضمن معنى

---

1 – علم البديع : هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة ؛ أي : الخلو عن التعقيد المعنوي ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص٢٠٠ .

2 –الجناس : هو بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد من اللغة ؛ ينظر: تحرير التحبير ص ١٠٢ .

3 –السجع :هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ١٥٦ .

4 – المطابقة: هي أن يجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما ، ثم إذا شرطهما بشرط وجب أن تشترط ضديهما بضد ذلك الشرط ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص٢٧٩ .

5 –المقابلة :هي توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي ، فإذا أتى بأشياء في صدر الكلام أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب بحيث يقابل الأول بالأول والثاني بالثاني لا يخرم من ذلك شيئا في المخالف والموافق ؛ ينظر: تحرير التحبير ١٧٩ .

6 – سورة الشعراء: آية ١٣.

7 – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص ٩.

8 –لعله يقصد قوله ــ تعالى ــ" واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي، اشدد به أزري ، وأشركه في أمري" سورة طه الآيات ٢٩ ــ٣٢ .

الاستنباء؛ ومثله في "تقصير الطويلة والحسن" [1] قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا** ﴾[الفرقان:٣٦] اقتصر على ذكر طرفي القصة أولها وآخرها وهما الإنذار والتدمير، ودل ذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله ؛ فأراد الله إلزام الحجة عليهم ؛ فبعث إليهم رسولين ؛ فكذبوهما؛ فأهلكهم ".

● وأيضا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ** ﴾[2] يبين الصورة البلاغية في الآية ويعرفها بأنها طباق بديعي؛ فيقول[3]: " "يبسط الرزق" أي: يوسعه في كل وقت أراده بالأموال والأولاد وغيرهما، "لمن يشاء" امتحانا "ويقدر" أي: يضيقه على من يشاء ابتلاء ؛ بدليل مقابلته بيبسط ؛ وهذا هو الطباق البديعي، فالرزق في الدنيا لا تدل سعته على رضا الله ــ تعالى ــ ولا ضيقه على سخطه ؛ فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع، وربما عكس ، وربما وسع عليهما وضيق عليهما، وكم من موسر شقي ، وكم من معسر تقي ".

● وأيضا عند انتهائه من تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ** ﴾[4] يقول[5]: " تنبيه: التقابل يأتي على ثلاث طرق ؛ إحداها: أن

---

[1] –لعله يقصد الإيجاز ؛ فقد اختصرت القصة كلها في هذه الآية ؛ لأنه ذكر أصول الأسباب المستلزمة جميع المسببات التي هي جملة القصة ؛ ينظر : تحرير التحبير لأبي الأصبع المصري ، باب : الإيجاز ص ٤٧٠ .

[2] – سورة سبأ: جزء من آية ٣٩.

[3] – ينظر: السراج المنير جـ٦ ص ٤٠.

[4] – سورة غافر: آية ٥٨.

[5] – ينظر: السراج المنير جـ٦ ص٣٢١.

يجاور المناسب ما يناسبه ؛ كهذه الآية. والثانية: أن يتأخر المتقابلان ؛ كقوله– تعالى –: "مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع" [هود:٢٤]. الثالثة: أن يقدم مقابل الأول ويؤخر مقابل الآخر كقوله –تعالى–: ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ{19} وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ**﴾ [غافر:١٩،٢٠] كل ذلك تفنن في البلاغة ".

● ويذكر الخطيب الشربيني المصطلحات البلاغية لما يشير إليه من فنون البلاغة؛ كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾[1] إذ يشير إلى أسلوب الحكيم [2]في الآية الكريمة ؛ فيقول[3]: "أي: هم أولى به ؛ سأل عن المنفق فأجيب: ببيان المصرف؛ لأنه أهم ؛ فإن اعتداد النفقة باعتباره ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ**﴾[4] يقول[5]: " وقرأ ابن عامر بالتاء على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وهو أدل على الغضب،، .

● وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾[6] يبين ما فيه من الاحتباك ؛

---

1 – سورة البقرة: جزء من آية ٢١٥.

2 –أسلوب الحكيم:هو ذكر الأهم تعريضا للمتكلم على تركه الأهم ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص٣٩ .

3 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص ٢٢١.

4 – سورة المائدة: جزء من آية ٥٠.

5 – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص ٤٩.

6 – سورة الاسراء: جزء من آية ٢.

فيقول[1]:"بالحمل على العدل فى التوحيد والأحكام ، وأسرينا بموسى ــ عليه السلام ــ وبقومه من مصر إلى بلاد المسجد الأقصى، فأقاموا سائرين إليها أربعين سنة ولم يصلوا ، ومات كل من خرج إلا المتقين الموفين بالعهد ؛ فقد بان بين الإسراءين كما بان الفضل بين الكتابين، فذكْرُ الإسراء أوّلاً دليل على حذف مثله أوّلاً؛ فالآية من الاحتباك".[2]

● وكذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ {٨} فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ** ﴾[3] يشير إلى الاحتباك ؛ فيقول[4]: " أى: نار نازلة سافلة جدًّا، فهو بحيث لا يزال يهوى فيها نازلاً ؛ فهو فى عيشة ساخطة ؛ فالآية من الاحتباك ؛ ذكر العيشة أولاً ؛ دليلاً على حذفها ثانيا ، وذكر الأمّ ثانيًا ؛ دليلاً على حذفها أوّلاً ".

● وقليلاً ما يتطرق الخطيب الشربينى إلى شرح المصطلحات البلاغية فعند تفسيره ــ لقوله تعالى ــ: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[5] يوضح وجه الالتفات[6] فى الآية الكريمة ، ثم يبين أقسام الالتفات ؛ فيقول[7]: " فإن قيل: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ أجيب: بأن عادة العرب التفنن فى الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر؛ تحسينًا للكلام وتنشيطا للسامع ؛

---

1 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص ٤٠٥.

2 –الاحتباك:هو أن يجتمع فى الكلام متقابلان ويحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه كقوله :علفتها تبناً وماءً بارداً ؛ أى :علفتها تبناً وسقيتها ماءً بارداً؛ ينظر: التعريفات للجرجانى ص٢٥ .

3 – سورة القارعة: الآيتين: ٨،٩

4 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص ٤١٤.

5 – سورة الفاتحة : آية ٥.

6 –الإلتفات : هو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو على العكس ؛ ينظر: التعريفات للجرجانى ص٢٩.

7 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص ٣٢.

فيكون أكثر إصغاء للكلام ؛ فتعدل من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم وبالعكس فيهما ؛ فهذه أقسام أربعة ذكرها البيضاوى ؛ والتحقيق كما قاله بعض المتأخرين: أنها ستة ؛ لأنّ الملتفت إليه اثنان وكل منهما إما غيبة أو خطاب أو تكلم ؛ من ذلك قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم** ﴾[يونس:٢٢] الأصل بكم ؛ فهو التفات من الخطاب إلى الغيبة. وقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ**﴾ [فاطر:٩] الأصل فساقه؛ فهو التفات من الغيبة إلى التكلم ".

● ويدرس الخطيب الشربينى الآية من حيث مخالفةُ سياقها للجمع والإفراد ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ {٢١} وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾[1] يقول[2]: " فإن قيل: لم جمع الضمير فى" منكم وخفتكم "مع إفراده فى "تمنها وعبدت" أجيب: بأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ، ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله، كما مرت الإشارة إليه؛ بدليل قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ**﴾[القصص:٢٠] وأما الامتنان فمنه وحده ، وكذلك التعبيد ".

● كما عنى الخطيب الشربينى بالمعانى البلاغية لبعض الحروف ؛ فعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ**﴾[3] يقول[4]: " "يا" حرف وضع لنداء البعيد ، وقد ينادى به القريب ؛ تنزيلا له منزلة البعيد؛ إما لعظمته ؛ كقول الداعي: يارب ، و يا الله ــ وهو أقرب إليه

---

1 – سورة الشعراء: ٢١،٢٢.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص ١٣.

3 – سورة البقرة: جزء من آية ٢١.

4 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص ٦٠.

من حبل الوريد ـــ أو لغفلته وقلة فهمه، أو للاعتناء بالمدعوّ له وزيادة الحث عليه".

● وأيضا عند انتهائه من تفسيره لقوله ـــ تعالى ـــ: ﴿ **أُولَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[1] يقول[2]: " فإن قيل: لم وسط العاطف بين هاتين الجملتين دون قوله ـــ تعالى ـــ: ﴿ **أُولَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾[الاعراف:١٧٩] ؟ أجيب: بأن الجملتين هنا مختلفتان باختلاف المسندين فيهما ؛ إذ "على هدى من ربهم " و "المفلحون " وإن تناسبتا تعلقًا مختلفتان مفهومًا ووجودًا ومقصودًا ؛ لأن الهدى في الدنيا ، والفلاح في العقبى ، وإثبات كل منهما مقصود في نفسه بخلاف " كالأنعام " و "الغافلون" فإنهما وإن اختلفا مفهوما قد اتحدا مقصودًا ووجودًا ؛ إذ لا معنى للتشبيه بالأنعام إلا المبالغة في الغفلة في الدنيا؛ فناسب العطف في الأول دون الثانيّ ".

● ويهتم الخطيب الشربيني بالجمع بين الآية ونظيرتها وإبراز السر البلاغي في اختلاف السياق بينهما ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله ـــ تعالى ـــ: ﴿**وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ**﴾[3] يقول[4]: " وقدّم هنا لفظ الجلالة في قوله لغير الله به وأخرت في البقرة [5]؛ لأنها هناك فاصلة أو تشبه الفاصلة ، بخلافها هنا؛ لأنّ بعدها معطوفات ".

● كما يوضح المعاني البلاغية لصيغ الأفعال ؛ فعند انتهائه من تفسيره لقوله ـــ تعالى ـــ: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ**

---

1 – سورة البقرة: آية ٥.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص ٤٤،ص ٤٥.

3 – سورة المائدة: جزء من آية ٣.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص ٩.

5 –يقصد قوله تعالى : " وما أهل به لغير الله " البقرة من الآية١٧٣ .

فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1] يقول[2]: " تنبيه: قال ــ تعـالى ــ "يـولج" بـصيغة المستقبل، وقال فى الشمس والقمر "وسخر" بصيغة الماضى ؛ لأن إيلاج الليل فى النهار أمر يتجدد كل يوم ، وتسخير الشمس والقمر أمـر مـستمر؛ كمـا قال- تعالى -: ﴿ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩] ".

● وأيضا عنى الخطيب الشربينى ببيان السر البلاغى فى استعمال لفـظ دون لفظ فى السياق القرآنى ؛ فعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾[3] يقول[4]:" فإن قيل: لم عبر فى هذه الآية بـ" لا يعلمون" وفى التى قبلها بـ" لا يشعرون" ؟ أجيب: بـأنّ التعبيـر بـــ "لا يعلمون" أكثر مطابقة لذكر السفه؛ لأن السفه جهل ؛ فطابقه العلم، ولأنّ أمـر الإيمان أخروى يحتاج إلى دقة نظر؛ فعبر فى الآية التى اشتملت عليـه بـلا يعلمون، وأمر البغى والفساد دنيوى فهو كالمحسوس لا يحتاج إلى دقة نظر؛ فعبّر فى الآية التى اشتملت عليه بـ "لا يشعرون" ".

● وأيضا يزيل الاشكال فى مخالفة مقتضى النظم عند تفسيره لقولـه ــ تعالى ــ: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْـتِعْجَالَهُم بِـالْخَيْرِ لَقُـضِيَ إِلَـيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾[5] فيقول[6]: " فإن قيل: قابل التعجيل فى الآية بالاسـتعجال، وكـان مقتضى النظم أن يقابل التعجيل بالتعجيل والاستعجال بالاستعجال ــ أجيـب: بأن تقدير الكلام: ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حـين اسـتعجلوه

---

1 – سورة لقمان: جزء من آية ٢٩.

2 – ينظر: السراج المنير جــ٥ ص ٢٨٢.

3 – سورة البقرة: جزء من آية ١٣.

4 – ينظر: السراج المنير جــ١ ص ٥٢.

5 – سورة يونس: جزء من آية ١١.

6 – ينظر: السراج المنير جــ٣ ص ١٣.

استعجالاً كاستعجالهم بالخير، فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه. وقال في "الكشاف"[1]: أصل هذا الكلام: ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخير، إلا أنه وضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم بالخير؛ إشعارًا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم، حتى كأنّ استعجالهم بالخير تعجيل لهم".

وهذه بعض أمثلة ذكر الخطيب الشربيني غيرها الكثير؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ عنايته الفائقة بالناحية البلاغية، وحرصه الشديد على إبراز كافة فنون البلاغة فى القرآن الكريم، فيذكر فروعها وأنواعها، كما يذكر الكثير من المصطلحات البلاغية، وغالبا يبين الأغراض البلاغية لما يذكره من فنون بما يوضح أثرها فى قوة المعنى المراد، فلا يكاد يترك موضعًا إلا ويشير إلى الأسرار البلاغية فيه بما يثبت إعجاز القرآن وإحكامه فى نظمه، فنجده يذكر السر فى مجيء الكلام فى صورة الاستفهام بأنواعه والسر فى طرح القضايا فى صورة الخبر، وأغراض القصر، والتقديم والتأخير، والحذف والتكرار، والأغراض البلاغية التى يخرج إليها الأمر؛ مثل : الدعاء، والتهكم، والتعجب، والأغراض التى خرج إليها أسلوب النهى والنداء، كما ذكر أنواع الإطناب[2]؛ كالتكرار، وذكر الخاص بعد العام ، والتفصيل بعد الإجمال والاعتراض[3]، كما عنى بملاءمة الكلمة لسياقها من حيث هيئتها والمعانى البلاغية لأبنية المشتقات ".[4]

---

[1] - ينظر: الكشاف للزمخشرى جـ٢ ص٢٢٧ .

[2] -الإطناب :هو أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة ، وأن يخبر المطلوب بمعنى المعشوق بكلام طويل ؛ لأن كثرة الكلام عند المطلوب مقصودة ؛ فإن كثرة الكلام توجب كثرة النظر ؛ ينظر: التعريفات للجرجانى ص٤٦ .

[3] -الجملة المعترضة : هى التى تتوسط بين أجزاء الجملة لتقرير معنى يتعلق بها أو بأحد أجزائها ؛ ينظر التعريفات للجرجانى ص٦٩.

[4] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص ٣٣، جـ١ ص ٦٦، جـ١ ص ٣٣، جـ١ ص١٩٩، جـ١ص ٤٤٨،جـ١ ص٢٣١، جـ٢ص ٢٢، جـ٣ ص ٢٠٨، جـ٣=

وهكذا يقف الخطيب الشربينى عند مفردات الـــنص القرآنـــى يتأمـــل كلماتها ويبيّن وقعها وملاءمتها للسياق من حيث مادتُها وهيئتها، وهدفه مـــن هذا كله إظهار بلاغة القرآن الكريم وإحكام نظمه ؛ فكل كلمة تناسب الغرض الذى سيقت له والمقام .

=ص٢٠٩، جـ٤ ص ١٣، جـ٤ ص٤١١، جـ٤ ص ٢٣٧، جـ٤ ص ٦، جـ٤ ص ٧، جـ٤ ص ٤٥٦، جـ٥ ص٢٨، جـ٦ ص ٢٥٣، جـ ٦ ص ٧١، جـ٧ ص ١٧، جـ٧ ص ٢٥٢، جـ ٨ ص ٤٥٩.

المبحث الخامس: توظيفه الدلالة الصوتية فى استنباط المعنى:

من الظواهر الصوتية التى اهتم بها الخطيب الشربينى مراعاة الفاصلة القرآنية والتناسب بين رؤوس الآى:

● فعند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1] يقول[2]: "تقديم "رزقناهم" على "ينفقون" للاهتمام به وللمحافظة على رؤوس الآى ".

● وعند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] يقول[4]: " فإن قيل لم قدم "الرؤوف" على "الرحيم" مع أنه أبلغ؟ أجيب: بأنه قدّم محافظة على الفواصل ".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴾[5] يقول[6]: " فإن قيل: لو قيل : أم لم تعظ كان أخصر، والمعنى واحد؟ أجيب: بأن ذلك لتوخى القوافى ".

● وأيضا عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾[7] يقول[8]: " أما من نوّن سلاسل فوجّه بأوجه ؛ منها أنه قصد بذلك التناسب ؛ لأن ما قبله وما بعده منوّن منصوب ".

---

[1] – سورة البقرة: جزء من آية ٣.

[2] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص ٤٣.

[3] – سورة البقرة: جزء من آية ١٤٣.

[4] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص ١٥٩.

[5] – سورة الشعراء: جزء من آية ١٣٦.

[6] – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص ٤٠.

[7] – سورة الانسان: آية ٤.

[8] – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص ٢٠١.

● وكذلك عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ مَــا وَدَّعَــكَ رَبُّــكَ وَمَــا قَلَى﴾[1] يقول[2]: " وتركت الكاف ؛ لأنه رأس آيــة ؛ كقولــه ــ تعــالى ــ: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥] أى : الله ".

ولم أجده يهتم كغيره من المفسرين ببيان إيحاء الكلمة وأثرها المعنــوى وما تبعثه فى النفس من ناحية دلالتها الصوتية؛ كالتعبير بالزلزلة فى قوله ــ تعالى ــ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[3] أو الوسوسة فى قوله تعالى: ﴿من شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ{٤} الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾.[4]

---

1 – سورة الضحى: آية ٣.

2 – ينظر: السراج المنير جــ٨ ص ٣٦٢ .

3 – سورة الزلزلة: آية ١.

4 – سورة الناس: الآيتان ٤،٥.

المبحث السادس: كثرة استشهاده بالشعر

استشهد أكثر علماء التفسير بالشعر في تفاسيرهم مع تفاوتهم في ذلك بين القلة والكثرة، وقد اختلفت آراء العلماء في مسألة الاستشهاد بالشعر وخاصة في التفسير وسأشير بإيجاز إلى هذا الخلاف:

" فالمانعون من الاستشهاد بالشعر احتجوا بأمور أهمها أن الاستشهاد بالشعر معناه أن يكون الشعر أصلاً للقرآن والله عز وجل قد ذمّ الشعراء فقال تعالى: ﴿ **وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ{٢٢٤} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ{٢٢٥} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ** ﴾.[١]

كما نفّر الرسول ﷺ من الشعر فقال ﷺ: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيْحًا فيريه خير له من أن يمتلىء شعْرًا)[٢] " وبما نقل الفضل بن زياد عن الإمام أحمد أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر فقال: ما يعجبني".[٣]

وردّ العلماء على هؤلاء المنكرين قولهم بأنهم لا يجعلون الشعر أصلا للقرآن، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر؛ لأن الله تعالى قال:

---

1 - سورة الشعراء : ٢٢٤: ٢٢٦.

2 -أخرجه البخارى فى صحيحه ــ كتاب:الأدب ، باب : ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن ؛ ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١٦ ص٤٤١ ح ٦١٥٤ ، وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ــ كتاب: الشعر جـ٤ ص ٧٤ ح٢٢٥٧ .

3 - الإتقان فى علوم القرآن للشيخ الأمام العلامة أبى الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن أبى بكر السيوطى ــ ط . دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، جـ١ ص ٢٢٥ بتصرف.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[1] وقال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[2] ".

" وما ذكروه من الحديث مردود بأن الرسول ﷺ كان يسمع الكثير من شعراء المسلمين ويستزيدهم، بل ويأمرهم بالرد على المشركين . وأما ما نقل عن الإمام أحمد فيحتمل المنع ويحتمل الكراهة، وموجّه لمن صرف الآية عن ظاهرها إلى معانٍ خارجة يدل عليها القليل من كلام العرب، ولا يوجَد غالباً إلا في الشعر ونحوه ويكون المتبادر خلافها ".[3]

وأكثر علماء التفسير أجازوا الاستشهاد بالشعر و استندوا إلى كثرة احتجاج الصحابة والتابعين على غريب القرآن ومشكله بالشعر:

قال ابن عباس: الشعر ديوان العرب ؛ فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه. وقال: إذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب.

وقال أبو عبيد الله فى فضائله عن ابن عباس أنه كان يُسأل عن القرآن فينشِد فيه الشعر، قال أبو عبيد يعنى كان يستشهد به على التفسير.

وقال السيوطى: " قلت قد روينا عن ابن عباس كثيرًا من ذلك وأوعب ما رويناه منه مسائل نافع بن الأزرق، وقد أخرج بعضها ابن الأنبارى فى كتاب "الوقف" والطبرانى فى معجمه الكبير، وقد رأيت أن أسوقها هنا بتمامها لتستفاد. ثم ذكر السيوطى سنده كاملاً إلى أن قال: بينما عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق لنجدة ابن عويمر: قم بنا إلى هذا يجترئ على تفسير القرآن بما لا

---

[1] – سورة الزخرف: آية ٣.

[2] – سورة الشعراء: آية ١٩٥.

[3] – الإتقان فى علوم القرآن: جـ١ ص ٢٢٥، ودلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى ـــ ط . السعادة بالقاهرة ، ص ٢٥ بتصرف.

علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسر لنا، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلا عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾[1] قال: العزون: حلق الرفاق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

"فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ إليه حتى يكونوا حَوْلَ مِنْبَرِه عِزِينا"[2]

قال: أخبرني عن قوله: ﴿ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[3] قال: الوسيلة الحاجة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة وهو يقول:

"إنّ الرجالَ لَهُمْ إليكِ وَسِيلةٌ إنْ يأخذوكِ تَكحّلي وتَخَضّبي"[4]

قال: أخبرني عن قوله: ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[5] قال: الشرعة: الدين، والمنهاج: الطريق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول:

"لقد نَطق المأمونُ بالصّدقِ والهُدَى وبيّنَ للآلام دِينًا ومَنْهَجَا"[6]

---

1 – سورة المعارج: آية ٣٧.

2 –البيت من الوافر وهو للمهلهل بن ربيعة في تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ،٢٨٢ـ٣٧٠ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ ط .المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر جـ٥ ص١٠١ ، ولم أجده في ديوان المهلهل.

3 – سورة المائدة: جزء من آية ٣٥.

4 –البيت من الكامل وهو لعنترة بن شداد في ديوانه ـ ط .دار صادر بيروت ، الأولى ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م ص٣٣ .

5 – سورةالمائدة : جزء من آية ٤٨ .

6 –البيت من الطويل ، وهو لأبي سفيان الحارث بن عبد المطلب في الإتقان في علوم القرآن ، النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبه جـ١ ص ٢٥٦ .

قال أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾[1] قال: نُضجه وبلاغه . قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

"إذا ما مَشَتْ وَسْطَ النساءِ تأوَّدَتْ كما اهْتَزَّ غُصْنٌ ناعِمُ النَّبْتِ يانِعُ"[2]

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾[3] قال: في اعتدال واستقامة ، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول:

"يا عَيْنُ هلاَّ بكَيْتِ أرْبَدَ إذ قُمْنا وقامَ الخُصُومُ في كَبَدِ"[4]".

وظل السيوطي يسوق أمثلة كثيرة من أسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس وإجابته عنها مستشهدًا بالشعر حتى بلغت ستًا وعشرين صفحة من كتابه الإتقان.

" وقد سار الكثير من المفسرين على نهج ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين في استشهادهم بالشعر؛ فلم تخل كتب أعلام المفسرين من عرض مباحث العلوم العربية والاستشهاد عليها بالشعر، ومنهم مَن قضى زمناً طويلاً في الاشتغال بالعلوم العربية ،ولهم فيها مؤلفات قيمة في مختلف فروعها؛ كالزمخشري وأبي حيان وغيرهم، وقد امتازت تفاسيرهم بكثرة استشهادهم بالشعر ".[5]

---

1 – سورة الأنعام: جزء من آية ٩٩.

2 –البيت في الإتقان في علوم القرآن بلا نسبة"النوع السادس والثلاثون" جـ١ ص٢٥٦.

3 – سورة البلد : آية ٤ .

4 – البيت من المنسرح للبيد ؛ ينظر: ديوان لبيد بن ربيعة ، دار صادر – بيروت ،حرف الدال ص٥٠ .

5 – كأساس البلاغة والمفصل والكشاف للزمخشري ، والبحر المحيط لأبي حيان.

فنجد ابن جرير الطبرى يرجع إلى شواهد من الشعر القديم بشكل واسع متبعًا فى هذا ما أثاره ابن عباس فى ذلك ، وكذلك الزمخشرى فى تفسيره الكشاف ، وأبو حيان فى البحر المحيط، فقد امتازت تفاسيرهم بكثرة استشهادهم بالشعر.

والقارىء لتفسير السراج المنير الذى بين أيدينا يجد أنه من المفسرين الذين يرون الاستشهاد بالشعر على معانى القرآن الكريم؛ فنجده يكثر من الاستشهاد به والاستناد إليه فى تدعيم آرائه، وتصحيح ما اختاره من آراء غيره ، وهذا جلى فى تفسيره، وقد أخذ استشهاده بالشعر عدة اتجاهات أهمها ما يأتى:

١-إعراب ألفاظ القرآن الكريم.

٢-بيان ما اشتملت عليه الآيات القرآنية من الخصائص البلاغية.

٣-بيان المعانى اللغوية لمفردات القرآن.

٤-توجيه القراءات.

٥-بيان المعانى التى استخلصها من آيات القرآن.

و سأعرض فيما يلى هذه الاتجاهات بالأمثلة :

١- إعراب ألفاظ القرآن الكريم:

يتعرض الخطيب الشربينى للإعراب عند تفسيره للآيات القرآنية ، وكثيرا ما يستشهد عليه بالشعر ؛ ومن نماذج ذلك:

- قوله فى إعراب ﴿**فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا**﴾[1][2] : "والضمير للحفرة ، أو النار، أو الشفا؛ وأنثه لتأنيث ما أضيف إليه ؛ كقول الشاعر:

---

[1] – سورة آل عمران: جزء من آية ١٠٣.

[2] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٣٧١ .

"كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَناةِ مِـنَ الـدَّمِ"[1]".

- ومن نماذج ذلك أيـضا قولـه فـي إعـراب قولـه ــ تعـالى ــ: ﴿كَآفَّةً﴾[2][3]: "حال من السلم ؛ لأنها تؤنث كما تؤنث الحـرب ؛ كمـا قـال القائل:

"أَبَـا خُرَاشَــةَ أَمَّـا أَنْـتَ ذَا نَفَـرٍ   فَـإِنَّ قَـوْمِيَ لَـمْ تَـأْكُلْهُمُ الـضَّبُعُ
السِّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَـا رَضِـيتُ بِـهِ   والحَرْبُ تَكْفِيكَ أَنْفَاسُـها جُـرَعُ"[4]"

- ويقول في تفسير ﴿ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ ﴾[5][6]: "أي ما ائتمنتم عليـه من الدنيا وغيره ، مجـزوم بـالعطف علـى الأول ؛ أي: ولا تخونـوا ، أو منصوب بأن مضمرة بعد الواو على جواب النهـي ؛ أي: لا تجمعـوا بـين الخيانتين؛ كقوله:

---

[1] – عجز بيت ، وصدره : " وتَشْرَقَ بالقول الذي قد أذعته" وهو من الطويـل ، قالـه الأعشي؛ ينظر: ديوان الأعشى ، دار صادر ــ بيروت ،حرف الميم ص ١٨٣ .

[2] – سورة البقرة: جزء من آية ٢٠٨.

[3] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٢١٥ .

[4] – البيتان من البسيط ، قالهما العباس بن مرداس السلمي ، وجدت الأول فـي شـرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هـشام الأنـصاري ٧٠٨ ــ٧٦١ هــ ، ط.المكتبة العصريةــ بيروت، ١٤١٩ هــ ــ١٩٩٨ م ، ص٢١٣ ، وشـرح شـواهد الكشاف جـ٤ ص٤٣٨ ،والثاني في تاج العروس من جواهر القـاموس للـسيد محمـد مرتضى الحسيني الزبيدي ، مطبعة حكومة الكويت ، جـ٥ ص٣٩٤.

[5] – سورة الأنفال: جزء من آية ٢٧.

[6] – ينظر: السراج المنير جـ٢ ص٣٢٨ .

"لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وتَــأتِيَ مِثْلَــهُ" "[1].

● ويقول عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكُم ﴾[2][3]:" الــلام متعلقة بيدعو؛ أي: لأجل غفران ذنوبكم ؛ كقوله:

"دَعَــوْتُ لِمَــا نَــالَنى مِــسوَرًا فَلَبَّــى فَلَبَّــى يَــدَىْ مِــسوَرِ"[4]"

● " ويقول عند تفسيره لقوله ــ تعــالى ــ: ﴿ وَالَّــذِي هُــوَ يُطْعِمُنِــي وَيَسْقِينِ ﴾:[5][6]" يجوز: والذى يطعمنى ويسقين أن يكــون مبتــدأ وخبــره محذوف ؛ لدلالة ما قبله عليه ، وكذا الذى بعده، ويجوز أن تكــون أوصــافًا (للذى خلقنى) ودخول الواو جائز؛ كقوله:

"إلى المَلِــكِ القَــرْمِ وابــنِ الهُمَــامِ ولَيْثِ الكتيبــةِ فــى المُــزْدَحَمِ "[7].

وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم ".

---

1 – صدر بيت ، وعجزه "عارٌ عليك إذا فَعَلْتَ عظيمُ"وهو من الكامل ، قاله أبو الأسود الدؤلى، فى شرح شذور الذهب ص ٢٦٢، ومغنى اللبيب لابن هشام جــ٢ ص٤١٦.

2 – سورة إبراهيم: جزء من آية ١٠.

3 – ينظر: السراج المنير جــ٣ ص٢٥١ .

4 – البيت من المتقارب ، وهو لرجل من بنى أسد ؛ ينظر: خزانة الأدب ولــب لبــاب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادى ١٠٣٠ ــ١٠٩٣هــ،ط. مكتبة الخــانجى ــ القاهرة، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الثانية ،جــ٢ ص٩٢ ، وشــرح شواهد الكشاف جــ٤ ص٤٠٧.

5 – سورة الشعراء: آية ٧٩.

6 – ينظر: السراج المنير جــ٥ ص٢٨ .

7 – البيت من المتقارب ، وهو بلا نسبة فى خزانة الأدب للبغدادى جــ١ ص ٤٥١.

وهكذا سار الخطيب الشربيني على هذا النهج في تفسيره يستدل على إعراب النظم القرآني بالشعر القديم ، وتلك بعض أمثلة يوجد غيرها الكثير في تفسيره. [1]

٢- بيان ما اشتملت عليه الآيات من الخصائص البلاغية:

يرجع الخطيب الشربيني إلى شواهد من الشعرلبيان النكات البلاغية التي تشتمل عليها التعبيرات القرآنية ؛ ومن أمثلة ذلك:

● يقول الخطيب الشربيني عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ** ﴾[2]: [3]" فإن قيل: كيف أضاف الجناح إلى الذل، والذل لا جناح له؟ أجيب: بوجهين: الأول: أنه أضيف الجناح إلى الذل؛ كما يقول حاتم الجود ، فكما أن المراد هناك حاتم الجود؛فكذا هنا المراد:اخفض لهما جناحك الذليل . الثاني: أن مدار الاستعارة على الخيلان ؛ فهنا تخيل الذل جناحا خفيضا؛ كما جعل لبيد للشمال يدًا، وللقرة زمامًا في قوله:

"وغداه ريح قد وزعت وقرة إذا أصبحت بيد الشمال زمامها"[4]

فأثبت للشمال يدًا ،وللقرة زماما في يد الشمال ؛ فكذا هنا. ومن ظريف ما حكي أن أبا تمام لما نظم قوله:

"لا تَسقِني مَاءَ المَلامِ فإنَّني صَبٌّ قَدْ استَعْذَبتُ مَاءَ بُكَائي"[1]

---

[1] -ينظر: السراج المنير جـ ١ ص٣٦، ٥٧، ٤٣٦ ،جـ ٢ ص ٥ ، ١٠ ، ، ٢٤٢،٢٠٤،٦١، ٢٦٢، ٤٤٦ ،جـ٣ ص٢٧٣ ، ٣٩٤ ،جـ٥ ص٢٨،٦٧، ٩٥، ١٠٩، ١٥٥ ، ١٨٥، ٢٧٠ ، جـ٦ ص٣٩، ٢٧٣ ، جـ٨ ص١٠ ، ٦٨، ٤٤٤ .

[2] -سورة الإسراء : جزء من آية ٢٤ .

[3] - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

[4] -البيت من الكامل ، وهو للبيد في ديوانه ، حرف الميم ص ١٧٦ .

جاءه رجل بقصعة وقال له: أعطني شيئا من ماء الملام ؛ فقال لــه: حتــى تأتيني بريشة من جناح الذل؛ يريد أن هذا مجــاز اســتعاره لــذلك . وقــال بعضهم:

"راشوا جَناحِي ثُــمَّ بَلُّــوه بالنَّــدَى فلَمْ أستَطِعْ مِنْ حُبِّهِمْ أنْ أطِيــرا"[2]"

• وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ يُرِيدُ أنْ يَنقَضَّ ﴾[3] يقــول[4]: " أى يسقط ، وهذا من مجاز كلام العرب ؛لأن الجدار لا إرادة له، وإنما معنــاه : قرب ودنا من السقوط ؛ كما تقول العرب : دارى تنظر إلــى دار فــلان إذا كانت تقابلها؛ فاستعير الارادة للمشارفة ؛ كما استعير لها الهم والعــزم فــى قوله:

"يريــدُ الــرُّمحُ صَــدْرَ أبــى بَــرَاءٍ ويَعْدِلُ عَنْ دمــاءِ بنــى عقيــلِ" "[5]

وقول للآخر:

"إنّ دهــرًا يَلُــفُّ شَــمْلِى بجمْــلٍ لزمـــــانٌ يهــــمّ بالإحـــــسانِ"[6]

---

[1] -البيت من الكامل ، لأبى تمام فى مدح محمد بن حسان الضبى ، فى شرح ديوان أبى تمام لإيليا الحاوى ــ ط .دار الكتاب اللبنانى ــ بيروت ، الأولى ١٩٨١ م، ص ١٧.

[2] -البيت من الطويل ، ذكره أبو حيان فى البحر المحيط بلا نسبة جــ٦ ص٢٦ ، وقال: "أراشوا ــ من أرضهم" .

[3] – سورة الكهف: جزء من آية ٧٧.

[4] – ينظر : السراج المنير جــ٤ ص٧٢.

[5] – البيت من الوافر، وهو بلا نسبة فى لسان العرب (ر ، و ، د) جــ٣ ص١٨٩ .

[6] – البيت من الخفيف ، وهو لحسان بن ثابت ــ رضى الله عنه ــ فى أساس البلاغــة للزمخشرى ، مادة (ل ، ف ، ف)ص٤١٢ .

ففى البيت الأول دليل على استعارة الإرادة للمشارفة ، وفى الثانى دليل على استعارة الهم لها ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَــةِ**﴾[1] يقول[2]

"بإدخال المؤمنين الجنة وغيرهم النار، وأدخلت "إنّ" على كل واحد من جزءى الجملة لزيادة التأكيد ؛ ونحوه قول جرير:

"**إنّ الخليفـــــةَ إنّ اللهَ سَـــــرْبَلَهُ سِرْبالَ مُلْكٍ بهِ تُرْجَى الخــواتِيمُ**" "[3]

● وفى قوله: ﴿ **رَبِّ ارْجِعُونِ** ﴾[4] يقول[5]: " ويجوز أن يكون الجمع لله ــ تعالى ــ وللملائكة ، أو للتعظيم على عادة مخاطبات الأكابر سيما الملوك ؛ كقوله:

ألا فارحمونى يا إله محمد [6]

وقوله:

فإنْ شِئْتَ حَرَّمْتُ النِّساءَ سِواكمُ[7]

---

1 – سورة الحج: جزء من آية ١٧.

2 – ينظر : السراج المنير جــ٤ ص٢٨٥ .

3 –البيت من البسيط ، وهولجرير فى خزانة الأدب جــ١٠ ص٣٦٤ ــ٣٦٨ ، وشرح شواهد الكشاف جــ٤ ص٥٣٢ .

4 – سورة المؤمنون: جزء من آية ٩٩.

5 – ينظر: السراج المنير جــ٤ ص٣٥٨.

6 –صدر بيت ، وعجزه (فإن لم أكن أهلاً فأنت له أهل) ذكره الزمخشرى فى تفسيره سورة المؤمنون (قال رب ارجعون) ، ينظر: شرح شواهد الكشاف جــ٤ ص٤٩٦ .

7 –صدر بيت ، وعجزه "وإنْ شِئْتَ لَمْ أَطعمْ نُقاخاً ولا بَرْداً"والبيت من الطويل للعرجى فى تهذيب اللغة جــ١٤ ص١٠٥ ، والنقاخ: الماء العذب ، والبرد :النوم ،ينظر: شرح شواهد الكشاف جــ٤ ص٣٦٩ .

أو القصد تكرير الفعل للتأكيد ؛ لأنه في معنى" أرجعني" كما قيل فـــي: قِفَـــا، واطْرُقَا فإنهما بمعنى: قف قف ، واطرق اطرق ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَـنْ سَـاقٍ** ﴾[1] يقول[2]:" تنبيه: علم مما تقرر أن كشف الساق كناية عن الشدة؛ قال الراجز:

"عَجِبْتُ مِنْ نفسي ومِنْ إشفاقها ومن طِرَادي الطير عَنْ أرزاقها
في سنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَن ساقِها حمراء تَبْرِي اللحمَ عن عرقاها"[3]

وقول الطائي:

أخو الحربِ إنْ عَضَّتْ به الحربُ عَضَّها وإنْ شَمَّرَتْ عن ساقِهاالحرب شَمَّرَ[4]

وقال آخر:

"قَدْ شَـمَّرَتْ عَـن سـاقِها فـشدوا وجـدَّتِ الحـربُ بِكُـمْ فجِـدّوا"[5]

وقال أبو عبيدة: إذا اشتد الأمر أو الحرب ؛ قيل: كشف الأمر عن ساقه، والأصل فيه أن من وقع في شيء يحتاج إلى الجد شمر عن ساقه؛ فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة ".

---

1 - سورة ن: جزء من آية ٤٢.

2 - ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٦٥.

3 -البيتان من الرجز، للعجاج في تفسيرالبحر المحيط لأبي حيان جـ٨ ص ٣١٠، و في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي بلا نسبة جـ١٨ ص٢٣٨ .

4 -البيت من الطويل ، لزيد الخيل بن مهلهل الطائي في الحماسة البصرية جـ١ ص٢٥٣، وشرح شواهد الكشاف جـ٤ ص٣٢٢ .

5 -البيت من الرجز، بلا نسبة في تفسير البحر المحيط جـ٨ ص٣١٠، وفي الجامع لأحكام القرآن ،وقال :(قد كشفت عن ساقها فشدوا) جـ١٨ ص٢٣٨ .

وهذه بعض نماذج من المواضع الكثيرة التى استشهد فيها الخطيب الشربينى بالشعر على معانى القرآن الكريم البلاغية، وعلى هذا النمط سار فى عشرات من آيات القرآن الكريم[1].

٣- بيان المعانى اللغوية لمفردات القرآن:

كثيرا ما يرجع الخطيب الشربينى إلى شواهد الشعر القديم عند تفسيره لمعانى المفردات ؛ ومن أمثلة ذلك:

- عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ** ﴾[2] يقول ما نصه [3]: " وقيل استوى بمعنى : استولى ؛ كما قيل:

"قد استوى بشرٌ على العراقِ منْ غيرِ سيفٍ ودمٍ مهراقِ" [4] "

- وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا** ﴾[5] يقول[6]: " قال ابن عباس : مقتدرا مجازيا؛ قال الشاعر:

"وذى ضغنٍ (أى:رب صاحب حقد) كففتُ الضغْنَ عنهُ
وكنتُ على إساءتهِ (أى: إساءتى لذى الضغن)مُقيتا"[7]".

---

[1] - ينظر: السراج المنير جـ١ ص ٢٤٠، ٢٤٤ ، ٣١٥، ٤٠٢، ٣٤٣، جـ٣ ص٣٨٢، جـ ٤ ص٣٦٢، ٤٧٥ ، جـ ٥ ص ٢٢٣ ،جـ٦ ص ٤٦٠ .

[2] – سورة البقرة: جزء من آية ٢٩.

[3] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص ٧٦.

[4] –البيت من الرجز ، ينسب لبعيث ؛ فى كتاب الأزمنة و الأمكنة للشيخ أبى على المرزوقى الأصفهانى ــ ط دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ، باب عظم شأن القرآن جـ١ ص٤٤.

[5] – سورة النساء: جزء من آية ٨٥.

[6] – ينظر: السراج المنيرجـ١ ص ٥٠١.

[7] –البيت من الوافر، لأبى قيس بن رفاعة، فى تاج العروس جـ٩ ص٥١ .

● ويقول في معنى "سـنة " فـي قولـه ــ تعـالى ــ: ﴿ لاَ تَأْخُـذُهُ سِنَةٌ﴾[1][2] : "وهي ما يتقدم النوم من الفتور، الذي يسمى النعاس ؛ قال ابـن الرقاع العاملي:

"وَسْنَانُ أَقْصده (أي: أصابه) النُّعاسُ فرنّقت في عينه سِـنةٌ ولـيس بنـائمِ"[3]"

● وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ﴾[4] يقول الخطيـب الشربيني[5]: " أي: يخاف المصير إليه. وقيل: يأمل رؤية ربـه . والرجـاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعًا؛ قال الشاعر:

"فلا كلّ ما ترجو من الخيـر كـائنٌ ولا كلّ ما ترجو من الشرّ واقـعُ"[6]

● كمـا قـال عنـد تفـسير قولـه ــ تعـالى ــ: ﴿ فَهُـمْ لَهَـا مَالِكُونَ﴾[7][8]:"أي: خلقناها لأجلهم ، فملكناهم إياها يتصرفون فيها تـصرف الملاك ، أو منهم لها ضابطون ماهرون ؛ ومنه قولهم:

---

1 – سورة البقرة: جزء من آية ٢٥٥.

2 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص ٢٦٤، ٢٦٥ .

3 – البيت من الكامل وهو لعدي بن الرقاع في لسان العرب مادة " ن ،ع ،س "، جـ٦ ص ٢٣٣ــ ط. دار صادر ، وشرح شواهد الكشاف وقال: (فرنقت في عينيـه سـنة) جـ٤ ص٥١٧ .

4 – سورة الكهف: جزء من آية ١١٠.

5 – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص٩٢، ٩٣.

6 –البيت من الطويل ،وهو بلا نسبة في تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ــ ط. دار المعرفةــ بيروت ــ لبنان ، ج٦ ص٧٧٠.

7 – سورة يس: جزء من آية ٧١.

8 – ينظر: السراج المنير جـ٦ ص١٣٩ .

" أصــبحتُ لا أحمــل الــسلاح ولا أملــكُ رأسَ البعيـــرِ إنْ نَفَـــرا[1]

والــذئبُ أخــشاه إنْ مــررْتُ بـــه وحدى وأخشَى الريــاحَ والمطَــرا "

والشاهد فى قوله: ولا أملك رأس البعير؛ أى: لا أضبطه؛ والمعنى: لـم تخلق الأنعام وحشية نافرة من بنى آدم لا يقدرون على ضبطها؛بل خلقناهـا مذللة".[2]

● وعند تفسيره لمعنى "الفطور" فى قوله ــ تعالى ــ: ﴿ هَلْ تَرَى مِـن فُطُورٍ ﴾[3] يقول الخطيب الشربينى[4]: " والفطور جمع فطر: وهـو الـشّق؛ يقال: فطره فانفطر، منه فطر ناب البعير كما يقال: شّق ومعناه: شّق اللحـم وطلع، قال المفسرون : الفطور: الصدوع والشقوق؛ قال القائل:

"صَــدَعْتَ القلــبَ ثُــمَّ ذرَأْتَ فيـــهِ هــواك فَلِــيمَ فالتَــأمَ الفطــورُ"[5] "

وهذه بعض نماذج من مواضع كثيرة يستشهد فيها الخطيب الشربينى بالشعر على تفسير معانى المفردات اللغويةفى الآيات القرآنية[6]

---

1 – البيتان من المنسرح، وهما للربيع بن ضبع الفزارى،وجـدت الأول فـى خزانـة الأدب جـ٧ ص٣٨٤،وفى لسان العرب مادة " ض م ن"، جـ١٣ ص ٢٥٩، والثانى بحثت عنه فلم أجده.

2 – ينظر: السراج المنير جـ٦ ص ١٣٣.

3 – سورة الملك: جزء من آية ٣.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٨ ص٢٩.

5 –البيت من الوافر ، وهو لعبيد الله بن مسعود فى لسان العرب جـ١ ص٨٠ (ذ ر ء) وتاج العروس جـ١ ص٢٣٣.

6 – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٥، ٧٣، ٩١، ١١١، ١٧٨، ١٩٥ ، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٤٣، ٢٨٧، ٢٨٨ ، ٣٤٣، ٤٦١، جـــــ٢ ص ٢٧٧، ٢٢٩، جــــــ٣ ص١٥٥،١٥٣، جـــــ٤ ص٩، ١٨، ١٤٠، ٢٣٠، ٣١٠، ٤٧٦، جــــــ٥ ص٨٠،٥٨،٤٦،٤٢، ٤٩، ٣٣، ٥٣، ٢٠٦، جـ٨ ص ٢٩ .

٤- توجيه القراءات:

ومن النماذج التي استدل فيها بالشعر على القراءات:

● عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾[1] يقول[2]: " وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بنصب الراء على الحال من القاعدين أو الاستثناء، والباقون بالرفع صفة للقاعدين ؛ لأنه لم يقصد به قوماً بأعيانهم ، بل أراد به الجنس؛ كما في قوله:

"ولقَدْ أمُرُّ على اللئيمِ يَسُبُّنِي" [3] ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾[4] يقول[5]: "وقرأ أبو عمرو بسكون الراء، وروى عن الدوري [6]اختلاس الضم وكسر الهمزة من "أنها" ابن كثير وأبو عمرو على الابتداء ، وقالا: تمّ الكلام عند قوله ــ تعالى ــ: "ومايشعركم" والباقون بالفتح ؛ فهي بمعنى لعل ؛ وهو شائع في كلام العرب: ائت السوق أنك تشترى لنا شيئا بمعنى لعلك، ومنه قول عديّ بن زيد:

---

1 - سورة النساء: جزء من آية ٩٥.

2 - ينظر: السراج المنير جــ١ ص٥٠٩.

3 -صدر بيت من الكامل ، وعجزه" فمضيت ثمّت قلت لا يعنيني" وهو لرجل من سلول في خزانة الأدب جــ١ ص٣٥٧ ، ومغنى اللبيب جــ١ ص١٠٢ ،ولسان العرب جــ١٢ ص٨١(ث م م).

4 - سورة الأنعام: جزء من آية ١٠٩.

5 - ينظر: السراج المنير جــ٢ ص١٤٨.

6 -هو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهباني بن عدي بن صهبان، ويقال صهيب، أبو عمر الدوري، الأزدي، البغدادي، النحوي، الدوري الضرير، إمام القراءة وشيخ الناس في زمانه ، ثقة، ثبت كبير ضابط، أول من جمع القراءات ، توفى في٢٤٦ هــ ؛ ينظر: طبقات القراء لابن الجزري جــ١ص٢٥٥.

"أعاذلُ ما يــدريكَ أنَّ منيَّتــي إلى ساعةٍ في اليومِ أو في ضُحَى الغَدِ"[1]"

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ إنه من يتق ويصبر فَإِنَّ اللَّــهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2] يقول[3]: " وقرأ قنبل بإثبات الياء بعد القاف وقفــا ووصلا، واختلف المعربون في ذلك على وجهين: أجودهما : أن إثبات حرف العلة في الجزم لغة لبعض العرب ؛ وأنشدوا عليه قول قيس بن زهير:

"ألــمْ يأتيــكَ والأنبــاءُ تَنْمِــي بمــا لاقَــتْ لبــون بنــي زيــادِ"[4]

وقول الآخر:

"هجَوْتُ زبَّــانَ ثُــمَّ جئــتُ معْتَــذِرا عنْ هَجْوِ زبَّانَ لَمْ تهجو ولم تَدَعِ"[5]

وقول الآخر:

"إن العجــوز غــضب فطلقنـــي ولا ترضـــاها ولا تلـــق"[6]"

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاء جَعَلَ لَــكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَــارُ وَيَجْعَــل لَّــكَ قُــصُورا ﴾[7] يقول[8]: " وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة برفع اللام من يجعل ؛ وفيه وجهان: أحدهما: مستأنف. والثاني: أنه معطوف على جواب الشرط ؛

---

[1] – البيت من الطويل ، وهو للمعلوط السعدي في تــاج العــروس(ف ند ، د) جـــ٨ ص٤٨١ ، ولسان العرب "ف ند ، د "جــ٣ ص٣٣٠ و"هــ ،ج ، م "جــ١٢ ص٦٠٢.

[2] – سورة يوسف: جزء من آية ٩٠.

[3] –ينظر: السراج المنير جــ٣ ص١٩٤ .

[4] – البيت من الوافر، وهو لقيس بن زهير في خزانة الأدب جــ٩ ص٥٢٤.

[5] – البيت من البسيط ، وهي لزبان ابن العلاء في تاج العروس جــ٣ ص٩.

[6] –لم أجده.

[7] – سورة الفرقان: جزء من آية ١٠.

[8] – ينظر: السراج المنير جــ٤ ص٤٤٤.

الشرط ؛ لأن الشرط إذا وقع ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع[1]؛ كقوله:

"وإنْ أتـــاه خليـــلٌ يـــومَ مـــسألةٍ يقولُ لا غائبٌ مـــالى ولا حَـــرِمُ"[2]"

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَــهِ مُوسَــى ﴾[3]
يقول[4]: "وقرأ حفص "فأطلع" بنصب العين ؛ وفيه ثلاثة أوجه أحدهما: أنــه جواب الأمر في قوله "ابن لي" فنصب بأن مضمرة بعد الفاء في جوابه علـــى قاعدة البصريين كقوله:

"يــا نــاقُ سـيرى عَنَقًــا فَــسِيحا إلـــى ســـليمانَ فنـــستريحا"[5]

وهذا موافق لمذهب البصريين ".

وهكذا يفعل الخطيب الشربيني في مواضع كثيرة ؛ إذ يستشهد بالـــشعر على توجيه القراءات[1].

---

1 –الصحيح عند علماء النحو أنه إذا وقع بعد جزاء الشرط فعل مضارع مقرون بالفـــاء أو الواو يجوز فيه ثلاثة أوجه : الجزم بالعطف على فعل الـشرط ،والنـصب بـــأن مضمرة بعد فاء السببية أو واو المعية ، والرفع على الاستئناف ؛ ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بـــن عقيـــل العقيلـــى الهمـــدانى المصرى المولود فى سنة ٦٩٨ هـــ والمتوفى ســـنة ٧٦٩ هـــــ ، ط. دار التـــراث ، القاهرة ١٤٠٠ هـــ ــ ١٩٨٠ م العشرون، باب:عوامل الجزم ،العطف على الجواب= =بالفاء أو الواو ، جـــ ٤ ص ٣٩ ، أما القاعدة التي استدل بها فتنطبق إذا كان الـــشرط ماضيًا والجواب مضارعًا ؛ ينظر: المصدر نفسه ، فصل جواز رفع الجـــواب جـــــ٤ ص٣٥ .

2 –البيت من البسيط ، لزهير بن أبي سلمى يمدح به هرم بن سنان في ديوانه، حرف الميم ص٩١ ــ ط .دار صادر ــ بيروت ١٣٨٤ هـــ ١٩٦٤ م .

3 – سورة غافر: جزء من آية ٣٧.

4 – ينظر: السراج المنير جـــ٦ ص٣١١.

5 –البيت من الرجز ، لأبى النجم العجلى فى شرح شذور الذهب ص٣٥٠ واللسان (ن، ف،ح) جـــ٣ ص٦٣ .

٥- بيان المعانى التى استخلصها من الآيات:

استند الخطيب الشربينى أيضا إلى الشعر فى المعانى التى يستخلصها من آيات القرآن الكريم ؛ ومثال ذلك:

● عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾[٢] يقول[٣]: " أى: فربما كرهت النفس ما هو أصلح فى الدين وأحمد وأدنى إلى الخير، وأحبت ما هو بضد ذلك ، وليكن نظركم ما هو أصلح للدين وأدنى إلى الخير؛ فلعل أن يرزقكم الله ــ تعالى ــ منهن ولدًا صالحًا أو يعطفكم الله عليهن . وقد بينت الآية إمساك المرأة مع الكراهة لها، ونبهت على معنيين:

أحدهما: أن الانسان لا يعلم وجوه الصلاح.

والثانى: أن الانسان لا يكاد يجد محبوبا ليس فيه ما يكره ؛ فليصبر على ما يكره لما يحب؛ وأنشدوا فى هذا المعنى:

"ومَنْ لَمْ يُغْمِضْ عينَه عَنْ صديقهِ وعَنْ بعضِ ما فيه يَمُتْ وَهْوَ عاتِبُ
ومَنْ يَتَتَبَّعْ جاهدا كُلَّ عَثْرَةٍ يَجِدْها ولَمْ يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرَ صاحِبُ"[٤]"

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** ﴾[٥] يقول[١]: " أى: لا يعامل معاملة المحب "الفرحين"

---

[1] – ينظر: السراج المنيرجـ ١ ص٣٦ ، جـ٢ص ٢٢٩ ،جـ٤ص١٥٤ ، ١٨١ ،جـ ٨ ص ١١٢ .

[2] – سورة النساء: جزء من آية ١٩.

[3] – ينظر: السراج المنير جـ١ ص٤٥٣.

[4] – البيتان من الطويل ذكر الاول منهما فى أساس البلاغة ص ٣٢٩ مادة(غ، م ، ض) والثانى لم أجده.

[5] – سورة القصص: جزء من آية ٧٦.

أى البطريين الأشريين الراسخين فى الفرح بما يعنى الذين لا يـشكرون الله ــ تعالى ــ بما أعطاهم ؛ فإن فرحهم يدل على سقوط الهمم ؛ كمـا قـال ــ تعالى: ﴿ **وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**﴾ {الحديد:٢٣ } وقال القائل فى ذلك:

"ولَسْتُ بِمِفْراحٍ إذا الدّهرُ سَرَّنى"(٢)

وقال آخر:

"أشَـدُّ الغَـمِّ عنـدى فـى سـرورٍ تـيقَّنَ عنْـه صـاحِبُهُ انتقـالا"(٣)

فلا يفرح بالدنيا إلا من رضى بها واطمأن، فأما من قلبه إلى الآخـرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب ــ لم تحدثه نفسه بالفرح ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَأَخْرَجْنَـا مِنْهَـا حَبًّـا فَمِنْـهُ يَأْكُلُونَ**﴾(٤) يقول(٥): " أى : من ذلك الحب ؛ فهو حب حقيقة تعلمـون ذلـك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، لا تقدرون تـدعون أن ذلـك خيـال سحرى بوجه من الوجوه. وفى هذه الآية وأمثالها حث عظـيم علـى تـدبر القرآن واستخراج ما فيه من المعانى الدالة علـى جـلال الله ــ تعـالى ــ وكماله، وقد أنشد هنا الأستاذ القشيرى فى تفسيره ــ وعيب على من أهمـل ذلك ــ:

"يا مَنْ تَصدَّر فى دست الإمامةِ فـى مـسائلِ الفقـهِ إمـلاءً وتدريـسًا

غَفَلْتَ عَنْ حُجَجِ التوحيـدِ تَحكُمهـا شيَّدتَ فرعًا وما مهدتَّ تأسيسًا"(١)"

---

1 – ينظر: السراج المنير جـ٥ ص١٧١.

2 – صدر بيت وعجزه: ولا جازِعٌ مِنْ صَرْفِهِ المتقلِّبِ: وهو لذى الرمـة فـى شـرح شواهد الكشاف جـ٤ ص ٣٣٩ وهو من الطويل ، ولم أجده فى ديوان ذى الرمة .

3 – البيت من الوافر ، وهو للمتنبى فى ديوانه حرف اللام جـ٣ ص٢٢٤ .

4 – سورة يس: جزء من آية ٣٣.

5 – ينظر: السراج المنير جـ٦ ص١٠٩.

تأسيـــــــــــــمنا"[1]"

• وعند انتهائه من تفسير قوله ــ تعالى ــ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ﴾[2] يقول[3]: " فلما شاهدنا حدوث هذه الأشياء الكثيرة فى تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة فى السعادة والشقاوة؛ علمنا أن الفاعل لذلك هو الله ــ تعالى ــ فصح بهذا البرهان العقلى القاطع صحة قوله ــ تعالى ــ: "الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر" قال الشاعر:

"فلا السعد يقضى به المشترى ولا النحس يقضى علينا زحل

ولكنه حكم رب السماء وقاضى القضاة تعالى وجل"[4]"

• وأيضا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[5] يقول[6]: " وهو إخراج جميع الحيوانات التى أكلتها الأرض وأفسدتها؛ يخرجها ــ سبحانه ــ فى الوقت الذى يريده على ما كان كل منها عليه عند الموت كما أخرج تلك الأرزاق، لا فرق بين هذا وذاك غير أنكم لا تتأملون ؛ فيا فوز من شكر، ويا هلاك من كفر، فعوّدوا أنفسكم بالخيرات لعلها تنقاد ؛ كما قيل:

---

1 – البيتان للقشيرى ؛ ينظر: تفسيرلطائف الإشارات، للإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن محمد القشيرى ،٣٧٦ــ٤٣٥ هــ ، تحقيق د/إبراهيم بسيونى ط .الهيئة العامة للكتاب الثانية ١٩٨١ م جــ٣ ص٢١٦، والبيتان من البسيط .

2 – سورة الزمر: جزء من آية ٥٢.

3 – ينظر: السراج المنير جــ٦ ص٢٦٩.

4 – البيتان ذكرهما الرازى فى التفسير الكبير بلا نسبة جــ ٢٦ ص٢٥١ .

5 – سورة الملك: جزء من آية ١٥.

6 – ينظر: السراج المنير جــ٨ ص٣٦.

"هِيَ النَّفْسُ ما عوَّدْتَها تَتَعوَّدُ" (١) " .

[1] -لم أجده وهو من الطويل .

سمات عامة لمنهجه في التفسير

من العلامات و الملامح البارزة لتفسير الخطيب الشربيني الآتي :

الدعاء عند انتهائه من تفسير بعض الآيات:

● فعند انتهائه من تفسير قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا**﴾[1] يقول[2]: " جعلنا الله ــ تعالى ــ وأحبابنا من أهل ولايته بمحمد ﷺ و آله وصحابته"

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ : ﴿ **الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ** ﴾[3] يقول[4]:" اللهم بجاه محمد ﷺ أن تجعلنا ووالدينا و أحبابنا من أهله ".

● وأيضاً عند انتهائه من تفسير قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[5] يقول[6]: " يقول مصنف هذا الكتاب: قد أفنيت نفسي في خدمة العلم، ومطالعة الكتب، ولا رجاء لي في شيء إلا أني في غاية الذلة والقصور، والكريم إذا قدر عفا، فأسألك يا أكرم الأكرمين و أرحم الراحمين وساتر عيوب المعيوبين أن تفيض سجال رحمتك عليّ و على والديّ وأولادي وإخواني وأحبابي، وأن تخصني و إياهم بالفضل و التجاوز و الجود و الكرم ".

---

1 – سورةالأنبياء: جزء من آية ٩٠.

2 – ينظر: السراج المنيرجـ٤ ص٣٧ .

3 – سورة المؤمنون:جزء من آية١١.

4 – ينظر: السراج المنيرجـ٤ ص٣٢٨.

5 – سورة هود: آية ٤.

6 – ينظر:السراج المنير جـ٣ ص٦٦.

الدعاء عند انتهائه من تفسير السورة:

- فعند انتهائه من تفسير سورة الروم يقول[1]: "وها أنـا أسـأل الله ــ تعالى ــ القريب المجيب أن يغفر ذنوب من كتب هذا ، وهو محمد الشربينى الخطيب، و يفعل ذلك بوالديه وأولاده ومشايخه وكل محب له وحبيب ".

- وأيضًا عند انتهائه من تفسير سورة الشعراء يقول[2]: " اللهم اجعلنـا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها " .

عنايته بالمواعظ:

كثيراً ما يتعرض الخطيب الشربينى للمواعظ و الرقـائق، و الترغيـب والترهيب ، ولعل ورعه وتقواه وزهده هو الدافع الذى جعلـه يعنـى بهـذه الناحية:

- فعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ** ﴾[3] يقول[4]: "قال محمد بن عمر الرازىّ فى تفسيره[5]: و الذى جربته مـن أول عمرى إلى آخره أنّ الإنسان كلما عوّل فى أمر من الأمور على غيـر الله ــ تعالى ــ صار ذلك سببًا للبلاء و المحنة و الشدة و الرزية، و إذا عوّل علـى الله ــ تعالى ــ ولم يرجع إلى أحد من الخلق حصل ذلـك المطلـوب علـى أحسن الوجوه ، فهذه التجربة قد استمرت من أوّل عمرى إلى هـذا الوقـت الذى بلغت إلى السابع و الخمسين ، فعند ذلك استقر قلبى على أنه لا مصلحة للإنسان فى التعويل على شيء سوى فضل الله ــ تعالى ــ و إحسانه".

---

1 – ينظر: السراج المنيرجـ٥ ص٢٥٧، ص٢٥٨.

2 – ينظر: السراج المنيرجـ٥ ص٦٣، ص٦٤.

3 – سورة يوسف: جزء من آية ٤٢.

4 – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص١٦١.

5 – ينظر :مفاتيح الغيب للرازى جـ١٨ ص١١٦.

● وعند انتهائه من تفسير سورة النحل يقول[1]:

" قال الرازى[2]: "فى آخر هذه السورة : يقول مصنف الكتاب: الحق عزيز، والطريق بعيد ، والمركب ضعيف ، و القُرب بُعـد ، و الوصـل هجـر، و الحقائق مصونة ، و المعالى فى غيب الغيب مكنونة ، و الأسرار فيما وراء أقفال الغرة مخزونة ، و بيد الخلق القيل و القال ، و الكمال لـيس إلا لله ــ تعالى ــ ذى الإكرام و الإجلال" ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ** ﴾[3] يقول [4]: "و أما المؤمن إذا ابتلى ببليـة أو محنـة، وجب عليه رعاية أمور:

أولها: أن يكون راضيًا بقضاء الله ــ تعالى ــ غير معترض بالقلـب و اللسان عليه ، وإنما وجب عليه ذلك ؛ لأنه ــ تعالى ــ مالك على الإطـلاق ، وملك بالاستحقاق ، فله أن يفعل فى ملكه ماشاء ، و لأنه ــ تعالى ــ مالـك على الإطلاق، وهو منزه عن فعل العبث ؛ فكل مـا فعلـه فهـو حكمـة و صواب، فيجب عليه الصبر و ترك القلق ، فإن أبقى عليه تلك المحنـة فهـو عدل ، وإن أزالها عنه فهو فضل.

وثانيها: أنه فى ذلك الوقت إن اشتغل بذكر الله ــ تعـالى ــ والثنـاء عليه بدلاً من الدعاء، كان أفضل لقولهﷺ حكاية عن الله ــ تعالى ــ : (مـن شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفـضل مـا أعطـى الـسائلين)[5] و لأن

---

[1] – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص ٣٩٣ .

[2] – ينظر: مفاتيح الغيب للرازى جـ٢٠ ص١١٥.

[3] – سورة يونس: جزء من آية ١٢.

[4] – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص١٤.

[5] –أخرجه الترمذى فى سننه جـ٥ ص٢٩ــ كتاب: فضائل القرآن ، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبى ﷺ ح ٢٩٢٦ ، وقال أبو عيسى : هذا حـديث حـسن غريـب =

الاشتغال بالذكر اشتغال بالحق ، والاشتغال بالدعاء اشتغال بطلب حظ النفس، و لا شك أن الأول أفضل.

وثالثها: أنه ــ تعالى ــ إذا أزال عنه تلك البلية وجب عليه أن يبالغ في الشكر، وأن لا يخلو عن ذلك الذكر في السراء و الضراء، و أحوال الشدة و الرخاء، فهذا هو الطريق الصحيح عند نزول البلاء، و حينئذ يكون المؤمن على الضد من الكافر؛ لأن الكافر منهمك في الشهوات، و الإعراض عن العبادات ".

عنايته بأقوال الصوفية:

الخطيب الشربيني لا يفسر الآيات تفسيرًا إشاريًا بمثل الفلسفة الصوفية، إلا أنه يستطرد أثناء التفسير إلى مواعظ و حكم الصوفية:

● ومثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ** ﴾[1]يقول[2]: " تنبيه: اختلف الناس كيف صار الإقبال على الطاعات سببًا لزوال ضيق القلب والحزن فقال العارفون المحققون: إذا اشتغل الإنسان بهذه الأنواع من العبادات يتنوّر باطنه و يشرق عليه ،وينفسح وينشرح صدره ؛ فعند ذلك يعرف قدر الدنيا و حقارتها ؛ فلا يلتفت إليها ".

● و أيضًا عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ : ﴿ **لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ** ﴾[3] يقول[4]: "لأن قيامهم بعد نومهم يتقلبون نيفاً و ثلاثمائة سنة مثل من

=وأخرجه الدارمي في ــ كتاب: فضائل القرآن، باب:فضل كلام الله على سائر الكلام جـ٢ ص٣١٣ ح ٣٣٥٦ وقال محققه: إسناده ضعيف .

[1] – سورة الحجر: آية ٩٨.

[2] – ينظر: السراج المنير جـ٣ ص٣١٢.

[3] – سورة الكهف: جزء من آية ٢١.

[4] – ينظر: السراج المنير جـ٤ ص٢٠.

مات ثم بعث ؛ قال بعض العارفين: علامة اليقظة بعد النوم علامة البعث بعد الموت ".

● وعند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **فلما حضروه قالوا أنصتوا** ﴾[1] يقول[2]:أي:اسكتوا ، وميلوا بكلياتكم ، واستمعوا ؛ حفظاً للأدب على بساط الخدمة وفيه تأدب مع العلم في تعلمه .قال القشيري[3]:فأهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار"

الإحالة علي ماسبق:

● فعند انتهائه من تفسير الآية ١٦٠من سورة الأعراف يقول[4]: " وقد سبق تفسير هذه الآية في سورة البقرة ".

● وعند تفسيره لسورة النحل يحيل تفسير الآية ١١٥على تفسيرها في سورة البقرة ؛ فيقول[5]: " وقد تقدم تفسير قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[6] في سورة البقرة فلا إفادة في تفسير ذلك ".

---

1 – سورة الأحقاف: الآية ٢٩.

2 – ينظر: السراج المنير جــ٧ ص٢٧.

3 –هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري القشيري ، أبو القاسم ، زين الإسلام ، عالم بالفقه والتفسير والحديث والأصول وعلم التصوف ، من كتبه: التيسير في التفسير وهو تفسير كبير ،ولطائف الإشارات وهو تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم ، توفي بنيسابور وما زال قبره قائماً بها يزوره الناس للتبرك ؛ معجم المفسرين لعادل نويهض جــ١ ص٢٩٩ ، ٣٠٠ .

4 – ينظر: السراج المنيرجــ٣ ص٢٧٢.

5 – ينظر: السراج المنير جــ٣ ص٣٨٤ .

6 – سورة النحل : آية ١١٥.

● وأيضًا عند تفسيره لسورة الكهف يحيل تفسير (الحمد) في أولها على ماذكره في سورة الفاتحة ؛ فيقول[1]: ﴿الحمد لله﴾[2] تقدم الكلام عليه مستقصى في أول الفاتحة ".

---

1 - ينظر : السراج المنير جـ٤ ص٥.

2 - سورة الكهف: جزء من آية ١.

نتائج البحث

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد،،

فقد انتهيت بفضل الله وحمده من البحث الذى تناولت فيه منهج الخطيب الشربينى فى تفسيره السراج المنير، وأشكر لله ﷻ أن كان بحثى فى التفسير، أشرف العلوم، إذ كنت أحاول أن أقف على بعض من أسراره الكثيرة التى يعجز المرء أن يلم بجزء منها لو أمضى عمره يستخرجها.

وقد برزت لى من خلال دراستى لموضوع البحث عدة نتائج وهى:

١- نبوغ الخطيب الشربينى العلمى وتفوقه فى الإفتاء والتدريس.

٢- جمع الخطيب الشربينى بين العلم والعمل فعرف بالورع والزهد وكثرة العبادة.

٣- سعة إطلاعه على العلوم الشرعية ويتضح ذلك من عرضه للسنة وأقوال الصحابة والتابعين، وعرضه لأقوال المفسرين والفقهاء.

٤- درايته الواسعة بعلوم اللغة العربية ويتجلى ذلك فى تعدد المعانى اللغوية التى يذكرها موضحًا بها مفردات القرآن، ووجوه الإعراب الدقيقة، التى يحمل عليها المعانى القرآنية ويوجه بها القراءات المتواترة، وعنايته الفائقة ببيان الأسرار البلاغية ودقته فى تلخيص هذه المعانى.

٥- تفسيره يجمع بين المأثور والرأى، وطريقته فى التفسير هى الغالبة على مؤلفات من سبقوه من المفسرين، وقد حاول الاستفادة من جل التفاسير فأتى تفسيره مفيدًا ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل،

سهل الاسلوب، واضح المعانى.

٦- ميله لمذهبه الشافعىّ.

٧- يبدأ تفسير كل سورة ببيان سر إطلاق اسمها العلم عليها واذا كان للسورة أسماء متعددة فقد يتعرض لبيان سبب إطلاقها على السورة كذلك.

٨- يتناول تأويل البسملة فى كل سورة تفسيرًا يتناسب و روح السورة ومقصدها وموضوعها.

٩- عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة وعرضه لأراء الفرق المختلفة من المعتزلة والمشبهة والقدرية وغيرهم ودقة مناقشاته لآرائهم وانتصاره لمذهب أهل السنة والجماعة.

١٠- تحريه الصحة فيما ينقل من أسباب النزول.

١١- تحريه الصحة فيما يستدل به من الأحاديث النبوية فيقتصر على الصحيح والحسن، وينبه على غيرهما.

١٢- اقتصاره على القراءات السبع المشهورة وعنايته الفائقة بكيفية الأداء الصوتى لها وتوجيهها إلى المعانى القرآنية.

١٣- تحريه الصحة فيما ينقل من آراء واعتداله فى نقده آراء العلماء مستندًا فى نقده إلى أدلة صحيحة.

١٤- دقته البالغة فى استخلاص المناسبات بين السور والآيات.

١٥- قلة اهتمامه بالتفسير العلمى للأيات القرآنية.

١٦- كثرة ما نقله من الاسرائيليات التى لم يتناولها بتضعيف أو تصحيح، خاصة فى القصص الذى غلب على تفسيره.

١٧- دفاعه عن عصمة الأنبياء وإبطال الروايات التى تخل بها.

١٨- تأثره الواضح بطريقة الفخر الرازى الكبير مفاتيح الغيب فنقل عنه الكثير فى مختلف مباحث التفسير.

١٩- يلتقي مع المهايميّ والبقاعي في عنايتهما بـــ:

- المناسبات والصلات بين الآيات.
- تفسير البسملة تفسيرًا مختلفًا في كل سورة عن الأخرى.
- إبراز حكمة تسمية السور بما سميت به.

ويلتقي مع القاضي زكريا في تتبعه بالأحاديث الموضـــوعة التـــي ذكرها القاضي البيضاوي تبعا للزمخشري في نهاية كل ســـورة فـــي فضائل السور.

٢٠- عنايته الفائقة بالشعر العربي فنجده يكثر من الإستـــشهاد بـــه علـــى المعاني القرآنية.

٢١- كثرة مصادر الخطيب الشربيني في تفسيره تبيّن لنا مدى الجهد الذي بذله في جمع هذا التفسير وإخراجه، فالمطالع له يشعر أنه في سياحة ممتعة مفيدة بين مختلف مباحث التفسير، ويجد نفـــسه مطلعًـــا علـــى مختلف العلوم الشرعية وبين ألـــوان التفـــسير بالمـــأثور والـــرأي، والتحليلي والموضوعي.

٢٢- بالتتبع والدراسة لتفسيره اتضح أنه ليس مجرد ناقل وملخص بل هـــو ناقد مدقق، وكان هذا واضحًا في موقفه من الأقـــوال والآراء التـــي أخذها عن مصادره المختلفة، حيث ظهرت براعته في عرض الآراء ودقة تلخيصها ونقـــدها، فلـــم يغتـــر بالاعتزاليـــات التـــي أوردهـــا الزمخشري في تفسيره بل فندها وردّ عليها كما تتبع الأحاديث التـــي ذكرها البيضاوي تبعا للزمخشري في نهاية كل سورة فـــي فـــضلها وبيّن أنها موضوعة باتفاق أهل العلم.

٢٣- يهتم بالمنهج الموضوعي الذي يجمع بين الآيات التي تتعلق بموضـوع واحد وبيان ما بينها من اتفاق واختلاف.

٢٤- يهتم ببيان المشكل وإزالة ما يتوهم من خلاف ظاهر.

٢٦- يختتم بعض الآيات القرآنية بالدعاء.

٢٧- اختتم التفسير جميعه بقوله: وهذا آخر ما يسره الله تعالى من السراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبيـــر فدونك تفسيرًا كأنه سبيكة عسجد، أو در منضد، ثم أكـــد باختـــصار على منهجه الذى عرضه فى بداية التفسير ثم أطال الدعاء ثم اختـــتم قائلا: قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وكان الفراغ من تأليفـــه يـــوم الإثنين المبارك، ثالث عشر صفر الخير، من شهور سنة ثمان وستين وتسعمائة من الهجرة النبويّة على صاحبها أفضل الـــصلاة والـــسلام، على يد مؤلفه فقير رحمة ربه القريب محمد بـــن أحمـــد الـــشربينى الخطيب غفر الله تعالى له ذنوبـــه، وســـتر فـــى الـــدارين عيوبـــه والمسلمين، والحمد لله ربّ العالمين، وصلاة الله وسلامه على ســـيدنا محمد خاتم النبيين، والمرسلين والصحابة أجمعين، وتابعيهم بإحـــسان إلى يوم الدين"[1]

٢٨ لم يف بما اشترطه على نفسه فى اقتصاره على الصحيح والحسن من الأحاديث والآثار؛ إذ استدل بأحاديث ضعيفة ولم ينبه عليها وأخـــرى لم أعثر عليها فى كتب الحديث التى نسبها إليها ولا فيما وقفت عليـــه من كتب الحديث وكذا التفاسير.

٢٩ لم يكن دقيقًا فيما نسبه من بعـــض الأقـــوال لغيـــره مـــن العلمـــاء؛ فبالاضطلاع على هذه الأقوال فى مصادرها الأصلية وجدت بعـــضها مختلفا عما ذكره الخطيب الشربينى، والقليل لم أعثر عليه فى كتـــب من نسبه إليها ولعله نقله عن غيرهم من العلماء الذين نسبوه إليهم.

---

1 - السراج المنير: جـــ٨ ص٤٧٩: ص٤٨١ بتصرف.

وعلى الجملة.... فقد جاء تفسيره سهل العبارة، واضح المعاني، مفيدًا، بعيدًا عن خلط التفسير بما لا يتصل به، غير مسرف فيما يتناوله من النواحي العلمية، وأراه مرجعًا مهمًا يعتمد عليه كل طالب علم.

وبعرضي لهذه النتائج أكون قد أتممت بفضل الله رسالتي، ولعلي بتوفيق من الله عز وجل أكون قد قاربت الصواب فيما قمت به من بحثه، وقد حاولت بذل طاقتي منها وما وسعني الجهد راجية من الله عز وجل التوفيق، فإن أصبت فذلك ما أرجوه، وإن تكن الأخرى فما هو إلا جهد باحثة متطلعة إلى الكمال، والكمال لله وحده.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله؛ وصلى الله تعالى على سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه ومن سار على نهجهم من العلماء العاملين الذين قضوا حياتهم المباركة في تفسير القرآن.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

م	الآيـــــــــــــة	رقمها في السورة	رقم الصفحة
	❖ <u>ســـــورة الفاتحـــة</u>		
١	﴿ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾	١	24 32
٢	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	32
٣	﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾	٦	
	❖ <u>ســـــورة البقـــرة</u>		38
١	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾	٢	43
٢	﴿ أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ ...﴾	٥	43 49
٣	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ ...﴾	٦	52
٤	﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾	١٢	81 87
٥	﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ ...﴾	١٤	142
٦	﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ من رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾	٣٧	102 102
٧	﴿ وَالَّذِين كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ...﴾	٣٩	124
٨	﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً .....﴾	٤٨	134 176
٩	﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾	٥٩	178
١٠	﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب ...﴾	٦٠	181 186
١١	﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ...﴾	٩٤	220
١٢	﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا...﴾	١٠٦	٢١٥
١٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً. ..﴾	١٦٨	٥١
١٤	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ...﴾	١٧٣	٥١
١٥	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ...﴾	١٨٠	
١٦	﴿ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً...﴾	١٨٤	٨٠
١٧	﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ...﴾	٢١٥	٥٧
١٨	﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٢٧	٢٨٦
١٩	﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ ﴾	٢٢٨	٢٥٩
20			

	﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	٤	١٧١
١	﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ... ﴾	١٠٢	٣٣٢
	❖ سـورة إبراهيـم		
١	﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾	١٤	٥٢
٢	❖ سـورة الحجـر		١٨٤
٣	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ... ﴾	٢٦	٣٣٣
	﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾	٤٠	٢٣٧
١	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾	٩٨	
٢	❖ سـورة النحـل		١٢٧
٣	﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ.. ﴾	٤٤	٢٨٠
٤	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم...﴾	٨٠	٢٦٥
	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ ...﴾	١١٥	
١	﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ...﴾	١٢٦	١٨٩
	❖ سـورة الكهـف		
١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ...﴾	١	٢٩٧
٢	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى... ﴾	١٢	١٢٢
٣	﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً...﴾	٤٧	
	❖ سـورة مريـم		١٧٥
١	﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا...﴾	٦٤	
	❖ سـورة طـه		١٥٢
١	﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾	٣٢	٧٣
٢	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ...﴾	١١٦	
	❖ سـورة الأنبيـاء		١٥٤
١	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي... ﴾	٢٥	٢٦٧
٢	❖ سـورة الحـج		
	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ...﴾	١	٢٩٧
١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا...﴾	٧٧	٣٠١
٢	❖ سـورة المؤمنـون		٣٠١
	﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾	٩٩	٣١٤

١	﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	١٠٢	٣٠٩
٢	❖ ســـورة الشعـــراء		٣٠٨
٣	﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ...﴾	١٣	٣٠٨
٤	﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي...﴾	٢١	٣٠٨
٥	﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ...﴾	٢٢	
٦	﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾	٧٩	٢٠١
٧	﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾	١٩٥	
٨	﴿ وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾	٢٢٤	١٩٩
٩	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾	٢٢٥	
	﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾	٢٢٦	١٢١
١	❖ ســـورة القـصص		١٢١
٢	﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن...﴾	٥٦	
	❖ ســـورة العنكبـــوت		١٥٦
١	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ...﴾	٨	١٥٤
٢	❖ ســـورة لقمـــان		١٥٤
	﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾	٢	
١	﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾	٣	٢٢٨
٢	❖ ســـورة السجـــدة		
٣	﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ ...﴾	٥	١٥٢
	﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى ...﴾	١١	
١	﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ ...﴾	١٢	١٥٢
	❖ ســـورة الأحـزاب		
١	﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ...﴾	٤٨	٢٩٣
٢	❖ ســـورة ســـبأ		١٥٦
	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ...﴾	١	
	❖ ســـورة فـــاطر		٤٩
١	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ... ﴾	١	١٩١
٢	❖ ســـورة يـــس		
	﴿ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾	٢	٢٩٨

١	﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٨٣	
٢	❖ سورة الزمر		٣٠٩
	﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ...﴾	٤٢	
١	﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ...﴾	٥٣	٣٣٣
	❖ سورة غافر		٢٦٤
١	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾	٥٨	
٢	❖ سورة الزخرف		١٥٤
٣	﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾	٣	٢٦٤
٤	❖ سورة الأحقاف		
	﴿فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾	٢٩	١٥٧
١	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾	٣٣	
٢	❖ سورة محمد		١٢٤
	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾	١	١٢٣
١	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا...﴾	٢	١٧١
	❖ سورة النجم		
١	﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾	١	١٠٣
٢	❖ سورة الرحمن		٢٠١
٣	﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾	٢	
	﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾	١٤	١٥٣
١	﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	٧٨	
٢	❖ سورة الواقعة		٥٠
	﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾	١	
١	﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾	٨٢	١٥٣
	❖ سورة الحديد		٥٢
١	﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ...﴾	١	
	❖ سورة المجادلة		٣١٠
١	﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾	٣	
٢	❖ سورة الحشر		٢٢٨
	﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ...﴾	١	٢٢٨

١	﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾	١	١٥٣
	❖ ســـــورة الزلزلـــــة		٣٠٠
١	﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾	١	٣٠٠
	❖ ســـــورة العاديـــــات		
١	﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾	٦	٢٧٩
٢	❖ ســـــورة القـــارعة		
٣	﴿ الْقَارِعَةُ﴾	١	٥٦
	﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾	٨	
١	﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾	٩	١٥٥
	❖ ســـــورة الهمـــزة		١٥٥
١	﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴾	٢	١٩٦
	❖ ســـــورة الكوثـــر		
١	﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾	١	٣٠٧
٢	❖ ســـــورة النصـــر		٣٠٧
	﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾	١	
١	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾	٣	
	❖ ســـــورة الفلـــق		
١	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾	١	
٢	❖ ســـــورة النـــاس		
	﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾	٤	
	﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾	٥	
	❖		

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام



فهرس الأبيات الشعرية

م	الشعر	صفحة
1	أبَا أبَا خُرَ أبَا خُرَاشَةَ أمَّا أنْتَ ذَا نفر فإنَّ قَومى لَمْ تأكُلْهُمُ الضَّبُعُ	٣١٣
٢	أخوالحرب إنْ عَضَّتْ به الحربُ عَضَّهاوإنْ شَمَّرتْ عن ساقهاالحربُ شَمَّر	٣١٨
٣	إذا ما مَشَتْ وَسْطَ النساء تأوَّدتْ كما اهتزَّ غُصنٌ ناعم النَّبت يانعُ	٣١١
٤	أشدُّ الغمِّ عندى فى سرور تيقَّنَ عنْه صاحبُهُ انتقالا	٣٢٦
٥	أصبحتُ لا أحمل السلاح ولا أملكُ رأسَ البعير إنْ نفرا	٣٢١
٦	إلى الملك القَرْمِ وابن الهُمَام ولَيْث الكتيبة فى المُزْدَحَم	٣١٤
٧	إنَّ الخليفةَ إنَّ اللهَ سَرْبَلَهُ سِرْبال مُلْك به تُرجَى الخواتيمُ	٣١٧
٨	إنَّ الرجالَ لَهُمْ إليك وَسيلةٌ إنْ يأخذوكِ تكحَّلى وتخضَّبى	٣١٠
٩	إن العجوز غضبى فطلقنى ولا ترضاها ولا تلق	٣٢٣
١٠	إنَّ دهرًا يَلُفُّ شَمْلى بجملٍ لزمانٌ يهمّ بالإحسان	٣١٦
١١	تخوّف الرحل منها تامكا قردًا كما تخوّف عودَ النَّبعة السَّفَن	٢٧٧
١٢	تسقينى ماءَ الملامِ فإنَّنى صَبٌّ قَدْ استعذبتُ ماءَ بُكائى	٣١٥
١٣	تمنّى كتابَ الله أوّلَ ليله تمنّى داودَ الزَّبُورَ على رِسْلِ	٣٩
١٤	دَعوتَ لما نالنى مسورًا فلبّى فلبّى يدىْ مسور	٣١٤
١٥	راشوا جَناحى ثُمَّ بَلُّوه بالنَّدى فلَمْ أستطعْ منْ حُبِّهمْ أنْ أطيرا	٣١٦
١٦	السلم تأخذ ما رضيت به والحرب تكفيك أنفاسها جزع	٣١٣
١٧	صدَعتَ القلبَ ثمّ ذرَأت فيه هواك فَليمَ فالتأمَ الفطورُ	٣٢١
١٨	عَجبْتُ منْ نفسى ومنْ إشفاقها ومن طرَادى الطيرعَنْ أرزاقها	٣١٨
١٩	غفلْتَ عَنْ حُجَجِ التوحيد تُحكِمُها شيَّدتَ فرعًا وما مهدتَ تأسيسًا	٣٢٧
٢٠	غَمْرُ الرداء إذا تبسّم ضاحكًا غلقتْ لضحكته رقاب المال	٢٩٥
٢١	فَجَاءُوا يُهرَعُون إليه حتى يكونوا حولَ منبره عزينا	٣١٠
٢٢	فصدَقْتها وكذَبْتُها والمرءُ ينفعُهُ كذابُهْ	١٧٧
٢٣	فلا السعد يقضى به المشترى ولا النحس يقضى علينا زحل	٣٢٧
٢٤	فلا كلّ ما ترجو من الخير كائنٌ ولا كلّ ما ترجو من الشّرّ واقعُ	٣٢٠
٢٥	فمَنْ يَلْقَ فى بعض القُرَيَات رَحلَهُ فأمُّ القرى مُلْقَى رحالى ومُنْتابى	٣٤
٢٦	فى سنَةٍ قدْ كشَفتْ عن ساقها حمراء تبْرى اللحمَ عن عرقاها	٣١٨

٢٧	قد استوى بشر على العراق مِنْ غيرِ سيفٍ ودمٍ مهراقِ	٣١٩
٢٨	قَدْ شمَّرَتْ عن ساقها فشدوا وجدَّت الحربُ بِكُمْ فجدّوا	٣١٨
٢٩	لقد نطق المأمونُ بالصِّدق والهُدَى وبَيّنَ للآلام دينًا ومَنْهَجَا	٣١٠
٣٠	لِيَ الشَّطرُ الذى ملَكتْ يمينى ودونك فاعتجرْ منهُ بشطرِ	٢٩٦
٣١	هجَوتَ زبَّانَ ثُمَّ جئتَ معتَذرا عنْ هَجْوِ زبَّانَ لَمْ تهجو ولم تدعْ	٣٢٣
٣٢	والذئبُ أخشاه إنْ مررْتُ به وحدى وأخشى الرياحَ والمطرا	٣٢١
٣٣	وإنْ أتاه خليلٌ يومَ مسألةٍ يقولُ لا غائبٌ مالى ولا حَرِمُ	٣٢٤
٣٤	ولكنه حكم رب السماء وقاضى القضاة تعالى وجل	٣٢٧
٣٥	ومَنْ لَمْ يُغمِضْ عينَه عَنْ صديقه وعَنْ بعضِ ما فيه يَمُتْ وَهْوَ عاتبُ	٣٢٦
٣٦	ومَنْ يَتَتَبَّعْ جاهدا كلَّ عَثْرَةٍ يَجِدْها ولَمْ يَسلَمْ لَهُ الدَّهرَ صاحبُ	٣٢٦
٣٧	يا عَيْنُ هلاَّ بكيتِ أَرْبَدَ إِذْ قُمْنَا وقامَ الخُصُومُ فى كَبَدِ	٣١١
٣٨	يا مَنْ تَصدَّرَ فى دست الإمامةِ فى مسائلِ الفقه إملاءً تدريسًا	٣٢٧
٣٩	يا ناقُ سيرى عَنَقًا فَسيحا إلى سليمانَ فنستريحا	٣٢٥
٤٠	يُرَجَّى المرء ما إنْ لا يَراه وتَعْرِضُ دُون أدْناه الخُطوبُ	٣٣
٤١	يريدُ الرُمحُ صدْرَ أبى بَرَاءٍ ويَعْدِلُ عَنْ دماءِ بنى عقيل	٣١٦
٤٢	يُنازِعُنى ردائى عَبْدُ عَمْرٍو رويدك أخا عمرو بنِ بكرٍ	٢٩٥

فهرس أنصاف الأبيات الشعرية

فهرس المراجع

١ــ القرآن الكريم.

٢ــ ابن جرير الطبرى ومنهجه فى التفسير للدكتور محمد بكر إسماعيل، ط. دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع.

3ــ اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومي- ط. مكتبة الراشد الرياض- الرابعة ١٤٢٣هــ - ٢٠٠٢ م.

5ــ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ط. دار التراث.

6ــ أحكام القرآن لأبى بكر محمد بــن عبــدا لله المعــروف بــابن العربــي ٤٦٨ــ٥٤٣ هــ راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد عبدا لقــادر عطا ، طبعة دار الفكر.

7ــ أساس البلاغــة للزمخــشرى ط دار صــادر ،بيــروت ،١٣٤٤هــــ ــ١٩٧٩م.

8ــ أسباب النزول الإمام أبى الحسن على بن أحمــد الواحــدى النيــسابورى المتوفى (٤٦٨ هــ ــ ١٠٧٦ م) ، تعليق وتخريج الدكتور مــصطفى ديــب البغا ، ط. دار ابن كثير، دمشق ــ بيروت ،الثالثة ، ١٤١٧هــ ــ١٩٩٧ م.

9ــ أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ، ط .دار الشعب ١٩٧٠ م.

10ــ أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمــد بــن المختار الحكبى الشنقيطى المتوفى سنة ١٣٩٣ هــ ، ط. دار الفكر بيــروت ــ لبنان ١٤١٥ هــ ت١٩٩٥ م.

11ــ أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمــد بــن المختار الحكبى الشنقيطى المتوفى سنة ١٣٩٣ هــ ، ط. دار الفكر بيــروت 12ــ لبنان ١٤١٥ هــ ت١٩٩٥ م.

13ــ الاتقان فى علوم القرآن للشيخ الامام العلامة أبى الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن أبى بكر السيوطى ط. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

14ــ الأستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، تحقيق :على البجــاوى ط. دار الجيل بيروت ١٩٩٢ م.

15ـــ الإسرائيليات فى التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبى أســتاذ علوم القرآن والحديث بالأزهر ، المتوفى ســنة١٩٧٧م ، ط.مكتبــة وهبــة القاهرة ، الطبعة الرابعة سنة١٤١١هـــ-سنة١٩٩٠م .

16ــ الأعلام لخيرالدين الزركلى، ط. دار العلم للملايين بيروت ــ لبنــان ، الرابعة ١٩٧٩.

17ــ الأغانى للأصفهانى لعلى بن الحسين محمدالقرشــي ٢٨٤ ــ٣٥٦ هـــ ،ط. دار الشعب تحقيق: إبراهيم.

18ــ البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلــسى المتــوفى سنة ٧٤٥ هــ ، قرظه : د. عبد الحي الفرماوى ، ط. دار الكتــب العلميــة بيروت ــ لبنان ١٤١٣ هــ ــ ١٩٩٤ م

19ــ البداية والنهاية للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير ،ط .دار التقــوى ــ القاهرة.

ــ البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبــد الله الزركــشى، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط . دار الجيل بيــروت ، ١٤٠٨ هــــ – ١٩٨٨.

20ــ التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنــشر والتوزيع تونس.

21ــ التعريفات للجرجانى على بن محمد بن على ٧٤٠ ــ٨١٦ هــ ،حققــه وقدّم له ووضع فهارسه إبراهيم الإبيارى، ط دار الريان للتراث.

22ــ التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الــذهبى، ط.مكتبــة وهبــة، القاهرة، السادسة ١٤١٦ هــ - ١٩٩٥م.

٢٣ـ التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ، ط .دار الفكر بيـروت ، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ م.

٢٤ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط. دار الحديث القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٥ـ الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة لعلى باشا مبارك ط دار الكتب والوثائق القومية ،الثانية ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م

٢٦ـ الدخيل في التفسير للدكتور عبد الوهاب فايد ، ط.المطبعة الأميرية مصر.

٢٧ـ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للإمام الشيخ الخطيب الشربيني، خرج أحاديثه وعلق عليه أحمد عزّو الدمشقي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان الأولى، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤م.

٢٨ـ السيرة النبوية لأبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى المعروفة بسيرة ابن هشام ط. المكتبة القيمة،القاهرة.

٢٩ـ السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور سورة الإخلاص جـ٦ ص٧٠٧ ط دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٤هـ ـ١٤٢٤م الثانية.

٣٠ـ الضعفاء الكبير للحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلى المكى ، حققه ووثقه: د. عبد المعطى أمين قلعجى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م الأولى.

٣١ـ الفائق في غريب الحديث للزمخشرى، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،الأولى١٤١٧ هـ ـ١٩٩٦ م.

٣٢ـ القاموس المحيط للفيروز آبادى، ط.دار إحياء التراث العربى، الأولى١٤١٢هـ ـ١٩٩١م.

٣٣ـ القرآن العظيم للحافظ ابن كثير المتوفى ٧٧٤هـ ط دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابى الحلبى.
٣٤ـ الكامل للإمام أبى العباس محمد بن يزيد المبرّد ٢١٠ ـ٢٨٥ هـ،تحقيق أحمد الدالى مؤسسة الرسالة بيروت ،الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.
٣٥ـ الكتاب المصنف فى الأحاديث والآثار للإمام الحافظ أبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبة الكوفى العبسى المتوفى ٢٣٥ هـ ضبطه وصححه ورقمه محمد عبد السلام شاهين ، ط. دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م الثانية.
٣٦ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخورزمى ٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ ، وبآخره "تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات " للعالم المدقق محب الدين أفندى ، ط. دار الفكر ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م الأولى.
٣٧ـ اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى ٩١١ طبعة دار المعرفة. بيروت ـ لبنان .
٣٨ـ اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل ـ ط .دار صادر بيروت، لبنان ، الأولى.
٣٩ـ المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جني، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة .
٤٠ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ولد سنة ٤٨١ هـ وتوفى سنة ٥٤١ هـ ، ط. دار ابن حزم بيروت ـ لبنان ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.
٤٥ـ المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبى عبدا لله محمد بن عبدا لله الحاكم النيسابورى مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوى فى فيض القدير وغيرهم من العلماء الأجلاء ،

تحقيق :مصطفى عبد القادر عطا ، ط.دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ١٤٢٢ هــ ٢٠٠٢ م الثانية.

ــ المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ١٦٤ ــ ٢٤١ هــ، شرحه وصنع فهارسه أحمد محمد شاكر ،ط.دار الحديث ــ القاهرة ١٢٢٦ هــ ــ ٢٠٠٥م.

٤٦ــ المصباح المنير لأحمد بن محمد على المقري الفيومي المتوفى سنة٧٧٠هــ المطبعة الأميرية مصر ، الطبعة الثانية ١٩٠٩م وط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٧ــ المصنف للحافظ الكبير أبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى ومعه كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدى رواية الإمام عبد الرزاق الصنعانى ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمى ، ط.المكتب الإسلامي ــ لبنان ١٤٠٣ هــ ــ ١٩٨٣ م الثانية.

٤٨ــ المعجم الأوسط للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى ٢٦٠ ت ٣٦٠ هــ ، تحقيق : صالح شعبان وسيد أحمد إسماعيل ، ط. دار الحديث القاهرة ١٤١٧ هــ ــ ١٩٩٦ م.

٤٩ــ المعجم الكبير للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى ٢٦٠ ــ ٣٦٠هــ ، حققه وخرّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، الثانية.

٥٠ــ المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، إعداد الدكتور إميل بديع يعقوب، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٧ه، ١٩٩٦ م.

٥١ــ المنتخب في القرآن الكريم، لجنة القرآن والسنة ، ط .المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٥٢ــ المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية للملا على بن سلطان محمد القارى وبهامشها شرح شيخ الإسلام أبى يحيى زكريا الأنصاري على المقدمة الجزرية لأبى الخير محمد الجزري ، ط. شركة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٧ هــ ــ ١٩٤٨ م.

٥٣ــ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة،إشراف وتخطيط ومراجعة : د.مانع بن حماد الجهنــي ــ ط . دار النــدوة العالميــة للطباعة والنشر والتوزيع ــ الرياض ، الثالثة ١٤١٨ هــ.
٥٤ــ النحو والصرف في خدمة النص القرآني، أبحاث وقضايا لغويــة، أ.د/ محمد المختار محمد المهدي، الأستاذ بكلية الدراســات الإســلامية والعربيــة للبنين بالأزهر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هــ ، ٢٠٠١م.
٥٥ــ النشر فى القراءات العشر للإمام الحافظ أبي الخير محمد بــن محمــد الدمشقي الشهير بابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣ هــ ،خرّج آياته : الــشيخ زكريا عميران ، ط. دار الكتب العلمية بيــروت ــ لبنــان ١٤١٨ هـــ ــ ١٩٩٨م ، الأولى.
٥٦ــ اليزيدى القارئ النحوي، دراسة نحوية قرآنية للدكتور محمد أحمد على سحلول، الطبعة الأولى ١٤١٠هــ-١٩٨٩م مطبعة الحسين الإسلامية.
٥٧ــ إنباه الرواه على أنباء النحاة للقفطى ، تحقيــق: محمــد أبــو الفــضل إبراهيم، ط. دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٦ م .
٥٨ــــ إيضاح المكنون عن أسامى الكتب والفنون لاسماعيل باشــا البغــدادى طبعة دار الفكر ١٩٨٢، مصورة عن طبعة استانبول ١٩٤٧ م.
٥٩ــ بداية المجتهد ونهاية المقتصد للإمام أبى الوليد محمد بــن أحمــد بــن محمد بن أحمد بن رشد القرطبى ،تحقيق : عبد المجيد طعمة حلبــي،ط. دار المعرفة ــ بيروت لبنان ، الأولى ١٤١٨ هــ ــ ١٩٩٧ م.
٦٠ــ تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمــد مرتــضى الحــسينى الزبيدى، مطبعة حكومة الكويت.
٦١ــ تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان، العصر العثمانى، ترجمة عمــر صابر عبد الجليل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م.

٦٢ــ تاريخ بغداد أو مدينة السلام للحافظ أبى بكر بن على الخطيب البغدادى وضعه فى أزهى عصور الإسلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام ٤٦٣ هــ ،ط. دار العربى بيروت ــ لبنان .
٦٣ــ تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبى الأصبع المصرى٥٨٥ ــ٦٥٤ هــ تحقيق د/حنفــى محمــد شــرف ــ ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة،١٤١٦ هــ ــ١٩٩٥ م.
٦٤ــ تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيــل للإمــام عــلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغــدادى المعــروف بالخــازن المتــوفى ٧٢٥هــ، وبهامشه تفسير البغوى المعروف بمعــالم التنزيــل لأبــى محمــد الحسين بن مسعود الفــرّاء البغــوى المتــوفى ٥١٦هـــ ، ط. دار الفكــر ١٣٩٩هــ ــ١٩٧٩ م.
٦٥ــ تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل للإمــام عــلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغــدادى المعــروف بالخــازن المتــوفى ٧٢٥هــ وبهامشه تفسير البغوى المعروف بمعالم التنزيل لأبى محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوى المتوفى ٥١٦ هــ ، ط.دار الفكــر ١٣٩٩ هـــ ــ ١٩٧٩ م.
٦٦ــ تفسير القرآن العزيز المسمى تفسير عبد الرزاق للإمام أبى بكر عبــد الرزاق بن همام الصنعانى ،١٢٦ ــ ٢١١ هــ ، تحقيق :عبد المعطى أمــين قلعجى ، ط. دار المعرفة بيروت ــ لبنان ١٤١١ هــ ــ ١٩٩١ م.
٦٧ــ تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحفظ عمــاد الــدين أبــي الفــداء إسماعيل بن كثيرالقرشي الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤ هــ ط عيسى البــابي الحلبي وشركاه .
٦٨ــ تقريب التهذيب لخاتمة الحفاظ لابن حجر العسقلانى، ط. دار المعرفــة بيروت الثانية ١٣٩٥ هــ ــ١٩٧٥ م

٦٩ــ تهذيب التهذيب للإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام شــهاب الــدين أبــي الفضل أحمد بن خليل بن على بن حجر العسقلانى المتوفى ٨٥٢ هــ ــ ط. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة فى الهند بمحروسة حيدر آبــاد الدكنى١٣٢٥هــ.

٧٠ــ تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى ،٢٨٢ــ٣٧٠ هــ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ــ ط .المؤسسة المصرية العامــة للتــأليف والأنباء والنشر.

٧١ــ جمع الجوامع ــالجامع الكبير فى الحديث والجامع الــصغير وزوائــده للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى المتــوفى ٩١١هـــ ،تخــريج وتعليــق وضبط: خالد عبد القادر شبل ،ط .دار الكتب العلمية ــ بيــروت، الأولــى ١٤٢١ هــ ــ٢٠٠٠ م.

٧٢ــ حاشية محى الدين شيخ زاده محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجــوى الحنفى المتوفى سنة ٩٥١هــ على تفسيرالقاضى البيضاوى المتــوفى ســنة ٦٨٥هــ ضبطه وصححه وخرج آياته محمد عبدالقادر شاهين ط. دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩ هــ ــ١٩٩٩م.

٧٣ــ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمــر البغــدادي ١٠٣٠ ــ١٠٩٣ هــ،ط مكتبة الخانجى ،القاهرة ،تحقيق وشرح :عبد الــسلام محمد هارون ،الثانية.

٧٤ــ دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى ط. دار السعادة بالقاهرة.

٧٥ــ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبى بكــر بــن الحــسين البيهقى ٣٨٤ ــ ٤٥٨ هــ، تحقيق : عبد العاطى قلعجــى ، ط.دار الكتــب العلمية بيروت ــ لبنان ١٤٠٥ هــ ــ ١٩٨٥ م.

٧٦ــ ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح أبى البقاء العكبرى المسمى بالتبيــان فى شرح الديوان ، ط. مطبعة مصطفى البــابى الحلبــى وأولاده بمــصر ، ١٣٥٧هــ ــ ١٩٣٨ م.

٧٧ـ ديوان الأعشى ، دار صادر ـ بيروت.
٨٧ـ ديوان جميل ، شعر الحب العذرى ، جمع وتحقيق وشـرح د.حسين نصار ـ ط. مكتبة مصر.
٧٩ـ ديوان زهير بن أبى سلمى ـ ط .دار صادر ـ بيروت ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م.
٨٠ـ ديوان عنترة بن شداد ـ ط .دار صادر بيروت ، الأولى ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.
٨١ـ ديوان كثير عزة ،شرح عدنان زكـى درويـش ، ط. دار صـادر ـ بيروت، الأولى ١٩٩٤ م.
٨٢ـ ديوان لبيد بن ربيعة ، دار صادر ـ بيروت.
٨٣ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثـانى للعلامـة أبـى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، طبعة دار الكتب بيروت ـ لبنان الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.
٨٤ـ زاد المسير فى علم التفسير للإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، خرّج آياتـه وأحاديثـه ووضع حواشيه : احمد شمس الدين ط. دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنـان ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤ م الأولى.
٨٥ـ سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى للإمام أبى القاسم علـى بن عثمان بن الحسن القاصح العذرى البغدادى وهو شـرح حـرز الأمـانى ووجه التهانى لأبى محمد بن أبى القاسـم بـن أحمـد الرعينـى الأندلـسى الشاطبى، ط.دار الفكر ـ بيروت ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
٨٦ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها فى الأمـة ، تخـريج: محمدناصر الدين الألبانى ، ط. المكتـب الإسـلامى ـ بيـروت ـ دمـشق الرابعة ١٣٩٨ هـ.

٨٧ــ سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ٢٠٧ ــ ٢٧٥ هــ تحقيق : محمد مصطفى عبد الباقي ، ط. دار الحديث ــ القاهرة ١٤٢٦ هــ ــ٢٠٠٥ م.

٨٨ــ سنن أبي داوود للإمام الحافظ المصنف المتقن أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ٢٠٢ ــ ٢٧٥ هــ ، ط. دار الحديث ــ القاهرة ١٤٢٠ هــ ــ ١٩٩٠ م.

٨٩ــ سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ط. دار الحديث القاهرة ،١٤٢٦ هــ ــ ٢٠٠٥ م.

٩٠ــ سنن الدارقطني للإمام الحافظ علي بن عمر الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥ هــ علّق عليه وخرج أحاديثه مجدي بن منصور بن سيد الشوري ، ط. دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ١٤٢٤ هــ ــ٢٠٠٣ م الثانية.

٩١ــ سنن النسائي بشرح الإمامين السيوطي والسندي ، ط. دار الحديث ــ القاهرة ١٤٢٠ هــ ــ١٩٩٠ م الأولى.

٩٢ــ سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي شمس الدين ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، طز مؤسسة الرسالة ــ بيروت السابعة.

٩٣ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى ١٠٨٩ هــ طبعة المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ١٩٧٩م.

٩٤ــ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري المولود في سنة ٦٩٨ هــ والمتوفى سنة ٧٦٩ هــ ط. دار التراث ، القاهرة ١٤٠٠ هــ ــ ١٩٨٠م العشرون.

٩٥ــ شرح المفصل للعلامة يعيش بن علي بن يعيش النحوي المتوفى ١٤٣هــ. ط عالم الكتب بيروت .

٩٦ــ شرح ديوان أبي تمام لإيليا الحاوي ــ ط .دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ، الأولى ١٩٨١.

٩٧ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابـن هـشام الأنـصارى ٧٠٨ ـ٧٦١ هـ ط المكتبة العصرية ،صيدا ،بيروت الأولى ١٤١٩ هـ- ١٩٩م.

٩٨ـ شرح طيبة النشرفى القراءات العشر للإمام شهاب الدين أبى بكر أحمد بن محمد بن محمد ابن الجزرى الدمشقى المتوفى نحـو سـنة ٨٣٥ هـ ، ضبطه وعلق عليه : الشيخ أنس مهرة ن ط.دار الكتب العلميـة بيـروت ـ لبنان ١٤١٨ هـ ـ١٩٩٧ م الأولى.

٩٩ـ صحيح مسلم للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ٢٠٦ ـ٢٦١ هـ حققه ورقمه ووضع فهارسه محمد فؤاد عبد البـاقى ، ط. دار الحديث ـ القاهرة ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م الأولى.

١٠٠ـ طبقات المفـسرين للـداوودى ، ط. دار الكتـب العلميـة بيـروت ١٩٨٠م.

١٠١ـ عمل اليوم والليلة لأبى بكربن السنى، ٣٦٤ هـ ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، ط. مكتبة الكلية الأزهرية ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩م.

١٠٢ـ غاية النهاية فى طبقات القراء لشمس الدين أبى الخير محمد بن محمد الجزرىّ المتوفى ٨٣٣ هـ عنى بنشره برجستراسر طبعة دار الكتب العلمية بيروت الثالثة١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

١٠٣ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني شـيخ الإسلام قاضى القضاة أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن علـى بـن محمـد المولود ٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ وثّق نصوصه وحقّق أصـوله وضـبط أحاديثـه ووضع فهارسه : طه عبد الرءوف سعد ،ط . دار الغد العربـى ـ القـاهرة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م الأولى.

١٠٤ـ قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس لأبى اسـحق الثعلبـى ـ ط.عيسى الحلبى ص٢٨١ .

١٠٥ــ كتاب الأزمنة و الأمكنة للشيخ أبي على المرزوقي الأصــفهاني ــ ط .دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة.
١٠٦ــ كتاب الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للخطيب الــشربيني ط.هيئــة الكتاب، ١٤٢٦ هــ - ٢٠٠٥ م.
١٠٧ــ كتاب الحماسة البصرية للعلامة صدر الدين على بن أبي الفرج بــن الحسن البصري المتوفي ٦٥٦ هــ ،تحقيق د/عادل جمال ســليمان ط. وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة. .
١٠٨ــ كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد كاتب الواقدي ومــشتمل علــى السيرة النبوية ، عنى بتصحيحه وطبعه ادوارد سخوب ، طبع مصورًا عــن كتاب طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل ١٢٢١ هــ من منشورات مؤسسة النصر ــ طهران.
١٠٩ــ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للشيخ العلامة محمد بن على بــن على بن محمد التهانوي ، الحنفي ، المتــوفي ســنة ١١٥٨ هـــ ، وضــع حواشيه: أحمد حسن بسبح ، ط. دار الكتب العلميــة ــ بيــروت ، الأولــى ١٤١٨هــ ١٩٩٨ م.
١١٠ــ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهرمن الأحاديــث علــى ألــسنة الناس للمفسر، المحدث ، الشيخ اسماعيل بن محمــد العجلــوني الجراحــي، المتوفي ١١٦٢ هــ ، أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليــه : أحمــد القلاش،ط. مؤسسة الرسالة ــ بيروت ، لبنان،الثانية ١٣٩٩ هــ١٩٧٩ م.
١١١ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعلامة المولى مصطفى بن عبدا لله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الحلبي والمعــروف بحاجي خليفة ١٠١٧هــ - ١٠٦٧ م ، ط. دار الفكر ١٤٠٢ هــ ، ١٩٨٢م.
١١٢ــ لسان العرب للعلامــة ابــن منظــور، ط.دار صـــادر بيــروت ــ لبنان،الثالثة ١٤١٤هــ - ١٩٩٤م .

١١٣ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام شهاب الـدين القـسطلاني، تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان و د/عبد الصبور شاهين، طبعـة المجلـس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.
١١٤ـ لطائف الإشارات للإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبـد الملـك بـن محمد القشيرى ٣٧٦ـ٤٣٥ هـ ، تحقيق د/إبراهيم بسيونى ،ط الهيئة العامة للكتاب الثانية ١٩٨١ م.
١١٥ـ مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبى على الفـضل بـن الحـسن الطبرسى ط دار المعرفة بيروت لبنان .
١١٦ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين على بـن أبـى بكـر الهيثمى المتوفى ٨٠٧ هـ ، تحرير :الحافظين الجليلين العراقى وابن حجـر ـ ط . مكتبة القدسى ـ القاهرة.
١١٧ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمـع وترتيـب عبـد الرحمن بن محمد بن قاسم القاصمى النجدي الحنبلي وابنه محمـد ،الطبعـة الثانية ١٢٩٩ هـ.
١١٨ـ مختار الصحاح للإمام محمد بن أبى بكر الـرازى، عنـى بترتيبـه محمود خاطر، ط. دار الحديث ـ القاهرة .
١١٩ـ مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابـن خالويـه، مكتبـة المتنبي القاهرة.
١٢٠ـ معاني القرآن لأبى زكريا يحيى بن زياد الفرّاء ١٤٤ ـ ٢٠٧ هـــ، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد على النجار ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م ط . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، 1422هـ ـ ٢٠٠١م ،الثالثة.
١٢١ـ معاني القرآن لعلى بن حمزة الكسائى المتوفى سنة ١٨٩ هـ للدكتور عيسى شحاتة عيسى ط. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ٩٩٨ م .
١٢٢ـ معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبى إسـحاق إبـراهيم بـن الـسري المتوفى سنة ٣١١ هـ شرح وتحقيق : د. عبد الجليل شلبي خرّج أحاديثـه :

الأستاذ علي جمال الدين محمد ، ط.دار الحديث ــ القــاهرة١٤٢٦ هــــ ــ ٢٠٠٥ م.

١٢٣ــ معجم القراءات للدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، ط . دار ســعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمــشق ـــالقاهرة ، الأولـــى ١٤٢٢هـــــ ٢٠٠٢ م.

١٢٤ــ معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إلياس ســركيس، مكتبـــة الثقافة الدينية القاهرة.

١٢٥ــ معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العــصر الحاضـــر لعـــادل نويهض ط مؤسسة نويهض الثقافية، الثالثة ١٤٠٩ هــ ١٩٨٨.

١٢٦ــ مفاتيح الغيب للرازي طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعـــة الأولى١٤١١ هــ ـــ١٩٩٠م.

١٢٧ــ مناهل العرفان فى علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقـــانى ، ط . دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابى الحلبى.

١٢٨ــ منهاج السنة النبوية لإبن تيمية العباس تقي الدين أحمـــد بـــن عبـــدا لحليم، تحقيق د.محمد رشاد سلم ط.مكتبة بن تيمية ــ القاهرة ١٤٠٩هـــــ ــ ١٩٨٩م الثانية.

١٢٩ــ ميزان الاعتدال فى نقد الرجال لأبى عبد الله بن محمد بن أحمد بـــن عثمان الذهبى المتوفى ٧٤٨ هــ ،تحقيق : على محمد البجاوى ، ط. عيسى الحلبى وشركاه.

١٣٠ــ نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبى الحسن ابراهيم بن عمر البقاعى المتوفى سنة ٨٨٥ هــ خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه :عبد الرزاق غالب المهدى ، ط. دار الكتب العلميـــة ــ بيـــروت ــ لبنان ١٤٢٥ هــ ـــ١٩٩٥ م الأولى.

١٣١ــ هداية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كـــشف الظنـــون لإسماعيل باشا البغدادي، طبعة دار الفكر .